

تجربتي
مع الحياة السياسية
في العراق

تجربتي مع الحياة السياسية في العراق

سيرة لا ذاتية ولا متحيزة
الجزء الأول

د. طه جابر العلواني

قدم له وحققه د. عثمان علي

الفهرسة أثناء النشر - إعداد منتدى المعارف

الدكتور طه جابر العلواني

تجربتي مع الحياة السياسية في العراق: سيرة لا ذاتية ولا متحيزة
٣٢٠ ص.

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر منتدى المعارف»

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنتدى المعارف

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٥

منتدى المعارف

بناية «طبارة» - شارع نجيب العرداتي - المنارة - رأس بيروت
ص.ب: ٥٢٨٥ - ١١٣ حمرا - بيروت ٢٠٣٠ ١١٠٣ - لبنان

هاتف: ٧٣٩٨٧٧ (١-٩٦١)

فاكس: ٧٣٩٨٧٨ (١-٩٦١)

المحتويات

٩	مقدمة المحقق
٩	المذكرات الشخصية أو السير الذاتية للمشاهير
١٢	المذكرات الشخصية والسير الذاتية انجاز أدبي:
١٥	السيرة التي نقدمها
٢١	مقدمة صاحب السيرة
٢٧	القسم الأول
٢٩	الفصل الأول: بدايات تشكّل الوعي السياسي
٢٩	العراق في نهاية العصر الهاشمي
٣٤	جذور المشكلة الطائفية: النظام الملكي
٤٠	مجلس السيادة وانقلاب تموز
٤٩	العلاقة مع الإخوان المسلمين
٥١	عملي كإمام في بغداد
٥٣	الأحزاب الكبرى في بغداد
٥٧	موقفي من العمل الحزبي

الفصل الثاني: في مواجهة العنف والمد الشيوعي ٦٣

رفض لثقافة العنف: فتوى قتل الشيوعيين ٧٠

العنف السياسي وصناعته في العراق ٧٧

محاولات اغتيال قاسم ٨٢

التجربة الحزبية.. الحزب الإسلامي العراقي ٨٦

تجربتي مع الحزب الإسلامي العراقي ٩٦

خارطة الإصلاح ١٠٣

لقاءات مع عبد الكريم قاسم ١٠٥

الفصل الثالث: الانخراط في سلك القوات المسلحة ١١٥

بداية الحياة العسكرية ١٢٠

عملي في مكتب قاسم صورة الزعيم على قشر بيضة ١٢٣

محاولات الانقلاب على قاسم: دواعيها ونتائجها ١٢٩

انقلاب ٨ شباط ١٣٧

علاقتي بعبد السلام عارف ١٤٢

تأسيس المنظمة العسكرية الإسلامية ١٥١

اغتيال عبد السلام عارف وتأثيراته ١٥٥

تنظيم الرمادي ١٥٧

تحركات المنظمة العسكرية الإسلامية ١٦٠

الفصل الرابع: العراق وإيران: الطريق إلى طهران ١٧٣

تاريخ العلاقة وأسسها الحاكمة ١٧٣

العلاقات العراقية الإيرانية في العهد الملكي ١٨٢

العلاقات العراقية الإيرانية في العهد الجمهوري: دوري في المحاولة

الانقلابية ١٩٧٠ ١٨٦

التعاون مع إيران لإسقاط حزب البعث ١٩٤

٢٠٦	النايف في لندن
٢١٧	جذور المحاصصة الطائفية
٢١٨	مغادرة طهران وعودتي المؤقتة إليها
٢٢٢	عودة الى طهران
٢٢٩	إقامتي في السعودية وعلاقتي بالشيخ ابن باز
٢٣٨	سنة التغيير بين الانقلابات والاصلاح الفكري في الامة
٢٤٠	حول اعتقال العمل السياسي
٢٤٥	الملاحق
	الملحق الرقم (١) قرار اعدام طه جابر من قبل محكمة الثورة في وثيقة
٢٤٧	
٢٥٠	الملحق الرقم (٤)
٢٥١	الملحق الرقم (٥)
٢٥٢	الملحق الرقم (٦)
٢٧٣	نص مذكرة الحزب الإسلامي
٢٧٤	أولاً: موقف الحكومة
٢٧٧	ثانياً: الاعتقالات والحجز
٢٧٨	ثالثاً: تصدع وحدة الأمة
٢٧٩	رابعاً: الحالة الاقتصادية
٢٧٩	خامساً: حقوق العمال
٢٨٠	سادساً: سياسة التعليم
٢٨٠	سابعاً: التضامن مع الدول العربية
٢٨١	ثامناً: شركات النفط
٢٨١	تاسعاً: الخاتمة

الملحق الرقم (٩) ٢٨٣

ملف الوثائق البريطانية الغير منشورة حول المحاولة الانقلابية ١٩٧٠ ٢٨٣

ملف رقم FCO/ 17/1240 «محاولة انقلابية في العراق، ٢٠ /١ /

١٩٧٠» ٢٨٣

الوثائق البريطانية للمحاولة الانقلابية في عام ١٩٧٠ المرقم FCO /17 1240

النسخة الانجليزية لوثائق الملف المترجم اعلاه.(وثائق غير منشورة) ٣٠١

مقدمة المحقق

«إِنِّي أَفْعَلُ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ شَخْصٌ قَبْلِي وَلَنْ يَقْدِرَ شَخْصٌ بَعْدِي
عَلَى تَقْلِيدِهِ»

جان جاك روسو - في اعترافات

رغم أنّ التجربة الشخصية تبقى وفق المنظور الضيق لها بأنّها مثل أيّة تجارب شخصية أخرى، لكنّها على وفق المنطق والمنظور الأشمل هي جزء من حركة المجتمع ودورة الزمن، ونتاج تصارع عوامل عديدة تشترك فيها، ومنها العوامل البيئية وتأثيرات الطبيعة ضمن إطار عاملي الزمان والمكان، وهذان العاملان هما أساس تكوين الوجود المرهون بهما بمشيئة الله. وكل مظاهر الحياة بما فيها وجود الإنسان إبتداءً من ولادته ومروراً بمسيرة حياته المقدره له من الله العليّ القدير، وإنتهاءً بمماته حيث لا يدري المرء في أي أرض ومتى سيموت.

المذكرات الشخصية أو السير الذاتية للمشاهير

يلجأ كثير من السياسيين والمشاهير من رجال السياسة والفكر والأدب والفن إلى تدوين تفاصيل حياتهم وسيرهم وأعمالهم بعد خروجهم من السلطة أو إحالتهم إلى التقاعد أو اعتزالهم وذلك بهدف النشر عاجلاً أم آجلاً. وقد يفضل البعض منهم نشر مذكراته أو سيرته الذاتية بعد وفاته خشية تعرضه للمساءلة في ظل الأنظمة القمعية التي تُضيّق الخناق على حرية الرأي

والتعبير، أو لاحتواءها على أفكار جريئة تتخطى المحرمات السياسيّة والاجتماعيّة (التابوهات) وما أكثرها في مجتمعاتنا الشرقيّة. واليوميات لدى المشاهير عموماً سواء السياسيون منهم أو رجال الفكر والثقافة هي المادة الخام التي يستخدمونها لكتابة مذكراتهم الخاصّة وسيرهم الذاتيّة، وثمة رغبة مشتركة لديهم تتمثل في تخليد ذكراهم وأدوارهم بعد رحيلهم عن الحياة. وتختلف مثل هذه المذكرات والسير الذاتيّة الى حد كبير عن يوميات أو مذكرات الناس العاديين الذين لا يفكرون يوماً في نشرها. لذا فإنّ يوميات الشخصيات البارزة - على خلاف الأفراد العاديين - تفتقر إلى الصدق والشفافية أحياناً، حيث يحاول أصحابها تجميل وتلميع صورهم وإبراز أدوارهم في الأحداث التي شاركوا فيها صنعها أو كانوا شهوداً عليها. لأنّهم يتوقعون اطلاع الرأي العام أو القراء على مذكراتهم الشخصيّة بعد نشرها. وهذا ما يدفعهم إلى تقديم أنفسهم لقرائهم على أحسن صورة. والاهتمام بتدوين ما يرفع من شأنهم ويعزز دورهم في الأحداث التي أسهموا فيها صنعها أو كانوا شهوداً عليها، وقد يتجاهلون عن عمد تسجيل وقائع كان لهم ضلع فيها أو قد تسيء إليهم خلال حياتهم أو بعد وفاتهم، كما أنّ من الخطورة أن يدون صاحب المذكرات - في ظل أنظمة غير ديمقراطية - كل ما يعرفه من حقائق وأسرار قد تشكل خطراً على حياته، أو على حياة آخرين، ممن شاركوا في القرار معه.

إنّ المذكرات والسير الذاتية متفاوتة القيمة وتوقف أهميتها على عوامل عديدة ولا يمكن التعويل عليها كثيراً كمصدر موثوق لكتابة التاريخ إلا بعد نظرة تحليليّة فاحصة، تتم من خلالها الإحاطة الدقيقة بشخصيّة كاتبها وموقعه ودوره في الأحداث التي يتحدث عنها وبالتالي مدى اطلاعه على تفاصيل تلك الأحداث ومدى التزامه بالموضوعيّة والحيادة في سرد مذكراته وهي شروط قد لا تتحقق إلا نادراً، ذلك لأنّ المذكرات والسير ذات طابع ذاتي ومن الصعب على أي إنسان أن يتجرد من أهوائه وميوله وآرائه ورؤيته للحياة

خلال تدوين تفاصيل الأحداث، التي كان طرفاً فيها. والمذكرات الشخصية، ليست توثيقاً غير منحاز لحوادث الماضي ولكنها اعترافات وتبريرات واتهامات وتأملات شخصية وذاتية. ليس ذلك نقصاً ولا مثلمة فيها، بل صفة ملازمة لها والتي تعكس بصمات المؤلف والزمن الذي عاش فيه. صاحب المذكرات يود في المقام الأول أن يظهر أو يبرز دوره في الأحداث التي يسردها وعلاقة هذه الشخصية المهمة أو تلك بصاحب المذكرات. إن المصدر الرئيس لصاحب المذكرات هو ذاكرته الشخصية ومن المهم ملاحظة مدى إمكانية الاعتماد عليها ومدى قدرة المؤلف على تقديم المعلومات عن الحدث بدقة، رغم أن التزام الصمت بصدد بعض المعلومات وعدم التطرق إليها لا يدل على ضعف الذاكرة. بل يشير إلى وجود شكل ما من أشكال الرقابة الرسمية أو الذاتية. وتكتسب المسافة الزمنية الفاصلة بين وقوع الحدث وبين تأريخ الكتابة عنه أهمية كبيرة وكلما كانت هذه المسافة أكبر كان احتمال التحريف وضياع التفاصيل ونسيان الأسماء أكثر. ومن ناحية أخرى فإن وجود فترة زمنية معقولة تفصل بين تأريخ وقوع الحدث وزمن تسجيله، وتسمح بتقييم الماضي بهدوء أكثر والنظر بموضوعية إلى الذات وتمييز المهم عن غير المهم. ولعل إحدى الطرق الفعالة لتدقيق تكامل وصدقية المذكرات هي مقارنتها مع المصادر الأخرى التي لها علاقة بالحدث الذي يتحدث عنه المؤلف. لذلك قمنا كمحقق بإضافة حواشي للأحداث وهي تعليقات وتوضيحات للأحداث والشخصيات التي يشير إليها الشيخ المؤلف في هذه السيرة.

المذكرات يمكن أن تشمل وثائق ومقتطفات من رسائل ويوميات وأخبار منشورة في الدوريات والصحف والنشرات. وتكتسب الوثائق الرسمية أهمية بالغة بالنسبة إلى المذكرات الشخصية للسلاسة والقادة العسكريين. حيث يتم إدراجها أحياناً كملحق للكتاب...، وكثيراً ما ينظر المؤرخون والباحثون إلى المذكرات الشخصية كمصادر ثانوية لكتابة التاريخ. ولكن يتعين على من

يستخدم المذكرات كمصدر أن يتذكر أن أهميتها ترتبط بالموضوع الذي يعالجه صاحبها. فهي - أي المذكرات - مهمة ومصدر أساسي للاطلاع على السيرة الذاتية لكاتبها، وخاصةً للثبوت من واقعة أو فعل أو حقيقة تاريخية. ولكنها تكون قاصرة عن رسم صورة شاملة ودقيقة للواقع السياسي الاجتماعي للفترة التاريخية التي عاش فيها المؤلف أو توثيق الحركات السياسية والاجتماعية أو التأريخ الاقتصادي للبلد. في مثل هذه الحالات، تحتل المذكرات الشخصية مرتبة ثانوية بالقياس إلى التقارير والإحصاءات والوثائق الرسمية. وينبغي أن نتذكر أن المذكرات ظهرت تاريخياً كجنس أدبي أو بتعبير آخر فإن المذكرات لا تكتب لتكون مصدراً لكتابة البحوث التاريخية وغيرها بل لغرض الاطلاع على السيرة الذاتية لصاحبها والدور السياسي أو الثقافي الذي مارسه. المؤرخ يعتمد على الحقائق فقط وهذا من حقه وواجبه وحدود عمله ولكن صاحب المذكرات له الحق في أن تكون له وجهة نظر خاصة حول الأحداث والوقائع التي أثرت في حياته ومصيره.

المذكرات الشخصية والسير الذاتية انجاز أدبي:

ومنذ أقدم العصور أخذت المذكرات والسير الذاتية مكانتها عند اليونان والرومان الذين وثّقوا التاريخ بأسلوب أدبي مميز، فكانت نماذجهم بديعة ومنها ما وصل إلينا مثل (تراجم فلونتارخوس) وهي مجموعة من سيرة ذاتية ومذكرات حياة عظماء الرومان وأراد بها كاتبها الفيلسوف عرض بطولة اتسمت بالقيم الأخلاقية ولتعتبر على مر العصور أبداع المذكرات والسير الذاتية لشخصيات تاريخية. ومن المذكرات الشخصية التي وصلتنا منفردة لشخصية مشهورة هي (حياة الإسكندر الأكبر) لكاتبها كورتيوس روفوسو وكتاب آخر بعنوان (حياة الأباطرة الاثنى عشر) للكاتب لتراتكويلوس، وفي العصور الوسطى قام الرهبان والعلماء المعنيون بكتابة السيرة الذاتية ومن أشهرها السيرة المنفردة التي كانت عن (حياة كارل الأكبر) لكاتبها لانهارت.

ويرى البعض أنّ القديس سانت أوغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠م)، كان أول من كتب سيرته الذاتية وتحدث فيها عن تأثير الدين في حياته الخاصة، قبل أن يتبلور هذا الفن ويتحول إلى صنف أدبي مستقل على يد جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨م) في كتابه اعترافات وكان روسو يعتقد أنّه أول من كتب هذا النموذج الأدبي في قالب فني متكامل حين كتب يقول «أنا أفعل شيئاً لم يفعله شخص قبلي ولن يقدر شخص بعدي على تقليده».

ولكن بعض الباحثين المسلمين يشيرون إلى أنّ الفن نشأ في الفكر الإسلامي قبل أن يكتب «روسو» اعترافاته. وأننا نجد في هذا التراث بعض السير الذاتية مثل رسالة حنين بن إسحق (٨٠٩ - ٨١٩م) والمنقذ من الضلال للإمام الغزالي (١٠٥٨ - ١١١١م) والتعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً (١٣٣٢ - ١٤٠٦م)، ويعتقد بعضهم خطأ أنّ الثقافة الإسلامية لم تعرف كتابة المذكرات الشخصية والسير الذاتية كفن أدبي شائع وقائم بذاته إلا مع النهضة العربيّة الحديثة^(١).

والحقيقة أنّ الكتاب المسلمين لهذا الفن الأدبي المميز قد بدؤوا بالسيرة النبويّة الشريفة لتكون ميدان دراسة وهداية للأجيال لارتباطها بعقيدتهم. وكان القرن الهجري الثاني بداية كتابة السيرة النبويّة الشريفة، ومن ثم تطور هذا الفن الأدبي إلى كتابة السيرة الذاتية للمشاهير من شخصيات الأمة ولم يتوقف علماء المسلمين عند نوع واحد من الكتابات هذه، ولكنهم تناولوا سير من اصطلاح على تسميتهم آنذاك ب«رجال السيف والقلم» (الملوك، والأمراء والوزراء، والقادة، والمفكرون، والكتّاب، والشعراء) ومنها موسوعات عامّة لمجموعة شخصيات ومنها منفردة لشخصية مميزة، وكانت بعضها لكتّاب محترفين والبعض الآخر بأقلام الشخصيات صاحبة السيرة، والتنوع بالتراث

(١) جودت هوشيار، المذكرات الشخصية وأهميتها في كتابة التاريخ، الحوار المتمدن، www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=325920، ٢٧ - ٩ - ٢٠١٢ - المحقق.

الإسلامي جعلها ميزة تنعم بها وتمتاز بها عن باقي الأمم.

ولم يظهر النقد الأدبي للسيرة الذاتية وكتابة المذكرات كفن أدبي مستقل ومتطور إلا بعد قرنين من ذلك. وفي القرن الهجري الخامس اتسع هذا الفن كثيراً ووضعت موسوعات كبيرة منها ما كتبه الخطيب البغدادي بموسوعته المعنونة بـ **تاريخ بغداد** وفيها شخصيات كثيرة من عصره، وفي القرن الهجري السابع، وضع القاضي شمس الدين بن خلكان موسوعته الشهيرة **وفيات الأعيان** وهي سيرة لكثيرين زادت عن (٨٠٠) شخصيّة. من أهم مميزات هذه السيرة الذاتية أو المذكرات التي كتبت من كتاب عن شخصيات هي تمتاز بالتحقيق ودقة التصوير وقوة العرض، ونستطيع القول: إن ابن خلكان كان أول مؤرخ مسلم جعل من هذا الفن الأدبي فناً حقيقياً في ضوابطه وقواعده والدليل أن ما كتبه لازال حتى الآن مرجعاً لنا^(١).

وبلغ هذا الفن الأدبي أعلى مستوياته في القرن الثامن الهجري ثم التاسع كذلك، وظهرت كتب منه كثيرة واختصت بأعلام العصر آنذاك وأقطاب الطوائف المشهورة، ومنها كتاب **أعيان العصر وأعوان النصر** للكاتب صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة (٧٦٤هـ) وله كتاب آخر عنوانه **الوافي بالوفيات** وهو موسوعة لسيرة ذاتية لشخصيات من زمان الصحابة إلى زمانه، وقد ذيل عليها مؤرخ مصري (أبو المحاسن بن تغري) بمعجمه **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي** فيه كتب لسيرة أهل عصره، ومن أشهر الكتب التي تناولت السيرة والمذكرات بالقرنين الثامن والتاسع الهجريين هي **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** للحافظ ابن حجر، ثم **الضوء اللامع** لشمس الدين السخاوي، وهو من أنفَسها، ثم كتاب **الكواكب السائرة** بمناقب **أعيان**

(١) الدكتور فاضل جابر، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها:

<http://www.ahlulbaitonline.com/karbala/New/html/research/research.php?ID=33#sthash.3DHWJuZ6.dpuf>

زرنا الموقع ٥ - ٦ - ٢٠١٣. المحقق.

المائة العاشرة لنجم الدين الغزي، ثم خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي الحموي، ثم سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لأبي الفضل المرادي^(١).

واستمر المسلمون بالاهتمام بهذا الفن في المغرب والأندلس، ونجد من ذلك على سبيل المثال جذوة المقتبس للحميدي، والصلة لابن بشكوال، ثم كتابي تكملة الصلة والحلة السراء لابن الأبر القضاعي، وممن تميزوا بكتابة سيرتهم الذاتية بخط أيديهم الفيلسوف ابن خلدون فيما أسماه (التعريف)، ولم يستطع هذا الفن الأدبي من مجارة النهضة الفكرية الحديثة لأننا نجد المقومات الأساسية لكتابة السيرة الذاتية تقوم على التحقيق العلمي والتحليلي، وإبراز الشخصية صاحبة السيرة على ضوء الحقائق المتعلقة بحياتها، وبالمرفقات من الوثائق التي تثبت ذلك، وبعيداً عن التحيز والإعجاب والتأييد لها للتأثر بها، واليوم نجد الصور وربما التسجيلات الصوتية والصورية وأية وثائق رسمية تدعم صحة ما نذكره عن الشخصية^(٢).

باختصار إن فن كتابة السيرة الذاتية والمذكرات الشخصية فن أدبي مستقل له محترفون لهم المميزات التي ذكرناها أعلاه وبدأت على يد اليونانيين القدامى وتطورت عند المسلمين كثيراً ولكن اكتملت معالمها بعد النهضة الأوروبية في الغرب.

السيرة التي نقدمها

إن صاحب المذكرات - على ما نعلم - لم يُعدّ مذكراته هذه إلا بعد تردد طويل وإلحاح شديد من إخوة وأصدقاء وتلامذة اقنعوه بأن ذكر الحقائق

(١) جودت هوشيار، المذكرات الشخصية وأهميتها في كتابة التاريخ، الحوار المتمدن، www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=325920، ٢٧ - ٩ - ٢٠١٢ - المحقق.

(٢) ياس خضير العلي، «كتابة المذكرات أو السيرة الذاتية»، <http://www.kitabat.info/subject.php?id=6569> تاريخ زيارة الموقع ٢٠١٣ - ١١ - ١٤، المحقق.

التي عايشها فيه دروس وعبر لا تستغني عنها الأجيال الطالعة من أبناء الأمة التي نزت من دمائها ما يستعصي على الحصر وأضاعت من الفرص الكثير. ولو كان هناك تواصل بين الأجيال وتراكمات من هذا النوع من المعرفة لوفرت بعض الأجيال على نفسها الكثير من التضحيات.

لقد نجح أصدقاء الشيخ العلواني في إزالة التردد من نفسه بعد أن أقنعه بأنها ليست مذكرات مثل سائر المذكرات، بل هي شهادة على عصر قل فيه الشهود العدول على أحداث تعرضت حقائقها إلى كثير من التزييف، والأهواء والتلاعب. والله سبحانه قد حرّم كتمان الشهادة في قوله تعالى: ﴿.. وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

فإن كثيراً من الأحداث التي كشف صاحب السيرة عنها لم يكن سهلاً على من لا يحمل شجاعته وتجرده وأمانته وحرصه على تجنيب الأجيال الطالعة من أبناء أمته ما سقط فيها أبناء جيله وأصابه منها الكثير مثل تحالف دول الإقليم من عرب وغيرهم على تنحية الفريق عبد الرحمن، وإحلال نظام البكر وصدام محله. وتحالفهم على تدمير قوة العراق في حرب مفروضة كانت محرقة للطاقت العراقية والإيرانية. ثم تحالفهم على استدراج صدام إلى المأزق الكويتي لتدمير ما بقي من قوة العراق. وأخيراً تحالفهم مع أمريكا لتفكيك الدولة العراقية بكل مقوماتها ومؤسساتها من دون استثناء التراث والتاريخ والمتاحف العراقية.

إن احتلال (٢٠٠٣)م أعاد العراق إلى القرن التاسع عشر بمقاييس «النمو والتخلف» ومن كان يعرف قبل هذه المذكرات أنَّ عبد الرزاق النايف كان قد ضُم إلى حزب البعث اليمني ليكون خليفة لأحمد حسن البكر في زعامة الحزب والدولة. وأنَّ مائة من قيادات حزب البكر ومنهم صدام كانوا يتقاضون مرتبات من الاستخبارات العراقية بقيادة عبد الرزاق النايف مع رشاشة صرفت لكل منهم بأمر عبد الرزاق النايف. ولكن صداماً قد اعتقل

عبد الرزاق النايف وأقال إبراهيم الداوود ونفاهما ليخلف البكر بنفسه بعد ثلاثة عشر يوماً من انقلاب ١٧ تموز، هذه الأمور وكثير غيرها يمكن أن يستفيد الباحثون بها لتفسير وتحليل كثير من الأحداث التي مرت بها المنطقة. والفتن الطائفية التي لا يزال العراق يتمرغ فيها منذ سنين عديدة نجد لنشأتها واستمرارها كل هذه الفترة في هذه السيرة بعض المداخل التفسيرية... إلخ.

في كتابته لسيرته هنا، يجمع الشيخ الدكتور طه جابر العلواني، العالم الأصولي المتضلع بتاريخ الحضارة الإسلاميّة وعلومها النقلية مع خبرته وعلمه في فن كتابة السير والتراجم الغنيّة عند المسلمين وفن كتابة السير المتطورة في الغرب حيث عاش شطراً غير يسير من حياته هناك، وهذا يجعل هذه السيرة ذات طابع ونكهة خاصة وممتعة ومفيدة للقراء المهتمين بالسير الذاتية وتاريخ وسياسة العراق في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي والتي كانت بحق فترة صاحبة وملئة بالصراعات السياسيّة والفكريّة ولها أثرها في تطور الأحداث في العقود اللاحقة.

يتطرق الكتاب إلى مجموعة من القضايا المهمة ويسلط الضوء على أحداث كانت غامضة أو يقدم تصوراً جديداً لمجموعة من الأحداث في تاريخ العراق الحديث مما يساعد على تقديم تصور آخر لتلك الأحداث في الأجواء الأكاديميّة. حيث يتعرض الدكتور طه مثلاً بإسهاب بالغ إلى ظروف نشأة الحزب الإسلامي العراقي في بداية الستينيات والمحاولة الانقلابية في ٢٠ كانون الثاني عام ١٩٧٠. حيث كان طرفاً رئيساً مع عبد الغني الراوي والإيرانيين ودول عربيّة وخارجيّة في تلك المحاولة التي لو تكللت بالنجاح لاتخذ تاريخ العراق الحديث منحى آخر ولأنقذت العراق من ويلات الحروب الداخليّة والإقليميّة التي واكبت حكم البعثيين. وشهادته هنا على صراع البعثيين والناصريين والإسلاميين في الخمسينيات والستينيات شهادة رجل عاصر الأحداث وكان ضمن اللاعبين الأساسيين والمؤثرين فيها أو الحلقات القريبة منهم.

بخلاف ما عودنا عليه أصحاب المذكرات من السياسيين المعاصرين العراقيين والعرب من محاولة تلميع الأدوار والمبالغة ومحاولات تبرئة الذات والتهرب من المسؤولية والانطلاق من القوالب الحزبية والفكرية في سرد الأحداث، يقدم الدكتور طه دوره في الأحداث هنا بتواضع علماء المسلمين والموضوعية والعلمية والجرأة والواقعية التي ميزت أسلوبه في كتاباته غير السياسية. ولتبيان هذا التواضع والعلمية نورد الفقرة التالية من مقدمة صاحب السيرة «إِنَّ مَا أَدُونَهُ - هنا - لا أدونه لإحساس بالأهمية الشخصية، ولا لأنني تسلّمت مناصب سياسية هامة جعلتني في أية مرحلة من المراحل من صنّاع القرار، بل لأنني مجرد شاهد عراقي عدل على أحداث عاصرتها، أو عرفت بعض صنّاعها، أو شاركت فيها ولو بدور ثانوي». ولذا فهو لا يبالغ حين أضاف إلى عنوان سيرته عبارة «غير ذاتية وغير متحيزة». يجد القاريء المتمعن هنا، مثلاً، نقده للفكر الاسلامي السياسي في العراق وممارسات الإسلاميين الذين انتمى إليهم الشيخ فكرياً وعاصرهم وعمل معهم مثل انتقاده البعثية والناصرية والشيعية من الذين اختلف معهم. كما لا يخف الشيخ ما وقع فيه كشخص من هفوات الشباب واندفاعاته السياسية في تلك الفترة وذلك لقلة الخبرة. ولا يتردد الدكتور، أيضاً بإبداء إعجابه ببعض الجوانب الإيجابية في شخص عبد الكريم قاسم، و من حوار معه. ويسلك المنهج نفسه في تقييم بعض رجالات العهد الملكي في العراق وعبد الناصر.

يبدو أنّ الظروف القاهرة التي أجبرت صاحب السيرة على مغادرة العراق إلى المنفى وعدم القدرة أو الرغبة إلى يومنا هذا من العودة، حالت دون استفادة السيرة من الوثائق الكثيرة والرسائل التي يقول الشيخ ضاعت أو أتلفت بعده. وأنّ تلك الوثائق كان من الممكن أن تغني السيرة كثيراً. وكمحقق لهذا الكتاب وبطلب من سماحة الشيخ طه وتسهيله لنا، قمنا بزيارة إلى مركز الوثائق الوطنية في لندن، حيث أمضينا بضعة أسابيع هناك واطلعنا على أرشيف الأحداث في الستينيات في العراق في وثائق الخارجية

البريطانية. ولدهشنا وجدنا أن الملف الوحيد المتعلق بالمحاولة الانقلابية في عام ١٩٧٠ والمعنون «المحاولة الانقلابية في ٢٠ كانون الأول» والمرقم FCO17/1240 يتطرق إلى التفاصيل الدقيقة، ولكن يحاول إخفاء دور الخارجية البريطانية والدور الأمريكي ودور ملا مصطفى البارزاني في الحدث. وقد تكون هناك ملفات تتطرق لهذا الجانب ولكن تم تدميرها لإضرارها بالأمن القومي البريطاني. وأن التفاصيل الموجودة في الملف المذكور تؤكد ما ذهب إليه الشيخ طه في هذه السيرة والمعلومات التي أوردتها الحكومة العراقية بصورة عامة. ولكن يبدو أن الحكومة العراقية في نظام البكر وصدام استغلت المحاولة الانقلابية لتصفية بعض الخصوم الذين لم يكن لهم أي دور في تلك المحاولة وهذا ما سنشير إليه في الحواشي. ولكن الباحثين بحاجة في المستقبل حين تتحسن الظروف الأمنية في العراق وتصنف وثائق وسجلات الأمن العام والمخابرات العراقية إلى تأصيل تلك الأحداث من تلك المصادر.

وأخيراً، تأتي أهمية السيرة في كونها تنشر في فترة تاريخية حرجة من تاريخ العراق والبلد يمر بمنعطف تاريخي خطير ما أحوجنا اليوم أن نقف على تجارب الآخرين. ويبدو أن الشيخ رغم تقدم السن به والبعد والغربة الطويلة لا زال في قلبه عراقياً غيوراً على بلده، ويتأثر لما تعرض له وطنه من خراب، حيث يكتب «إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع، على انهيارك وتفتت وحدتك يا عراق» ويأمل أن تكون سيرته هذه بمثابة شهادة تاريخية تبين الجذور الفكرية وتكوين البنية السياسية وممارسات القادة العراقيين في العقود الماضية «التي سببت المحنة الحالية.... ولتتبيّن الأجيال الطالعة ما إذا كانت الفرصة ما تزال قائمة، لإعادة البناء، أو أن ذلك صار جزءاً من تاريخ لن يعود؟».

د.عثمان أحمد محمد علي

المحقق

٢٠١٥ - ٢ - ٢

مقدمة صاحب السيرة

الحمد لله نستغفره ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونصلي ونسلم على سيدنا رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعه واهتدى بهديه إلى يوم لقاءه.

بداية أود أن أعتذر لمنيف الرزاز على استعارة عنوان كتابه الذي سجل فيه تجربته مع حزب البعث، فقد وجدته أقرب العناوين إلى نفسي وأنا أسجل تجربتي كاملة في العمل السياسي في العراق وخارجه. هذه التجربة التي تصلح لأن تسلكني في عداد الشاهدين على العصر بمستوى من المستويات.

إنّ ما أدوّنه - هنا - لا أدونه لإحساس بالأهميّة الشخصية، ولا لأنني تسلّمت مناصب سياسيّة هامّة جعلتني في أيّة مرحلة من المراحل من صنّاع القرار، بل لأنني مجرّد شاهد عراقيّ عدل على أحداث عاصرتها، أو عرفت بعض صنّاعها، أو شاركت فيها ولو بدور ثانويّ. وهذه الأحداث مهما بعد العهد بها فإنها مرتبطة بشكل أو بآخر بما آلت إليه أوضاع العراق من تفكّك. ولعلّ في بعضها تفسيراً لبعض ما حدث أو درساً وعبرة تأخذها أجيال طالعة أكل آباؤها الحصرم، وضّرت أسنانها. وانطلاقاً من أمانة الشهادة أشعر بأنّ عليّ واجباً بل دينياً يجب أدائه للأجيال الطالعة. فقد ولدت ونشأت في العراق وعاصرتُ بدايات التكوين الحديث من حياة ذلك البلد، بدأت حياتي وهو لا يزال في علاقة «معاهدة مع بريطانيا» وجرت بعد ذلك انتفاضات

وثورات وانقلابات إلى أن انتهى وجود الدولة العراقيةً بكاملها في عام (٢٠٠٣م). ووقعت الأرض العراقيةً - كلها - تحت احتلال ثالث أمريكيّ بريطانيّ أوروبي هذه المرة مع مجموعة أحلاف آخرين.

وما أزال على قيد الحياة مستنكفاً عن القيام بأي دور سياسيّ في بلاد - العراق - وخارجها رغم الضغط الشديد. ولكنني أرى ما يجري وأشهد الصراع، وأسمع حديثاً عن المحاصصة وعن تقسيم للبلاد وفدراليّة وأقاليم وما إلى ذلك^(١). إنَّ القلب ليحزن وإنَّ العين لتدمع، وإنَّا على انهيارك وتفتت وحدتك يا عراق لمحزونون.

إن ما عاناه العراق ولم يزل يعانيه حتى اللحظة جعلني أشعر بأنَّ عليّ فرضاً أن أقوم بالواجب تجاه الأجيال الحائرة التي لا تدري لِمَ آلت أحوال العراق إلى ما آلت إليه من احتلال؟ وما أعقب الاحتلال من فرقة وتمزُّق واقتتال بين الإخوة وتنازع دمويّ نازف لا يتوقف. من وجهة نظري أرى أنَّ ما يجري - الآن - بل ما جرى من احتلال وما جرى بعده له جذوره ومقدّماته في مسيرة العراق، وبنيته السياسيّة والاجتماعيّة، وسياسات قادته في العقود التي مرّت، وأنَّ من حق الأجيال العراقيّة المعاصرة أن تطلع على تلك الجذور. وتشرح لها تلك المقدّمات التي أدت إلى أن يؤول العراق إلى ما آل إليه، ولتتبيّن الأجيال الطالعة ما إذا كانت الفرصة ما تزال قائمة، لإعادة البناء، أو أنّ ذلك صار جزءاً من تاريخ لن يعود؟ وبما أنّني أشعر بأنني بمثابة «شاهد على القرن» من حيثيات مختلفة فإنني مكلف بوصفي

(١) أن الاقرار بوجود ثلاثة مكونات رئيسة في العراق (عرب شيعة وعرب سنة والکرد السنة) وبشكل رسمي دستورياً ويجاد آليات للتمثيل المتوازن في الادارات الحكومية والأجهزة القضائية ليس بالضرورة في هذه المرحلة عامل مؤصل أو ممهّد للتقسيم. مما جعل هذا الإقرار والتعامل الإيجابي معه خطوات لا بديل لها حتى تنطور معيار المواطنة بين العراقيين وفي ظروف طبيعية وتكون التراتيبات الإدارية لا على حساب المذهب أو العرق بل تراتيبات إدارية وفنية بحتة. - المحقق.

شاهداً على أحداث بقول كلمة صادقة في هذا الشأن ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

لقد تخرجت كثيراً وترددت طويلاً في كتابة هذه التجربة وإشراك القارئ فيها، ولم يستفزني لكتابتها ما كتبه الآخرون حول الأحداث نفسها أو الفترة نفسها رغم ما شاب كتاباتهم من شوائب، وكنت أسمع وأقرأ وأرى في بعضها من يدافع عن نفسه، أو يحاول أن يحمل الآخرين نتائج أخطائه؛ فيلوي الحقائق ويتصرف بالوقائع كما يحلو له، وكنت أرى في التعليق على ما كتبوا قليلاً من شأن نفسي ومن شأن الوقائع التي تناولوها؛ فصبرت وتحملت ونأيت بنفسي عن الكتابة أو التعليق على كثير من تلك الأمور والوقائع التي شاركت فيها أو شهدت عليها أو كانت لي علاقة بها بشكل أو بآخر، ولكن بعد أن رأيت تقدم العمر وتسارع السنين اقتنعت بأن من حق أحفادي وجيلهم بل من حق العراقيين كافة أن يطلعوا عليها.

لقد ضاعت فلسطين والعراق وأفغانستان والصومال والسودان وها هي اليمن وسوريا وليبيا بانتظار مصير غير معلوم والتهديدات تحيط بسائر بلاد العرب والمسلمين، وكل بلدانهم وأقطارهم مرشحة إماً للضياع أو الصراع أو التفكك؛ ولذلك فإن الكلمة أصبحت مسؤولية كبيرة، وفقه الكلمة صار مسؤولية أكبر وإيصال الكلمة إلى من يستحقها صار مسؤولية ثالثة؛ ولذلك رأيت أن الوقت قد حان لأؤدي أمانة الكلمة ولأحرر نفسي من مسؤوليتها وأضعها بين أيدي الأحفاد من سائر أبناء العرب والمسلمين؛ ليعرفوا كيف تضيع البلدان وتقسّم الأوطان ويسود الطغيان وتدمر حياة الشعوب بأيدي من يجعلونها مزرعة حيوان لا أوطان إنسان، لقد شهد جيلي وشهدت ذلك كله، شهدت العراق وهو يبني حجراً حجراً، وشهدته وهو ينهار دفعة واحدة، فعمليات الهدم أسرع بكثير من عمليات البناء؛ ولذلك رأيت أن أقدم تجربتي في العمل السياسي.

فهذا الذي كان وهو دون العشرين من عمره ينفر تماماً من الحزبية

ويرفض الطائفية وينأى بنفسه عن العمل السياسي، ويرى أنه عمل لا يقوم به إلا عاطلون عن العمل الصالح أو أذكاء لدرجة العبقرية ينصبون للمغفلين مصائد وللمجانين حظائر، يتاجرون بالدين مرة وبالوطن مرة أخرى وبالشعب مرة ثالثة بعد أن باعوا للشيطان نفوسهم وللأجنبي كرامتهم، إنها عمل مزيج عجيب من طاقات مختلفة قد لا نجده في العالم الأول المتفوق اقتصادياً ولا في العالم الثاني، لكننا نجده في العالم الثالث، فهناك سياسي يعتمد على ذكائه لتجنيد السذج وإيقاعهم في حبائله، وآخر يستدرج ضعاف العقول ويجندهم ويروضهم، وثالث يستغل اسم أسرته أو طائفته أو دينه أو قوميته أو مذهبه ويحوّله إلى سلعة تباع وتشتري؛ عرفت ذلك كله ورأيت به بأم عيني وعاشت أناساً من كل هذه الأنواع، وعرفت المخلص الذي يجد نفسه أحياناً وكأنه في غابة من المصائد والفخاخ كلها تنصب لاصطياده وتهياً لاستغلاله وتعد لافتراسه؛ ليخلو السوق أو الميدان لأولئك السماسرة المحترفين والباعة والمشتريين لتلك البضائع التي كنا نراها غير قابلة للإتجار بها أو تداولها في أي بورصة أو سوق؛ مثل: «الدين والوطن والقومية والمذهبية والطائفية».

في هذه الصفحات سجلت تجربتي المرة مع العمل السياسي في العراق وفيما جاورها، هذا العمل السياسي الذي وجدتهني أستدرج إليه استدرجاً وأقحم فيه ولم أتجاوز العشرين من عمري، وقد تجاوزت الآن الثمانين، ولم أستدرج إليه وحدي فجيلي والشعب العراقي بأسره استدرج إليه، إلا قلة يسيرة وطنت نفسها على ألا تسمع ولا ترى ولا تلوي على شيء وشعارها: «إنما الدنيا طعام وشراب ومنام، فإذا فاتك هذا، فعلى الدنيا السلام»، وهؤلاء كانوا قليلين جداً بل ولم يفلت كثيرون منهم من عمليات الاستدراج، فكأن هناك قراراً صدر عن مجموعة قيادات فاعلة مؤثرة بتسييس هذا الشعب ودفعه للانخراط فيما يسمى زوراً بالعمل السياسي، فشاب مثلي كان يرى واجبه في الانصراف تماماً إلى الدعوة والعمل التربوي والنصح

للأمة المسلمين وعامتهم والقيام بركن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وجد نفسه فجأة مسوقاً إلى لجة عمل سياسي لم يكن يرغب فيه ولم يتطلع إليه ولم يبحث عنه، ولكنه نزل به كما ينزل القدر على من يتلون به.

سوف تكشف هذه المذكرات أنني قررت بكامل وعيي منذ نعومة أظفاري أن أكون عالماً ناصحاً للأمة ومريباً موجهاً لشبابها وطاقاتها، ومغذياً لفكرها بكل ما يرفده بعوامل القوة والصلاح، لكنني وجدت نفسي أعيش في فترة تاريخية مضطربة شاعت فيها التخبطات السياسية والانقلابات العسكرية. ففي مصر حدث انقلاب عسكري في عام ١٩٥٢ أتى بعبد الناصر إلى سدة السلطة - ولعبد الناصر قول مشهور كان يردده كثيراً: «نحن على موعد مع القدر»، وفي العراق وسوريا وقعت انقلابات عديدة، وفي الأردن جرت محاولات لم يكتب لها النجاح، ولم تكن إيران أحسن حالاً من غيرها ولا بلدان الخليج، فالمنطقة بأسرها كانت تموج بالفتن التي زادت وتيرتها بعد تأسيس دولة إسرائيل وما أعقبها من عمليات تشريد وتهجير الشعب الفلسطيني؛ ليدخل عصر شتات تاركاً الاستقرار في بلاده لأولئك الذين كانوا في الشتات وجيء بهم لفيماً إلى هذه الأرض المباركة تنفيذاً لوعده بلفور حين وعد من لا يملك من لا يستحق؛ وتتابع النكبات والمصائب وعم القلق المنطقة كلها وكان نصيب العراق وافرأ منه.

لقد بدأ الحس السياسي يتحرك لدي وأنا لم أزل بعد في الصف الخامس الابتدائي وكان عمري آنذاك اثنتي عشرة سنة حين نشأت في مدينة الفلوجة التي قدر لها أن تستقبل المشردين والمهجرين من أبناء فلسطين، وتودّع قوات متطوعة ونظامية تذهب للانتصار لفلسطين والفلسطينيين. وبدأت عوامل الخوف من المستقبل تغزو القلب الغض اليافع وتحدث فيه مختلف الآثار والمشاعر، ومع ذلك فقد كانت رغبتني أن أكون عالماً أتقن العلوم الشرعيّة وأمارس دوري الإصلاحية من منبر وبقلم وقرطاس لا بسيف وبندقية. ولكن الرياح جرت بما لا تشتهي السفن؛ فإذا بي في تلك السن

المبكرة أجد نفسي في دوامة يصعب أن يفلت منها أحد من دون أن يتأثر بأي مستوى من مستويات التأثير؛ ولذلك سأروي سيرتي منذ البداية حتى الاعتزال وما بعده سارداً الوقائع والحوادث كافة كما شاهدتها.

وقد قمت بتقسيم هذه السيرة إلى قسمين، الأول أفردت فيه الحديث عن تجربتي السياسية وآرائي ومواقفي المختلفة إزاء بعض القضايا السياسية، وقد آثرت أن أعرض ذلك أولاً ليكون القسم المتعلق بالولادة والنشأة والدراسة والأمور الشخصية بمثابة تعليل لما حدث مني في السيرة السياسيّة.. وإن كان المعتاد في كتابة السير أن يبدأ الكاتب في تناول الولادة والنشأة والتكوين وما إلى ذلك. أما القسم الثاني منها فقد خصصته لتناول الجوانب الإنسانية والشخصية وتجربتي العملية والفكرية منذ اعتزالي العمل السياسي وحتى تدوين هذه المذكرات.

وفي الختام أعدكم بأنني سأحاول أن أكون صريحاً، وسأقول ما لي وما عليّ دون مخافة من لوم أو عتاب. وحين أعلّق على أيّ حدث، فتعليقي ليس إلقاعة شخصية يمكن للقارئ أن يقبلها أو يرفضها، وما كنت لأغيّر في سرد الواقعة أو بيان الحدث ليستجيب لرأيي، لأنني التزمت أن أحافظ على روايتي صادقة كما هي بقطع النظر عن رأيي. وللقارئ أن يقرأ الحدث ويحكم عليه برؤيته الخاصّة وأن يقول رأيه فيه بقطع النظر عما ذهبت إليه.

طه جابر

القاهرة ٢٠١٥

القسم الأول

في هذا القسم الأول من المذكرات سوف أتناول علاقتي بالسياسة وكيف تغير موقفي منها بدءاً بموقف المشاهد والمراقب عن بعد والمحلل، ثم موقف المشارك الذي يخوض غمارها، وأخيراً أعرض لظروف اعتزالي العمل السياسي وأسباب ذلك. ولكن قبل هذا كله سوف أعرض لأوضاع العراق العامة في حقبة الخمسينيات وقبل وقوع الانقلاب العسكري عام ١٩٥٨.

الفصل الأول:

بدايات تشكّل الوعي السياسي

العراق في نهاية العصر الهاشمي

كانت الأجواء في المنطقة - كلّها - حين وقع العدوان الثلاثي^(١) على مصر في أكتوبر سنة (١٩٥٦م) أجواء حرب واضطراب واحتقان سياسي وتذبذب اقتصادي؛ حيث كسر عبد الناصر (ت ١٩٧٠) قبل ذلك بعدة أشهر احتكار السلاح، واستطاع أن يغيّر مصادر تسليح الجيش المصري^(٢)،

(١) العدوان الثلاثي حرب شنتها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر عام ١٩٥٦ لأنها أمتت قناة السويس، أي جعلت شركة قناة السويس حكومية تعود أرباحها للحكومة . (أنظر ، الموسوعة العربية، مادة «العدوان الثلاثي على مصر» ، <http://www.arabency.com/> ، index.php?module=pnEncyclopediafunc=display_termid=159345 . المحقق .

(٢) كان تسليح العالم العربي حتى منتصف القرن العشرين قاصراً على دول غرب أوروبا والولايات المتحدة وكان يطلق عليها آنذاك (المعسكر الغربي)، أما دول شرق القارة الأوروبية مضافاً إليها الاتحاد السوفياتي فكان يطلق عليها (المعسكر الشرقي) وهذا المعسكر الأخير كان =

وعارض «حلف بغداد»^(١)، وألقى باللائمة على النظام العراقي الذي هدد الأمن العربي بتحالفه مع تركيا التي لم تنس - كما زعم - مطامعها في بلاد العرب والذي سمح للغرب باستعمار العراق بطريقة مغايرة، لقد أدت سياسات عبد الناصر منذ منتصف الخمسينات - والتي تمثلت في الانفتاح على الشرق بدلاً من الغرب، وتأميم قناة السويس رداً على سحب أمريكا عرضها تمويل السدّ العالي - أدّى ذلك كلّهُ إلى شحن أجواء المنطقة بالتوتر ووجدت حالة تعبئة متقابلة، غير متكافئة، ومع قيام «كتلة عدم الانحياز» لم تتغيّر أجواء الحرب الباردة كثيراً، وكثراً عرباً وعراقيين نتابع ونقرأ وتفاعل مع كل تلك الأحداث، ونفعل بها.

وبالنسبة إليّ كان التوجه الإسلاميّ توجّهاً أساسياً، ورغم ذلك لم أكن أشعر بعداء لعبد الناصر مثلما كان يفعل المتممون إلى جماعة الإخوان مثلاً.

= مؤمناً بالشيوعية على حين كان المعسكر الغربي مؤمناً بالليبرالية، وكان بينهما صراعات على مناطق النفوذ في العالم ومن ضمنها المنطقة العربية، وقد استطاع عبد الناصر في منتصف الخمسينيات أن يوقع اتفاقية مع دولة تشيكوسلوفاكيا من المعسكر الشرقي بمقتضاها يتم تسليم الجيش المصري بأسلحة من المعسكر الشرقي فعد ذلك كسراً لاحتكار المعسكر الغربي توريد السلاح لمصر والمنطقة العربية]. أنظر، رياض الصيداوي، معارك عبد الناصر (بيروت: مركز الوطن العربي للأبحاث والنشر، ٢٠٠٣)، ص ٣٤ - ٣٧ - المؤلف].

(١) حلف بغداد هو تحالف سياسي نشأ عام ١٩٥٥ بين الدول المشرقية التي كانت تميل إلى سياسات المعسكر الغربي، وقد شاركت فيه كل من العراق في العصر الملكي، وإيران، وتركيا، وباكستان إلى جانب المملكة المتحدة، وقد استهدف مواجهة المد الشيوعي في هذه المنطقة، وبمقتضى هذا الحلف تعهدت بريطانيا بتقديم مساعدات عسكرية واقتصادية وخبرات فنية إلى حكومات هذه البلدان، وقد اتخذ عبد الناصر موقفاً عدائياً من هذا الحلف واعتبره محاولة من الدول الاستعمارية الغربية للبقاء والاستمرار في المنطقة في مواجهة موجة التحرر والاستقلال الوطني التي بدأت تجتاحها. [ليلى ياسين الأمير، حلف بغداد وأثره في العلاقات العراقية - العربية حتى عام ١٩٥٨، (بغداد؛ البصرة: مكتبة اليقظة العربية بغداد ومكتبة الفكر العربي البصرة، ٢٠٠٢) - المحقق].

وتوجهي هذا لم يكن ليسمح لي أن أندفع لأن أكون ناصرياً أنادي بالاشتراكية والقومية كما فعل الكثيرون، ولهذا لم أستطع أن أخفي إعجابي بعبد الناصر وبما أقدم عليه من تأمين للقناة وكسر لاحتكار السلاح ومعارضة حلف بغداد، والحقيقة أنني لم أكن أعرف في ذلك الوقت حقيقة حلف بغداد وهل تجب محاربته أم لا؟ وما هي السلبيات أو الإيجابيات التي يمكن أن يحققها الانضمام إليه، وشأني في ذلك شأن ملايين الشباب العربي الذين يؤيدون أو يشجبون مسوقين بعصا العاطفة والعقل الجمعي الذي يصوغه الإعلام. ورغم ذلك فقد كنت أرفض أي تحالف مع الإنجليز الذين كانوا يحتلون بلادي، وساعدوا على ضياع فلسطين وغرس الكيان الصهيوني فيها، هكذا صوروا الأمر لنا وهكذا فهمناه أو أفهمناه في حينه!!

لم يكن أحد يجروء أن يقول غير ما تقوله «صوت العرب» - آنذاك - على لسان مذيعها الشهير أحمد سعيد حتى على مستوى القول بأنه كان بالإمكان أن يؤخذ الأمر بشكل آخر يعود على العرب ببعض المنافع، ومما أذكره أن صديقي د. علاء الدين خرُوفه وهو طالب عراقي كان يدرس بالأزهر كتب رسالة إلى الصحفي المصري محمد التابعي، يعتب عليه مقاله ضد نوري السعيد (ت: ١٩٥٨م) ولم يزد فيها عن قوله: «لو ادخرت بعض هذه الألقاب التي أضفيتها على نوري السعيد لقيادات الصهيونية والدولة العبرية؛ إذ لا أعرف في القاموس ألقاباً سيئة أخرى يمكنك استخدامها ضدهم بعد أن أفرغت كل ما في جعبتك على نوري السعيد» فإذا بالمباحث المصرية تتوجه إلى الرواق العباسي بالجامع الأزهر لإلقاء القبض عليه، ولكنه استطاع أن يختفي عند صديق له؛ فقد كان الشيخ علاء لديه ملحق في درس واحد لو لم يكمله لخسر شهادته الجامعية، وبقي مختفياً إلى يوم الامتحان حيث تسلل إلى قاعة الامتحان متخفياً وجلس مع الممتحنين، وجاءت الشرطة للقبض عليه؛ فرفض المشايخ الممتحنون السماح لهم بذلك إلا بعد أن ينهي الامتحان؛ فانتظروا حتى سلّم ورقة الإجابة واقتادوه إلى سجن القلعة ومنها إلى سجن الأجانب إلى أن تم ترحيله إلى بغداد.

وبسبب هذه الملاحظات الأمنية لم يكن هناك من يجرؤ على الجهر برأي مخالف لما كان يراه النظام الناصري حتى وإن كانت على المستوى البسيط الذي مارسه الشيخ خزّوفة؛ إذ «لا صوت يعلو على صوت المعركة» وإذا كان العرب في معارك دائمة مستمرة داخلية وخارجية منذ استيلاء الخليفة الأمويّ الأول على السلطة حتى يومنا هذا، فذلك يعني أنّهم عاشوا وما زالوا يعيشون أطول فترة «أحكام طوارئ وأحكام عرفية وإستثنائية في التاريخ البشريّ كله».

شهدت في السنوات الأولى من حياتي حكم ملكين من ملوك النظام الملكيّ الهاشميّ الثلاثة، فقد أدركت شيئاً من سنوات الملك غازي الأول (ت: ١٩٣٩م)^(١) في مرحلة طفولتي، وشهدت شيئاً من مواكب العزاء التي

(١) تولى غازي الأول بعد وفاة أبيه فيصل الأول في سبتمبر (١٩٣٣م) وكان عمره إحدى وعشرين عاماً. واجه في سنوات حكمه أزمات عديدة فاقت قدراته السياسيّة، وقد توفي في حادث سيارة عام (١٩٣٦م) وحامت الشكوك بأنه حادث مدبر، لأنه لم يكن يخفي رغبته في تخلص العراق من الهيمنة البريطانيّة. وكان قد أسس في قصره المعروف «بقصر الزهور» إذاعة يعبر بها عن وجهة نظرة في مختلف القضايا، وكان من آخر ما ركز عليه المناداة بسيادة العراق على الكويت، وضرورة تحريرها من حكم بريطانيا وضمها إلى الوطن الأم.. العراق. وكان له مؤيدون كثيرون من أبناء الكويت وكذلك ساند القضية الفلسطينيّة بقوة ويقال بأنه كان على اتصال مع ألمانيا النازية. ويشير الأستاذ رجاء حسن الخطاب، إلى وثيقة بريطانية يطالب فيها السفير البريطاني في بغداد تصفية غازي. [انظر، المسؤولية التاريخية في مقتل الملك غازي (بغداد: دار أفاق عربيّة، [د.ت.]. ص ١١ - ١٢]. ولم يترك غازي سوى طفله الوحيد فيصل في الثالثة من عمره، وقد أنجبه من ابنة عمّة الملكة عالية ابنة الملك «علي» فرشحت أخاها عبد الإله ليكون وصياً على عرش ولدها فيصل حتى يبلغ، ويتسلّم الملك. وبعد أن بلغ فيصل الثامنة عشرة من العمر تُوديّ به ملكاً في أيار (١٩٥٣م) باسم «فيصل الثاني» وألغيت عنه الوصاية، وعيّن خاله الوصيّ السابق وليّاً للعهد إلى أن قتل في الرابع عشر من تموز (١٩٥٨م) مع فيصل وبقية أعضاء الأسرة المالكة ومثّل به تمثيلاً شنيعاً. [وجدت فتحي صفوت، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب (بغداد، منشورات المكتبة العصرية، ١٩٦٩)، =

نظمت بعد اغتياله واستمعت إلى بعض الأهازيج والقصائد في رثائه، وما زالت ذاكرتي تحتفظ ببعضها، ثم عاصرت وأنا يافع فترة الوصي على العرش عبد الإله وابن أخته الملك فيصل الثاني.

ولا أذكر أنني مارست عملاً سياسياً يذكر آنذاك، اللهم إلا إذا اعتبرت خطبي أيام الجمعة وانتقادي الأوضاع العامة وعلاقة الدولة بالإسلام في المسجد نوعاً من الممارسة السياسيّة. ولكنني أذكر أنني أرسلت مرة برسالة إلى إذاعة «صوت العرب»^(١) من بغداد اقترحت عليهم فيها بعض المقترحات، ويبدو أنّ الرسالة قد التقطتها الأجهزة الرقابية فاستدعتني الشعبة الخاصة فيما كان يعرف في ذلك العهد بالتحقيقات الجنائية، حيث كان الأمن السياسي في تلك المرحلة لا يتجاوز كونه قسماً أو شعبة صغيرة ملحقة بالتحقيقات الجنائية، وسألوني عن الرسالة وسبب إرسالها؛ فأخبرت المحقق بأنني لا أجد ما يمنع أو ما يخالف مهمتي في تقديم النصح أن أقدم لصوت العرب أو أية مؤسسة عربيّة أخرى مقترحات تستهدف الإصلاح.

= ص ١٣٥]. ويقول السياسي القومي العربي عبدالكريم فرحان بأن الوصي عبدالإله (خال الملك غازي) كان متورطاً مع الإنكليز في قتل الملك غازي (انظر، حصاد ثورة، ص ١٣٦). ويؤكد الأستاذ عبدالرحمن الجليلي شكوك العراقيين بأن قتل الملك غازي لم يكن حادثاً بل مؤامرة اشترك فيه الإنكليز ودوائر عراقية. [انظر، الملك غازي وقاتلوه (لندن: دار الحكومة، ١٩٩٣)، ص ١٩٠ - ١٩١ - المحقق].

(١) كانت هذه الإذاعة في القاهرة وتابعة للرئيس جمال عبدالناصر وعرفت بتأثيرها القوي في العالم العربي آنذاك. وكان الشيوعيون في العراق كثيراً ما يحاولون السخرية من «صوت العرب»، فيدسّون عليها أخباراً لا يملك العراقيون عند سماعهم لها أنفسهم من الضحك. فهناك سيده اسمها «حسنه المخلص» ترمي بسوء السلوك. وكذلك «عبّاس بيّزة» فيوصل بعض الشيوعيين أخباراً لصوت العرب مثل «خرجت مظاهرة حاشدة في بغداد بقيادة المناضلة حسنة المخلص أو المناضل عباس بيّزة هتفت بسقوط النظام القاسمي...» (المؤلف).

جذور المشكلة الطائفية: النظام الملكي

تشكل النظام الملكي العراقي بعد ثورة العشرين من مجموعة من ضباط ومتعلمين تخرجوا في المدارس والمعاهد العثمانية التركية في الفترة التي صاحبت استيلاء مجموعة الاتحاد والترقي (١٩٠٨ - ١٩١٨) على مقاليد الأمور في استانبول، وكان يغلب على أفكار هؤلاء التوجه القومي العروبي الوحدوي الذي كان سائداً في ذلك الوقت ببساطته التي لا تتجاوز إيجاد دولة عربية كبرى تحت لواء قيادة عربية تستطيع توحيد البلاد العربية كلها تحت رايتها، وتخرجها من الهيمنة التركية التي بدأت توجهاتها القومية تظهر إلى العلن على أيدي جماعة الاتحاد والترقي، وتعصّبها ضد العرب لم يعد مستتراً.

وكان هؤلاء، رغم أهدافهم العروبية وتوجهاتهم القومية، لم يتجاهلوا الأبعاد الدولية والإقليمية؛ كما كان السياسيون منهم - وفي مقدمتهم نوري السعيد - يولون هذه الأبعاد أهمية ضمن سياساتهم الرامية لخدمة العراق وتكريس أدواره الإقليمية والدولية وتدعيم كيانه؛ فحاولوا الموازنة بين عروبة العراق وتركيبته السكانية من جهة وبين موقعه الجغرافي والسياسات الإقليمية من جهة أخرى، وقد أحرزوا نجاحاً ملحوظاً في تدعيم مكانة العراق حتى أصبح العراق دولة إقليمية لها وزنها بجوار مصر، ولو أنهم التفتوا إلى الداخل مثلما التفتوا إلى الخارج لربما استطاعوا بناء لحمة أقوى بين المكونات العراقية، لكن استصحابهم للإرث التركي في العلاقة بين الأكراد والأتراك الذي جعل الهاشميين يفشلون في كسب مودة بعض القوى الكردية الفاعلة مثل البارزانيين، بالإضافة إلى أن أكراد السليمانية لم ينسوا أنهم قد أقاموا دولة كردية بقيادة الشيخ محمود الحفيد (٩٥٦ - ١٨٨١)^(١)، الذي

(١) هو محمود بن الشيخ سعيد كاكّا أحمد بن الشيخ معروف البرزنجي ولد في السليمانية ١٨٨١م محلة (كاني اسكان) ، ولقبّ بالحفيد نسبة إلى جدهم العالم الكبير الشيخ كاكّا أحمد الحفيد=

أعلن ملكاً على مملكة السلیمانیة ١٩١٩ ثم أسقط بتعاون الحكومة المركزية في بغداد مع حلفائها البريطانيين بعد فترة وجيزة. ومع أنّ العهد الملكي قد استقطب عناصر كردية كثيرة فقد كان سعيد قزاز^(١) وزيراً للداخلية لفترات طويلة، فضلاً عن أن رئيس أركان الجيش في أحيان كثيرة كان يختار من بين الضباط الأكراد، ووصل بعضهم إلى قيادة الفرق،^(٢) ورغم ذلك فإنّ جهود

= دفين السليمانية وصاحب المرقد المشهور فيها. قاد كتائب الفرسان الكردية، إلى «الشعبية» بلواء البصرة في جنوبي العراق لمحاربة القوات الإنكليزية الغازية، عام ١٩١٤ م. وكان عدد الكرد المشتركين في تلك المعركة ثلاثة آلاف مقاتل وظهرت اهزوجة شعبية انذاك ردها الناس بنوعين.

ثلثين الجنة لهادينا

وثلثها لكاك احمد واولاده

أو : ثلثين الجنة لهادينا وثلثها لكاك احمد واكراده). وانشد الشاعر الشيخ محمد سعيد الحبوبي بيتين في قصيدته المشهورة قائلاً :

السيف والخنجر ازهارنا

اف على الريحان والاس

شرابنا من دم اعدائنا

وكأسنا جمجمة الرأس

(أنظر، إيمان البستاني، «الشيخ محمود الحفيد... ملك كردستان»، ٢ - ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٢، مجلة كاردينيا). المحقق.

(١) ولد محمد سعيد بن مرزا بن حاج أحمد قزاز عام ١٩٠٤ في مدينة سليمانية. تقلد مناصب إدارية وعسكرية عديدة. وعرف بكفاءته وإخلاصه في العمل وقد انقذ مدينة بغداد من فيضانات كانت تهددها في بداية الخمسينيات حين كان وزيراً للداخلية. كان نزيهاً وصارماً واعدمه قاسم وعرف بموقفه الجريء اثناء محاكمته أمام محكمة المهداوي سيئة الصيت. [زهير كاظم عبود، لمحات عن تاريخ سعيد قزاز، (أربيل: دار ثاراس، [د.ت.])، ص ٥٤ - ٥٨]. المحقق.

(٢) يقول السفير البريطاني في بغداد في تقرير له بعنوان: «الاتجاهات السياسية بين ضباط الجيش العراقية»، بأن هناك تدمر واضح بين ضباط العرب لأعتقادهم بأن العائلة المالكة الهاشمية تعتمد وتتق بضباط من الكرد والتركمان أكثر من اعتمادها على العرب

FO 370/2719 "Political Affiliation of Iraqi Officers" May29, 1963. Foreign Office, B.G Birkmyre. - المحقق.

بناء العلاقات الاجتماعية كانت محدودة ولم ترق إلى مستوى تحقيق وحدة وطنية حقيقية تذوب في محيطها النزعات الطائفية والعرقية أو يكون فيها من التوازن ما يجعل تلك الخصوصيات سنداً وتعزيزاً للإطار العام^(١).

ولم يختلف الحال بالنسبة للتركمان فمع أن العهد الملكي لم يتأخر في العناية بإرضاء الأقليات وإعطائها مواقع حساسة في الجيش والشرطة وفي بقية أجهزة الدولة لكن ذلك لم يكن يجري وفق سياسة عامة تستهدف إذابة مشاعر الفرقة والانقسام، وتحقق وحدة وطنية بين مختلف الأطراف، ولو أنهم التفتوا بقدر كافٍ إلى التعليم ولم يعهدوا به إلى ساطع الحصري (ت ١٩٦٨م)^(٢)،

(١) كتب الملك فيصل الأول في عام ١٩٣١ مذكرة مشهورة جاء فيها «إن البلاد العراقية هي جملة من البلدان التي ينقصها أهم عنصر من عناصر الحياة الاجتماعية ذلك هو الوحدة الفكرية والقومية والدينية فهي والحالة هذه مبعثرة القوى منقسمة على بعضها وبالاختصار أقول وقلبي يملؤه الأسى أنه في اعتقادي لا يوجد في العراق شعب عراقي بعد بل توجد كتلات بشرية خالية من أي فكرة وطنية، هذا هو الشعب الذي أخذت مهمة تكوينه على عاتقي» [أنظر، سيار الجميل، «العراق والتجربة التكوينية.. مشروع دولة متمدنة»، جريدة المؤتمر: ١٨ كانون الأول ٢٠١٣]. المحقق.

(٢) ساطع بن محمد هلال الحصري، ولد في صنعاء باليمن في ٥ آب ١٨٧٩، وكان أبوه موظفاً فيها، ثم درس في المدارس التركية العصرية وتخرج فيها ونال عدة وظائف تعليمية وإدارية، وكان مديراً لدار المعلمين في استنبول، ثم عين محافظاً لبعض الولايات في البلقان، وكانت نزعتة طورانية تركية بحثة، وعمل مع جمعية الإتحاد والترقي، وقد نشر عدة مقالات في الدعوة إلى الطورانية والترريك في مجلة (تورك أوجاغي) بتوقيع: م ساطع، أي مصطفى ساطع، ثم انقلب بين عشية وضحاها ليصبح رائداً من رواد القومية العربية وكانت في لغته رطانة. وكان قد شغل عدة مناصب في بلاط السلطان عبد الحميد الثاني حتى سقوط دولة الخلافة العثمانية ثم رحل إلى دمشق عام ١٩١٩. تولى في دمشق منصب وزير التعليم وعمل على وضع مناهج التعليم العربية وكانت له علاقات مع كبار المفكرين والعلماء في سوريا إلى أن خلع الملك فيصل الأول عام ١٩٢٠. ثم تولى الملك فيصل الأول عرش العراق وجاء معه ساطع الحصري، وعينه معاوناً لوزير المعارف ثم مديراً للآثار وتولى إدارة دار المعلمين العالية في=

وأمثاله من القيادات القوميّة العربيّة،^(١) ووضعوا خطة شاملة لتحقيق وحدة وطنيّة وإيجاد وحدة ثقافيّة بين المواطنين تجعل الانتماء الخاص يصب في الإطار العام ويدعمه؛ لربما تحققت وحدة وطنيّة تحمي الشعب من التمزق الذي عانى وما زال يعاني منه، لكن نوري السعيد اعتمد سياسة الاستقطاب الفرديّ، فكان كلما برز شخص ذو كفاءة في طائفة أو قومية عمل على استقطابه، ولهذا ضم حزبه وحكوماته العديدة عناصر كثيرة من الشيعة ومن الأكراد والتركمان، ولم يهمل نوري كذلك استقطاب بعض اليهود والنصارى والصابئة، ولا يستطيع جيلي أن ينسى أن مدير أول جامعة تأسست في العراق، جامعة بغداد، كان صابئياً من العلماء المشهود لهم، وحينما قتل نوري السعيد وقام انقلاب تموز وكان رئيس الوزراء شيعياً هو عبد الوهاب مرجان، ووزير الداخلية كردياً هو سعيد قزاز، إضافة إلى أعداد أخرى من قيادات الحكومة والدولة.

نجح العهد الملكي إذاً في التغطية على الاتجاهات الطائفيّة والعنصريّة والاختلافات المذهبيّة، إلا أنه لم ينجح في إيجاد النسيج المتماسك من تلك الخارطة الاجتماعيّة العجيبة، كما أنّ الفترة الزمانيّة الملكيّة التي لم تتجاوز ثمانية وثلاثين عاماً (١٩٢١ - ١٩٥٨) لم تكن كافية لإحداث تغييرات عميقة

= بغداد، وكان الحصري علمانياً فلم يبد اهتماماً بدروس الدين في المناهج المدرسية. عين مديراً لمعهد البحوث والدراسات العربيّة في القاهرة عام ١٩٥٣م. وفي سنة ١٩٦٥م، عاد إلى العراق وتوفي في بغداد في ٢٣/ ديسمبر/ كانون الأول (جمال سلامة علي، من النيل إلى الفرات.. مصر وسوريا، تحديات الصراع العربي الإسرائيلي (بيروت: دار النهضة العربيّة، ٢٠٠٣)، ص ٢٥ - ٢٧). المحقق.

(١) كان الحصري مثلاً للأحادية الفكرية الذي يرفض التعددية الثقافيّة ويعمل لفرض الثقافة العربيّة على الكرد والتركمان ويضع كل العراقيين أمام القوانين التي اقترتها الإدارة البريطانيّة والتي تدعو إلى تطوير الدراسة الكرديّة. وكان يردد دوماً كل من يعيش في العراق هو عربي ويجب أن يتعلم بالعربيّة فقط. [ساطع الحصري، آراء وأحاديث في القوميّة والوطنية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، ١٩٨٥) ص ٢٩] - المحقق.

في نفسية وعقلية العراقيين من مختلف الطوائف، فإن أضفنا لذلك أن تلك الأعوام لم تكن أعوام استقرار بحيث تسمح بالامتزاج المدروس بين تلك المكونات المتباينة؛ نستطيع أن نتبين لماذا بقي النسيج العراقي مهلهلاً حتى السقوط. ولذلك فإن الدرس الأهم الذي ينبغي استخلاصه من ذلك العهد هو: ضرورة إعطاء عملية توحيد الشعب بأكمله حظها من الاهتمام في التعلم والتخطيط والمتابعة وعدم الاكتفاء بالأمر المظهرية أو الاعتماد على سياسة الاستقطابات والولاءات الفردية.

لذلك في نظري أن العهد الملكي في العراق لم يسهم بشكل مباشر في بذل بذور الطائفية لكن الإنكليز الذين رشحوا (الملك فيصل) ورجحوا كفته على سائر الخيارات الأخرى كانوا قد قرروا أن يسندوا أول نظام للعراق المستقل للسنة لأسباب عديدة أهمها: أن الشيعة في نظر الحكام البريطانيين آنذاك حملوا مسؤولية تصدر ثورة العشرين التي فرضت على بريطانيا التحول من الاحتلال إلى الانتداب، وأن السنة كان لهم إسهام في ثورة العشرين من خلال اغتيال الشيخ ضاري للكولونيل (لاتشمن) والمظاهرات السنوية التي اجتاحت بغداد والأعظمية والكاظمية وسواها، لكن الدور الحاسم في ثورة العشرين كان دور رجال الدين و شيوخ العشائر وغالبيتهم العظمى من الشيعة، لذلك أفتى علماء الشيعة آنذاك بتحريم التعاون مع المحتل البريطاني وتحريم الانتماء إلى الحكومة التي أسسها برئاسة (عبدالرحمن النقيب ومن ثم فيصل بن الحسين) وبقيت تلك الفترة سارية حتى عام ألف وتسعمائة وثمانية وعشرين (١٩٢٨) ميلادياً حين رأى الشيعة أنهم قد فاتهم الكثير وأن السنة قد يستبدون بحكم العراق في المستقبل كما أن الكرد كانت لهم مساهمتهم في ثورة العشرين، ومنهم قبائل مشهورة شارك شيوخها ورجالها في تلك الثورة ولذلك كانت القيادات السنوية التي عرفتها بريطانيا أثناء خدمتها في الدولة العثمانية وشاركت في انهيار تلك الدولة ومنهم: (نوري السعيد)، و(جعفر العسكري)، و(علي جودت الأيوبي) ومن إليهم - قد تصدروا

المشهد السياسي آنذاك لكن الهاشميين حاولوا أن يستقطبوا كثيراً من الأسر الشيعية وشيوخ العشائر، ومنهم بعض رجال ثورة العشرين، ويعززوا من مكانة العلماء لايجاد نوع من التوازن، والتوافق الاجتماعي فاستقطبوا شيوخاً مثل: محسن أبو طبيخ، والحاج عبد الواحد السكر، وبيوت علم مثل: (آل كاشف الغطاء)، و(الخالصية)، و(الحبوبي) ومن إليهم. كما أن وجود العسكر مثل: (نوري السعيد)، و(جعفر العسكري) جعلهم يدركون أهمية الجندي الكردي حينما تكرر تأسيس الجيش وشجاعته وانضباطه؛ فساد عُرف غير مكتوب بأن يكون ضباط الجيش من السنة العرب وجنود وضباط صفه وبعض قياداته البارزة من الكرد وضباط الصف من الجنوب والفرات الأوسط ومن خلال تشكيلة مجلس الحكم الذي أسسته بريطانيا بعد ثورة العشرين من أربع وعشرين، حاولت أن تمثل فيه بشكل شبه عشوائي ألوان الطيف العراقي لكن الشيعة بقي شعورهم بأن ثورة العشرين ثورتهم وأن عمليات تحرير العراق دفعوا ثمنها وحرموا ثمارها وأن (فيصل الأول) رغم قدراته السياسية وما كان يمثل لم يستطع أن ينتزع من عقول القيادات الشيعية وقلوبها الإحساس بالمظلومية والحرمان من الحقوق المتكافئة ورغم تأكيدات رجال الأسرة الهاشمية ومنهم: (ملك الاردن عبدالله بن الحسين) و(فيصل بن الحسن ملك العراق الأول) للقيادات الشيعية أنهم موضع احترام وتقدير كلي من الأسرة الهاشمية لكن شعورهم بالغصة من خلال نظرتهم إلى الإجراءات البريطانية وأنها إجراءات تنفذ بأيدي الهاشميين بقيت معهم إلى يومنا هذا على وجه التقريب^(١).

(١) والناظر في تاريخ الوزارات العراقية والعراق بين احتلالين، والوثائق البريطانية لمرحلة العشرينات من القرن الماضي لا يعدم أن يجد أن الطائفية، وإن كانت أمراً واقعاً وموروثاً من العهد العثماني، لكن لم تبدل أي جهود تستحق الذكر للتخلص منها ودمج العراقيين في كيان موحد سليم. فيشير السيد جواد هاشم في كتابه مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام، (لندن: دار الساقى، ٢٠٠٣)، الصفحة ٤٩، إلى حادثة مهمة تؤكد التزام الدولة العراقية بالطائفية منذ=

مجلس السيادة وانقلاب تموز

وبعد انقلاب تموز تم تشكيل مجلس قياديّ جماعيّ للحكم عرف باسم «مجلس السيادة»^(١)، الذي حل محل الملك والوزارة، وتركيبته تعدّ من -

= العهد الملكي، وما تعرض له السيد جواد في عدم قبوله بكلية الطيران، بالرغم من المكانة الاجتماعية والإمكانات المالية التي تميز بها والده وعائلته، تدل بشكل واضح وصريح ما كان يدور في أروقة الدولة العراقية. واستمرت الطائفية في العهد الجمهوري بأشكال متعددة. وينقل الدكتور خالد التميمي، عن أحد الشخصيات الشيعية من آل كاشف الغطاء قوله «بأن الزعامات السياسية السنوية يحاربون الطائفية في الجهر ويمارسونها عملياً حالما يصلون للسلطة» [أنظر، محمد جعفر أبو التمن، دراسة في الزعامة السياسية العراقية (دمشق: دار الوراق، ١٩٩٦)، ص ٣٥٢]. ومع توسع قاعدة الجيش وظهور الحاجة إلى ضباط عراقيين وتأسيس الكلية العسكرية والمدارس الأخرى، سمح بقبول عدد من الطلاب في الكلية العسكرية من أبناء الفرات الأوسط والمحافظات الجنوبية، ولكن بنسبة لا تزيد عن ٧٪ فقط في حين كانت نسبة القبول للأكراد والتركمان لا تقل عن ٢٠٪! ولم تتغير هذه النسبة للعرب الشيعة حتى بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ مع فرض قيود أخرى تحدد من تدرجهم في سلم القيادة والمناصب المهمة، وكانوا على الدوام محل الشبهة والمراقبة! فإذا برزت الطائفية اليوم بوجهها القبيح هذا الذي نشاهده ونراه فذلك لإضافة العاملين الإسرائيلي والغربي باعتبارهما المفاعلان الجديان اللذان أضيفا إلى المعادلة لتمزيق العراق وتدمير وحدته. كما أضيف إليه العامل الإيراني كمفاعل آخر في تأزيم المسألة الطائفية واستغلال الشعور بالظلم عند الشيعة العراقيين والفراغ والفوضى السياسيين اللذين خلّفهما سقوط نظام صدام حسين لفرض هيمنتها على العراق. وعليه فأن تفاعل مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية يقف وراء هذه الصراعات الدموية الطائفية التي يشهدها العراق اليوم. وأصبح العراق بلد مباح وأرضه مفتوح للصراع المكشوف وملعب متاح للتأجير أو الاغتصاب والاستلاء؛ ليمارس فيها اللاعبون لعبة الأمم. أن هذه الشهادات تؤكد بأن الاحزاب العلمانية العراقية التي تتهم الإسلاميين بالطائفية هي التي أصلت للطائفية وعمقتها الخط المتشدد الاسلامي المستورد من الخارج إلى الساحة العراقية والتي ظهرت بعد سقوط نظام صدام. - المحقق.

(١) مجلس السيادة: شكله عبدالكريم قاسم في اليوم الأول من الانقلاب على غرار مجلس السيادة في السودان ليقوم بمهام رئاسة الجمهورية، ويتألف من ثلاثة أعضاء، يترأسه الفريق الركن محمد نجيب الربيعي، ومن أعضاءه العقيد خالد النقشبندي ومحمد مهدي كبة. انظر جريدة=

وجهة نظري - أول اعتراف رسمي بقابلية العراق للتقسيم الطائفي والقومي بين السنة والشيعة والعرب والأكراد، بل يمكن القول إنه كان حجر الأساس لما جرى بعد ذلك؛ فانقلاب ١٤ تموز كان المفترض أن يكون وراءه إيمان الانقلابيين وغالبية العراقيين - آنذاك - بضرورة ضم العراق إلى دولة الوحدة العربية الناشئة بين «مصر وسوريا» التي أعلن عن قيامها في شباط ١٩٥٨ باعتبارها الإقليم الشرقي. وبذلك تنبثق دولة عربية كبرى تحقق شيئاً من حلم العرب الذين ثاروا من أجله في مطلع القرن على إخوانهم الأتراك وتحالفوا مع الإنكليز لأجل تحقيق حلم «الوحدة العربية» التي تعهدت بريطانيا بتحقيقها للشريف حسين^(١) وتنصيبه ملكاً على المملكة العربية الموحدة، ثم

= الوقائع العراقية: العدد الأول، السنة الأولى، ٢٣ / ٧ / ١٩٥٨ م. شكل النظام الجديد حكومة سياسية لإدارة الوضع العراقي كانت تركيبة الحكومة السياسية تعكس التكوين السياسي للمجتمع العراقي والاجتماعي كذلك فمجلس السيادة تكون من ثلاث شخصيات معبرة عن التركيبة الاجتماعية - السياسية والقومية للمجتمع العراقي. وفي عام ١٩٥٩ الغى المجلس وانفرد قاسم بالحكم. المؤلف.

(١) كان الشريف حسين حاكم الحجاز - (ت ١٩٣١) يكن كراهية شديدة لابن سعود (ت ١٩٥٣)؛ لأنه وقف بعناد أمام مطامحه وآماله كملك للعرب، لذلك كان كثيراً ما يتعاون مع أعدائه ويمدهم بالمال والسلاح لقتاله، فساند آل رشيد وآل عائض التي كانت علاقاتهما متوترة للغاية، ولم تفلح وساطات الإنجليز في تخفيف حدة العداء بينهما، ولم يكن يفصل بين نجد والحجاز سوى جبل حضن الذي تقع فيه قريتي الخرمة وتربة التي اختلف عليهما العاهلان، فاحتلها الشريف حسين بدعم من وزير الخارجية البريطاني كيرزون، أما حكومة الهند التابعة للإنجليز فكانت تؤيد «ابن سعود»، ومالت الأجهزة البريطانية إلى التحزب لأرائها، غير أن العلاقة بين الشريف حسين والإنجليز تصدعت مع إعلان الحسين نفسه خليفة للمسلمين دون التشاور مع الإنجليز الذين كانوا يريدون القضاء على فكرة الخلافة إلى الأبد، فمالت الكفة لصالح ابن سعود ونجحت القوات السعودية في الاستيلاء على «تربة» بعد الانتصار على الهاشميين وبذلك أصبح الطريق مفتوحاً إلى باقي المدن الحجازية، فاستولى آل سعود على الطائف، وأصبح الطريق مفتوحاً إلى مكة، فدخلوها محرمين بالعمرة منكسي الأسلحة في (أكتوبر ١٩٢٤م) ثم واصلت القوات السعودية سيرها فدخلت ميناء رابغ وقنفذة وينبع، =

جمّدت فكرة «الوحدة» منذ ذلك الحين، إلى أن أحيا جمال عبد الناصر
الآمال بإمكان قيامها مع تأسيسه «الجمهورية العربيّة المتحدة» بقيادته.

وحتى ذلك الحين لم يكن لي دور سياسيّ يذكر فقد كنت شاباً أتابع
مثل أبناء جيلي ما يجري وكنت خلال خطبة الجمعة لا أتردد في تأييد ما
أظن صوابه، وانتقاد ما أعتقد بطلانه، وكانت لي صداقات مع مجموعات
مختلفة وأقربها إليّ مجموعات إسلاميّة من المستقلين وعناصر الأخوة
الإسلامية وحزب التحرير^(١) وبعض الخطباء الشباب من أمثالي، وقد تركت
مراقبة الأحداث والانفعال بها في النفس آثاراً مختلفة وأوجدت قناعة
بضرورة التغيير والإصلاح، وعدم رضا عن الممارسات التي كانت قائمة
والتي لم أقنع بأنها سوف تحقق التغيير المطلوب، وكنت أتابع خطب عبد
الناصر وأتأثر ببعض ما يطرحه، لكنني لم أوّمن بكل ما يطرحه، فقد كنت
استمع لكل من حولي وقد أقبل به أو أرفضه من دون أن أتجاوز دور
الخطيب الشاب الذي يشدد من المنبر على وسائل إعادة بناء الوعي وضرورة
سلوك طريق التغيير، وكان كثير من المسؤولين يحضرون خطبة وصلاة

= واستسلمت حامية المدينة المنورة. وحينئذ استولى عبد العزيز آل سعود على الحجاز وضمها
إلى دولته، ووضع التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية ونشرها في الجريدة الرسمية في
(١٩٢٦م)، ثم أنشأ مجلس الشورى بعد ذلك بـ١٢ شهراً وأسس رئاسته إلى ابنه فيصل، ومع
اتساع الدولة، رأى توحيد المملكة في اسمها بدلاً من لقب ملك الحجاز ونجد وملحقاتها
واستقر الرأي على اختيار اسم المملكة العربية السعودية وقام بعدة إصلاحات هامة داخل
المملكة فسعى للقضاء على الخلافات بين القبائل، واهتم بشؤون الحجيج وتوسعة الحرمين
الشريفيين، وأنشأ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجه عناية خاصة للتعليم ففتح
المدارس النظاميّة والمعاهد واهتم بالشؤون الصحية، وسعى للاستفادة من وسائل المدنيّة
الحديثة. (لوثروب ستودارد، وتعليق الامير شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي،
جزءان، ترجمة عجاج نويهض، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ط ٤، ١٩٧٣، وهبة
حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة، ١٩٤٦). المحقق.

(١) سنأتي على ذكر هذا الحزب بالتفصيل عند التطرق إلى الأحزاب الكبرى في بغداد، (المؤلف).

الجمعة خلفي، وبعضهم كان يجلس معي لفترات طويلة بعد الصلاة؛ مثل السيد خالد النقشبندي عضو مجلس السيادة، وبعض المصلّين من كبار المسؤولين والعسكريين.

كان نجاح الضباط المصريين بقيادة جمال عبد الناصر في القيام بالانقلاب عام (١٩٥٢م) واستبدال النظام الملكي بالجمهوريّ مشجعاً لكثير من الضباط في عدد من الدول العربية على التفكير في مغادرة الثكنات العسكريّة ولعب أدوار سياسيّة، فعبد الناصر لم يكن إلا ضابطاً برتبة مقدم، وهي نهاية الرتب الصغيرة وبداية الرتب المتوسطة، وأما محمد نجيب فقد بات شائعاً أنّه استغل الشباب ليكون واجهة لهم، وقد شاعت نكات وأقوال كثيرة بأنّ أي «بكباشي» - أي ضابط برتبة مقدم - يستطيع أن يقوم بانقلاب، ويصبح بين عشية وضحاها حاكماً لبلد ما، وكان الضباط العراقيّون من أكثر الضباط تطلعاً للعب هذه الأدوار، فما يزال كثير منهم يتذكرون ما فعلته بريطانيا في مطلع الأربعينيات داخل العراق إبان ما سمي بثورة رشيد عالي الكيلاني (ت: ١٩٦٥م)^(١).

(١) ولد الكيلاني في بعقوبة في محافظة ديالى بقرية السادة من عائلة سياسية لامعة حيث كان من أقرباء عبدالرحمن الكيلاني النقيب أول رئيس للوزراء في العراق. تقلد في العهد الملكي العديد من المناصب الوزارية، ثم ما لبث أن أصبح رئيساً للديوان الملكي في عهد الملك غازي الأول. وكان الكيلاني، سياسياً، ذو توجهات قومية عربية وكان من المعارضين لأي تدخل بريطاني في شؤون العراق. بنى موافقه المناهضة للإنكليز عرفاناً لآثار الملك غازي الذي عرف بالوطنية. شكل الكيلاني وزارته الجديدة والتي سميت بحكومة الإنقاذ الوطني، إبان الحرب العالمية الثانية في مايو/ أيار ١٩٤١، من الضباط القدامى من زملائه في الجمعيات السرية التي كانت تدعو لاستقلال العراق وهم القادة الأربعة المعروفون بالمرجع الذهبي برئاسة العقيد صلاح الدين الصباغ وهم كل من فهمي سعيد ومحمود سليمان وكامل شبيب، ويونس السباعوي، وقد أتمتد بشكل كبير مع حليفه مفتي القدس الشيخ أمين الحسيني على أنتصار دول المحور في الحرب العالمية الثانية. [أنظر، جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في العراق ١٩٤١ - ١٩٥٣، (النجف الأشرف: مطبعة النعمان، ١٩٧٦م الموافق ١٣٩٦هـ)] المحقق.

ولم يكن الانقلاب المصري (١٩٥٢) هو الدافع الوحيد الذي شجع العسكريين على الانقلاب؛ فالأنظمة السياسية في أيام الأزمات يزداد اعتمادها على المؤسسة العسكرية التي تصحح الأداة الوحيدة للدفاع عن الأنظمة القائمة وعندئذ يشعر العسكريون بأهمية دورهم وبقدرتهم على تسيير البلاد وتتولد بداخلهم الرغبة في الاستيلاء على السلطة التي لا تستطيع البقاء لولا حمايتهم لها. وقد شعر العسكريون العراقيون بذلك في أعقاب الانتفاضة الأولى (١٩٤١) ثم في الانتفاضة الثانية عام (١٩٥٢م) مع نزول الجيش إلى الشارع لتأمين الدولة وتعيين نور الدين محمود رئيساً للوزراء (في الفترة من ٢٣/١١/١٩٥٢ إلى ٢٩/١/١٩٥٣م)، وما تلا تلك المرحلة من عقد حلف بغداد واندلاع المظاهرات القومية واليسارية في الشارع العراقي وهو ما جعل المناخ مواتياً لإقامة تنظيمات عسكرية داخل الجيش استهدفت الإعداد لانقلاب عسكري وإسقاط الحكم الملكي، وإقامة الجمهورية والتخلص من الاستعمار البريطاني، إلى سائر المعزوفة التي كانت تقال آنذاك، وبذلك انحرفت الجيوش عن مهمتها في حماية الأوطان وأصبحت ذات وظيفة سياسية ألا وهي اختيار بدائل من القوات المسلحة لتحل محل الحكام السياسيين الذين قد يقعون في أزمات مع الدول ذات النفوذ في المنطقة، أو يكونون عقبة في وجه مشاريع سياسية يعمل على تنفيذها في المنطقة؛ ولذلك فقد نجح الانقلاب في ١٤ تموز بقوة بسيطة قادها عبد السلام عارف^(١)،

(١) ولد عبد السلام محمد عارف في ٢١ مارس، ١٩٢١ في مدينة بغداد، لعب دوراً هاماً في السياسة العراقية والعربية في ظروف دولية معقدة إبان الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي وشغل منصب أول رئيس للجمهورية العراقية من ٨ فبراير ١٩٦٣ إلى ١٣ أبريل ١٩٦٦ بعد أن كان هذا المنصب معلقاً منذ حركة تموز ١٩٥٨ التي أطاحت بالنظام الملكي. أصبح بعد نجاح ثورة ١٤ تموز الرجل الثاني في الدولة بعد العميد عبد الكريم قاسم. ثم حصل خلاف بينه وبين رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم وأدى ذلك إلى إعفاء عارف من مناصبه. ثم أبعده =

ببعض وحدات اللواء العشرين، ثم جاء عبد الكريم قاسم^(١) يقود اللواء

= قاسم بتعيينه سفيراً للعراق في ألمانيا الغربية، وبعدها أتهمه قاسم بتورطه في محاولة قلب نظام الحكم، فحكم عليه بالإعدام ثم خفف إلى السجن المؤبد ثم الإقامة الجبرية لعدم كفاية الأدلة. في حركة ٨ فبراير/ شباط ١٩٦٣ التي خطط لها ونفذها حزب البعث العربي الاشتراكي بالتعاون مع شخصيات مدنية وعسكرية مستقلة، اختير عبدالسلام رئيساً للجمهورية برتبة مشير(مهيب)، وأصبح أول رئيس للجمهورية العراقية. قاد في تشرين ١٩٦٣ انقلاب ضد البعثيين وأصبح القائد الأوحده في الحكم لحين وفاته في الثالث عشر من نيسان (ابريل) ١٩٦٦ اثر سقوط طائرتة في العمارة. (أحمد فوزي: سيرة حياة الرئيس عبد السلام عارف. بغداد: مطابع دار الحرية ١٩٨٩)، مذكرات عبدالسلام عارف، بغداد: شركة الطباعة والنشر، ١٩٦٧). ويصفه السفير البريطاني في بغداد بأنه «قليل الثقافة ورجل عاطفي وطائفي وان عبدالناصر هو مثاله الاعلى» (أنظر: . (FO 371/186743, letter. No 1045, Nov.9. 1963) وقد تعرض عبد السلام عارف في حياته وبعد وفاته في ذلك الحدث الي اتهامات عديدة من قيادات حزبية وطائفية وعرقية: وقد اتهم ولا يزال من قبل أوساط شيعية، بأنه طائفي سني، ولكن هو من سمح لآية الله الخميني رجل الدين المعارض للشاه، بالقدوم الي العراق من منفاه في تركيا مطلع عام ١٩٦٤. في الحقيقة ان سكرتيره الشخصي وكاتم اسراره الراحل عبدالسلام عارف كان شيعياً. ولكن تهمة الطائفية وجهت له من وزرائه ومن المقربين منه من البعثيين والناصريين. من أمثال طالب شبيب. وغيرهم (صبحي عبد الحميد، جريدة الزمان: ١٦ - ٣ - ٢٠٠٤). وفي عهد صدر أية الله السيد محسن الحكيم بياناً يدين سياسة التمييز الممارس من قبله ضد الكرد والشيعية. وكما رفض محسن الحكيم محاولتين قام بها عبدالسلام لمقابلته. ويقول السفير البريطاني في بغداد بأن رفض الحكيم جاء نتيجة طلب من السفير الإيراني بالألا يحصل هذا اللقاء

المحقق (FO 371 /59914759, Kurdistan, British embassy, Baghdad, march, 27, 1965).

(١) ولد عبد الكريم قاسم في ٢١ كانون الأول ١٩١٤، من عائلة فقيرة تسكن محلة المهديّة وهو حيّ فقير يقع في الجانب الأيسر من مدينة بغداد وأبوه جاسم محمد البكر الزبيدي - جرى تغييره إلى قاسم - وأمه كفيفة حسن اليعقوبي. انتقل للسكن لفترة قصيرة مع أخواله في قضاء الصويرة في محافظة واسط جنوب بغداد بعد وفاته والده. ثم رجع إلى بغداد وعمل لفترة كمعلم في الشامية. دخل عبد الكريم قاسم الكلية العسكرية عام ١٩٣٢، حيث تخرج منها بتفوق، في ١٥ نيسان من عام ١٩٣٤. كان عضواً في تنظيم الضباط الوطنيين «أو الأحرار» =

التاسع عشر؛ ليعزز أقدام الانقلابيين ويحمي الانقلاب من أي انقلاب مضاد بعد أن سقط النظام الملكي كله خلال ساعتين في صبيحة (١٤ تموز

مع نجاح الانقلاب بدأت المفارقات تبرز شيئاً فشيئاً؛ فالانقلاب نجح من دون اعتراض من حلفاء النظام من الغربيين؛ كما لم تعلن قيادة الانقلاب أن هذه الجمهورية العراقية الجديدة سوف تنضم إلى «الجمهورية العربية المتحدة» في أفق زمني مناسب، بل كانت هناك أصوات قومية تتمثل في عبد السلام ووزير الداخلية وكذلك قيادات من حزب الاستقلال^(١)، أمثال صديق شنشل ومحمد حديد وفائق السامرائي. وهنا بدأ الحديث عن «الوحدة العربية»، وكان عبد السلام عارف يطمح أن يجعلها وحدة فورية، وبعد نجاح الانقلاب بأربعة أيام ذهب على رأس وفد قومي كبير إلى دمشق، واجتمع بعبد الناصر وقيادات الجمهورية العربية المتحدة على أساس ضم العراق إلى الجمهورية العربية فوراً، لتصبح الأقاليم الموحدة ثلاثة هي: مصر، الإقليم الجنوبي، وسوريا، الإقليم الشمالي، والعراق الإقليم الشرقي، وقيل - في حينه - : إن عبد الناصر رفض الوحدة الفورية، وأصر

= وقد رشح عام ١٩٥٧ رئيساً للجنة العليا للتنظيم الذي أسسه العقيد رفعت الحاج سري عام ١٩٤٩. ساهم مع قادة التنظيم بالتخطيط لحركة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي قام بتنفيذها مع زميله في التنظيم عبد السلام محمد عارف والتي أنهت الحكم الملكي وأعلنت قيام الجمهورية العراقية. وعرف قاسم بوطنيته وحبه للطبقات الفقيرة التي كان ينتمي إليها. [أنظر، عبداللطيف الشواف، قاسم وعراقيون آخرون، ذكريات وانطباعات (بيروت : دار الوراق ، ٢٠٠٤)]. المحقق.

(١) وفي عام (١٩٤٦) تأسس حزب الاستقلال ذو النزعة القومية، وعلى رأسه محمد مهدي كبة مهدي كبة، وصديق شنشل، وفائق السامرائي، والتف حوله عدد كبير من القوميين العراقيين، بسبب ما آلت إليه الأوضاع في فلسطين، حيث صدر قرار التقسيم من الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، وإعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨. وكان هذا الحزب قريباً من حزب البعث في أطروحاته القومية. (أنظر ،

FO 370/2719 " political Affiliation of Iraqi Officers" May29, 1963. Foreign Office, B.G Birkmyre. المحقق.

على استفتاء شعبيّ حر بعد فترة انتقاليّة كافية. ولكن الأمور لم تسر في هذا الاتجاه فقد اختلف عبد السلام عارف مع عبد الكريم قاسم حيث احتضن عارف الاتجاه القوميّ، واحتضن قاسم الاتجاه الشيوعيّ واليساريّ ونجح في إقضاء عارف ونفيه سفيراً للعراق في ألمانيا.

لقد بات من المؤكد أنّ عبد السلام لم يكن سوى الرجل الثاني أما الرجل الأول الذي تسلم القيادة الفعلية فكان عبد الكريم قاسم - بقطع النظر عن دوره في الانقلاب - الذي كانت كل كلماته تؤكد على العراقيّة^(١) بل الإقليميّة العراقيّة، ويبدو أنّ فكرة تأسيس مجلس للسيادة كانت فكرته؛ ليضم رئيساً في ذلك المجلس سنياً هو «نجيب الربيعي» فريق ركن من ضباط الجيش، وكردياً سنياً هو «السيد خالد النقشبندي» وكان - أيضاً - ضابطاً سابقاً في الجيش العراقيّ، وشيعياً عربياً كان السيد «محمد مهدي كُبة»^(٢) - يمثل الشيعة، وهو رجل معتدل وقوميّ عربيّ.

هذه التركيبة لم يُلتفت إلى خطورتها في حينه أمّا الآن ونحن نشاهد ونسمع من يتحدّث عن تقسيم العراق بين الأكراد والعرب والشيعة والسنة،

(١) نشرت خطبه وكلماته فيما يزيد عن اثني عشر مجلداً كبيراً ضمت ما صدر عنه من كلمات وخطب خلال ما يزيد عن أربعة أعوام ونصف العام قضاها في الحكم. [ماجد شبر، حُطَب الزعيم عبد الكريم قاسم ١٩٥٨م - ١٩٥٩م] لندن : شركة دار الوراق للنشر المحدودة ، ٢٠٠٧ [المؤلف].

(٢) رئيس حزب الإستقلال العراقي والشخصية القومية العربية المعروفة والمناضل السياسي الصلب ضد النظام الملكي وقد وُلِد في سامراء المدينة العربية الإسلامية التاريخية التي كانت في فترة ما عاصمة للإمبراطورية العباسية وفيها مزارات الإمامين علي الهادي والحسن العسكري : نسبة إلى تسمية المدينة القديم؛ وإن كان رجلاً يرجع في أصوله الفكرية الدينية الإسلامية والمذهبية إلى رؤية الطريقة الإثنا عشرية في التفسير الإسلامي على العكس مما هو سائد في تلك المدينة. [للمزيد من المعلومات انظر: خالد التميمي، محمد جعفر أبو التمن دمشق: الوراق للدراسات والنشر، ١٩٩٩؟]، ص ٩ - ٤٣ [المحقق].

فلا بد أن نتذكر تلك اللبنة الأولى التي وضعت حجر أساس للتجزئة المستقبلية ولو بعد نصف قرن وتحديداً منذ ربيع (٢٠٠٣م)^(١).

والحقيقة أنني لا أدري لماذا لم تلتفت العناصر القومية والإسلامية التي شاركت في الانقلاب العسكري إلى هذه الناحية؟ ومعها ما كان يعرف «بالجبهة الوطنية»^(٢) التي شكلت قاعدة شعبية لانقلاب العسكر؟! فماذا لو

(١) أن الأميركيين لم يحتلوا العراق لبناء كيان قومي عراقي، ولكن يبدو أن المؤلف هنا كغيره من الوطنيين العراقيين ينادي بالدولة المركزية القوية والتي هي أصلاً وردت إلى الدولة العثمانية من الغرب وبالتحديد باسم الإصلاحات (في فترة التنظيمات). وطبقها الاتحاديون وأدت إلى المركزية المفرطة والاستبداد ومن ثم تفجير الأوضاع وتفتيت الدولة العثمانية. تعرض الكرد في العهد الجمهوري إلى سياسة القمع والإبادة الجسدية، قامت بها السلطة المركزية التي كانت تهيمن عليها النخبة العربية القومية منذ الانقلاب. لذلك هناك حالة من الخوف وعدم الثقة والحذر ولن يكون من الناحية الواقعية أن نتوقع أن يكون عند الكرد الاستعداد بقبول أقل من الفيدرالية التي أقرها الدستور العراقي. ورغم أن أبناء السنة العرب حريصون على وحدة العراق شعباً وأرضاً ودولة، لكنهم وتحت وطأة ظروف التهميش والتمييز الطائفي المقيت بدأت تفكر جدياً في إيجاد إقليم يضمن حقوقهم ضمن العراق. (المحقق).

(٢) دفعت الظروف التي كان يمر بها العراق داخلياً وخارجياً الأحزاب السياسية في الخمسينيات من القرن الماضي إلى التفكير بالتعاون فيما بينها لشعورها بعدم قدرتها على تحقيق المطالب الشعبية كل على انفراد، إلى التفكير بشكل جدي لتشكيل جبهة واسعة، سيما بعد دخول العراق حلف بغداد عام ١٩٥٥ والعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦. فبدأت المحاورات أولاً بين الحزب الشيوعي والوطني الديمقراطي ثم بين الشيوعي وحزب البعث والاستقلال، نتج عن ذلك تشكيل جبهة عام ١٩٥٧ باسم «جبهة الاتحاد الوطني» وصدر بيانه الأول في ٩ آذار ١٩٥٧، شرحت فيه أسباب قيام الجبهة ومهامه ومن أهدافه الوطنية: تنحية وزارة نوري السعيد، وحل المجلس النيابي، والخروج من حلف بغداد، إطلاق الحريات الديمقراطية في البلاد، وإلغاء الإدارة العرفية وإطلاق سراح السجناء. [أنظر، ليث عبد الحسين الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق (بغداد: [د.ن.]، ص ٨٣ - ٨٦، ص ٩١ - ٩٢]. وبقي الحزب الديمقراطي الكردي خارج هذه الجبهة وذلك لمعارضة حزب الاستقلال والبعث دخول الكرد إليها. [حامد الحمداني، لمحات من تاريخ الحركة الكردية التحريرية [د.م.]: دار فيشنوميديا كرونبري للطباعة والنشر، ٢٠٠٥، ص ٤٠]. المحقق.

عينوا شخصاً رئيساً للجمهورية بدلاً من وضع حجر أساس للتقسيم الطائفي؟ وقد كان بالإمكان بعد انتهاء مفاوضات الوحدة أن يتنازل الرئيس العراقي المعين للرئيس عبد الناصر كما فعل شكري القوتلي رئيس سوريا، أو يتنازل له عبد الناصر أو يتم تبني أي صيغة أخرى غير تلك الصيغة التي حملت بذور التجزئة والمحاصصة للعراق. وعلى الرغم من هذا المنحى الوحدوي الذي صبغ الانقلاب العسكري في أيامه الأولى إلا أن هذا الاتجاه سرعان ما انحرف نحو القطرية والعرقنة السافرة بعد ما لا يزيد على شهرين من تاريخ وقوعه. وبدأت الفئات اليسارية الشيوعية تُكرس الفُرقة بين الحكم الانقلابي العراقي وبين الجمهورية العربية المتحدة، وبدأت حملات إعلامية متبادلة بين الجمهوريتين كانت أقسى وأشد من الحملات التي سادت بين مصر والعراق في العهد الملكي، وخابت معها الآمال في تحقيق الوحدة كما خابت آمال الجماهير في أن يمهد الانقلاب لإعادة تأسيس دولة عراقية متينة البناء. فقد أخذ الانقلابيون يسوسون البلاد على نحو اختل معه جُل ما حققه العهد الملكي من انجازات وأجهض معه حلم الوحدة العربية.

العلاقة مع الإخوان المسلمين

في الوقت الذي كان فيه الجيش العراقي يموج بتيارات تخطط للانقلابات العسكرية، كانت الحياة السياسية العراقية قد شهدت، آنذاك، بروز جماعة الإخوان المسلمين التي تعرفت عليها قبيل مغادرتي الفلوجة إلى بغداد، حيث خرجت إلى سوق المدينة ذات مرة، فوجدت دكاناً وضعت عليه لافتة تحمل اسم «جمعية الأخوة الإسلامية»، وقد خبرت الجماعة عن طريق أخي الأكبر محمد الذي انضم إليها، وكان أخي طالباً في الثانوية العامة في حي الأعظمية ببغداد، وكان يأتي إلينا يومي الخميس والجمعة، وقد لاحظت أنه صار حريصاً على أن يضع في جيبه مصحفاً، وبات يداوم على الصلاة وهي ظواهر لم يعتد عليها من قبل، وقد أخذ يحدثني عن «جماعة الإخوان» ويأتي ببعض الرسائل لمرشدها الشيخ حسن البنا وكتب

أخرى لرموز الحركة، ولم يكتف بذلك لكنّه عرّفني ببعض الأشخاص في ذلك الدكان.

وبالإضافة لهذه الكتب والرسائل كانت هناك مجلة تصدر في بغداد بعنوان الأخوة الإسلاميّة وكان تقف وراءها جماعة «الإخوان المسلمين» التي لم تشأ أن تعلن عن نفسها صراحة، لأنّ الحكومة العراقيّة لم تكن تسمح بافتتاح فرع للإخوان المسلمين في العراق، وكنا نقرأ مجلة الأخوة الإسلاميّة ونجد فيها فكراً وروحاً جديداً غير الفكر الذي ألفناه من شيخنا عبد العزيز السامرائي في خطب الجمعة، وخلال هذه الفترة كان كثير من العلماء يأتون إلينا من البلاد العربيّة كافة، تقريباً، وكلّهم يتحدثون عن فلسطين، وكيف ضيّعها الحكام عن طريق الأسلحة الفاسدة والجيش التي ليست لديها أوامر، وأذكر أن بعض القيادات الإخوانيّة المصريّة مثل سعيد رمضان وعبد الحكيم عابدين قد قاما بزيارتنا وحدثانا عن فلسطين، وكنا نستمع أيضاً إلى العلماء القادمين من المغرب العربيّ وحديثهم عن مواجهاتهم الدامية لفرنسا، وكان ذلك كله يصب في العقل الباطن، ويوجد جذوراً ما في النفس إلى أن شعرت بأنّه من المفيد أن أكثر من قراءة هذه الرسائل التي يأتي بها أخي.

وقد لاحظت شيخي عبد العزيز السامرائي الذي كنت أتلقى عليه العلم في المسجد أنّ شباب جمعية الأخوة الإسلاميّة بدءوا يأتون إليّ في المسجد، وبعضهم شرع يقرأ عليّ متنّاً في التجويد أو متنّاً في بعض المسائل والأبواب الفقهيّة وهذا ما زاد من انجذابي نحوهم ولفت ذلك نظر شيخي فدعاني إليه وحثرني من التعامل معهم لأنّهم وهابيون، وكان الشيخ مدفوعاً بنزعته الصوفيّة، التي دفعته لمعارضة الشيخ الصواف وغيره من الذين انضموا إلى الإخوان، وكنت أشعر بأنّه غير محق في تحذيري لأنني لم أر منهم سوءاً، وفي كل الأحوال لم أنضم في تلك المرحلة إليهم لكن صلتني بهم توثقت وازداد وعيي بما كان يجري في فلسطين وخيانة الحكام لقضيّة الأمة فيها وفي كثير من القضايا الوطنيّة والقوميّة الأخرى.

عملي كإمام في بغداد

كان حديث شيخي بشأن الإخوان وراء شروعي في البحث عن شيوخ آخرين، حيث عازمت على الرحيل إلى بغداد ومغادرة الفلوجة، أملاً في أن تفسح أجواء الاتساع والرحابة في بغداد بخبرة أو تجربة جديدة، وتقدمت إلى مديرية الأوقاف^(١) في بغداد طلباً للعمل خطيباً وإماماً في أحد مساجدها، وكان ذهابي من دون علم والدي أو الشيخ السامرائي، ولم تكن تلك الرحلات تستغرق أكثر من يوم أو يوم ونصف. وتلقيت من بعض الأساتذة وفي مقدمتهم الأستاذ الصواف المراقب العام للإخوان المسلمين في بغداد كثيراً من الدعم والتشجيع والتأييد والتأكيد على أنني أصلح إماماً، وعلى هذا دخلت مسابقة للحصول على إمامة وخطابة جامع جديد أسسته إحدى المحسنات في منطقة «الكرادة الشرقية»^(٢) في بغداد وهو جامع الحاجة «حسيبة البايچه جي»، وطلبت أن يعين له إمام وخطيب، واجتازت المسابقة وكان سني أقل من السن القانونيّة (ثمانية عشر عاماً) حيث كنت في السابعة عشرة ووقفت عقبة السن في طريقي وقيل لي إنّه لا يمكن أن يكون هناك إمام وخطيب دون الثامنة عشرة فذهبت ورفعت دعوى للمحكمة للنظر في إعادة التسنين حيث كنت مسجلاً في الأوراق الرسمية أنني من مواليد (١٩٣٩م)، وعلى طريقة التسنين عدت إلى عام (١٩٣٥م)، ويبدو أنّ هذا هو الواقع لأنّ جميع السيدات المستنات في الأسرة أكدن إنني ولدت في ذات الشهر الذي ولد فيه فيصل الثاني ملك العراق والملك حسين أي في مايو (١٩٣٥م). وتم الاتفاق أنه في حال إحضار وثيقة التسنين فسوف أتسلم

(١) كانت الأوقاف في ذلك الوقت كلها سنيّة، فالأوقاف الشيعيّة كانت تابعة للمراجع، وكان لكل مرجع أحماسه وموارده وأوقافه (المؤلف).

(٢) الكرادة الشريقيّة هي في موقع منطقة «كلواذي» في بغداد التاريخيّة المدورة، وقد صارت في الخمسينات من أجمل مناطق بغداد وأكثرها أهمية حيث اشتملت على مجموعة من الأحياء الراقية (المؤلف).

إمامة المسجد على الفور، فذهبت للفلوجة لإحضار شهادة التسنين، وأخبرت الوالد وعمّي أنني سوف أكون في مسجد الحاجة حسبية بالكرادة الشرقية إماماً وخطيباً، فأبديا اندهاشهما وعلق الوالد بأني ما زلت صغيراً ولا أريدك أن تبعد عني، فاعتذرت لوالدي بأن الوقت الذي أكون فيه في مكان آخر قادم لا محالة، فلتكن مغادرتي الآن. فوافق - على مفض - يرحمه الله.

بعدها ذهبت لإبلاغ الشيخ عبد العزيز السامرائي الذي كانت بيننا بعض المصادمات في الآونة الأخيرة ولم أكن أريد أن تصل إلى حد القطيعة، وأخبرته بنياً تعييني خطيباً وإماماً، ولكن الشيخ السامرائي لم يبد اقتناعاً بذهابي؛ لأنه حصل دون علمه، حيث ظنّ أنّ الطالب الذي نشأه إذا لم يتأثر به ويلتزم حرفياً بمنهجه، فذلك دليل فشل سياسته ومنهجه، فطيبت خاطره بكلمات طيبة بقدر ما استطعت، فلم أكن أود مغادرة الفلوجة وهو غاضب مني، تأثر الشيخ فترة ثم تقبل الاسترضاء وحضر بعدها لمنزلي في بغداد وسويت الأمور.

هكذا عينت إماماً وخطيباً لجامع الحاجة «حسبية الباجه جي» - وهي خالة الدكتور عدنان الباجه جي السياسي العراقي البارز - وتسلمت عملي في الخامس عشر من يناير/كانون الثاني عام ١٩٥٣، وبدأت مرحلة جديدة في حياتي مغايرة تماماً للمرحلة السابقة، ومن خلال عملي في المسجد اكتسبت خبرات كثيرة يمكن أن أحدها في أمرين:

الأمر الأول: أنني كنت قادماً من مدينة صغيرة هي الفلوجة التي هي ما بين القرية والمدينة - آنذاك - إلى بغداد وتحديداً منطقة الكرادة الشرقية الراقية التي تعرف تنوعاً سكانياً كبيراً فيقطن بها الشيعة والسنة والنصارى وبعض اليهود، وللمرة الأولى أجد نفسي في احتكاك مباشر مع غير السنة العرب الذين انتمى إليهم، وبالطبع كنت أرى في الفلوجة أقاربي الشيعة من نفس عشيرتي ينزلون في البيت عندنا وأراهم يصلّون، واطلعت على بعض الاختلافات العقدية بينهم وبين السنة، وكثيراً ما كنت أسأل الوالد في ذلك،

لكن لم يحدث لي أنني تعرضت من قبل لتجربة أن أكون إماماً لمسجد سنّي في وسط يغلب عليه الشيعة.

الأمر الثاني: تعرضي خلال عامي (٥٣/٥٤)، لتجربة تعددية جديدة فالفلوجة التي قدمت منها هي مدينة لم تكن تموج بالتيارات السياسية الواسعة فقد غلب الإخوان المسلمون عبر «جمعية الأخوة الإسلامية» على المشهد السياسي فيها، إضافة إلى نفر قليل من الشيوعيين الذين لم يتجاوزوا فرداً أو اثنين على الأكثر وكانوا يأتون ببعض الجرائد التي تثير النقاشات.

الأحزاب الكبرى في بغداد

أما بغداد فكانت مدينة منفتحة وكان بها ثلاثة أحزاب قويّة هي: الحزب الشيوعي والحزب الوطني الديمقراطي^(١)، والإخوان المسلمون، وكان كل حزب عراقي يتمحور حول قطب فكريّ؛ فهناك قطب ديمقراطيّ هو كامل الجادرجي وقطب شيوعيّ يمثله عزيز شريف، وعبد القادر إسماعيل، وعزيز محمد، وقطب قوميّ يمثله فائق السامرائي وقادة حزب الاستقلال محمد حديد، وصدّيق شنشل، وقطب إسلاميّ هو الشيخ محمد الصواف في ظل شيخنا محمد أمجد الزهاوي (١٨٨٢ - ١٩٦٨)^(٢). وحزب إسلاميّ شيعيّ

(١) أصدر كامل الجادرجي (شخصية عراقية ليبرالية يسارية) في أيلول/ سبتمبر من عام ١٩٤٢ مع عدد من الديمقراطيين جريدة **صوت الأهالي**، وأصبحت الجريدة منبراً منتفذاً للعراقيين الأحرار من ذوي التوجهات اليسارية ودعاة الإصلاح ومهدت لقيام الحزب الوطني الديمقراطي ١٩٤٦. ومع أن بعض أعضاء جماعة الأهالي القديمة تركوا جريدة **صوت الأهالي** واتجهوا في خط آخر. إلا أن آخرين منهم ظلوا مع كامل الجادرجي ومنهم محمد حديد الذي تولى منصب نائب رئيس الحزب الوطني الديمقراطي. جمد الحزب نشاطه وتوقفت الجريدة عن الصدور في عام ١٩٦٢ بطلب من عبد الكريم قاسم. توفي الجادرجي عام ١٩٦٨. [أنظر كامل الجادرجي، من أوراق كامل الجادرجي (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧١)]، المحقق.

(٢) أمجد الزهاوي رئيس رابطة علماء العراق وهو أبو سعيد أمجد بن الإمام محمد سعيد مفتي =

ناشئ هو «حزب الدعوة» تركز حول السيد محمد باقر الصدر، فهو صاحب فلسفته ومؤسسه.

وفي تلك الآونة برز «حزب التحرير الإسلامي» على ساحة العمل الحزبي، وكان يتبنّى الدعوة إلى عودة «الخلافة الإسلامية» ويرى أن جميع مشاكل الأمة الإسلامية ستنتهي فور الإعلان عن تعيين خليفة، وقد حضر إلى العراق الشيخ عبد القديم زلوم للتبشير بأفكار الحزب ومن أوائل من تأثروا بتلك الأفكار الشيخ عبد العزيز البدري^(١) وأخوه توفيق البدري وفاضل

= بغداد بن الإمام محمد فيضي الزهاوي ، ولد أمجد في بغداد عام ١٣٠٠هـ، الموافق عام ١٨٨٢م، وبها نشأ وتعلم القرآن ودرس على أبيه، وعلى يد علماء عصره. وتخرج من كلية الحقوق ومعهد القضاء العالي بإستانبول عام ١٩٠٦ م، واشتغل حاكماً في الموصل، ثم نقل إلى بغداد. أنيطت به وظيفة حاكم في محاكم العراق. كان الشيخ عضواً مؤسساً لعدة جمعيات إسلامية مثل جمعية الأخوة الإسلامية، وجمعية رابطة علماء العراق. كما أنتخب رئيساً لمؤتمر العالم الإسلامي بالإجماع وهو من المؤسسين لرابطة العالم الإسلامي في مكة، (عبد الوهاب الجواري ، العلامة أمجد الزهاوي شيخ مشايخ العالم الإسلامي ، مجلة كاردينيا، ٢٨ آب/ أغسطس، ٢٠١٢)، الإمام أمجد بن محمد سعيد الزهاوي: فقيه العراقيين والعالم الإسلامي للمؤلف كاظم المشايخي فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (١٩٩٦) المحقق.

(١) ولد الشيخ عبدالعزيز البدري في بغداد سنة ١٣٤٧هـ، الموافق سنة ١٩٢٩م، وأصله من مدينة سامراء، ونشأ في بيئة علمية وتلقى دروسه الدينية على يد طائفة من علماء بغداد، ومنهم الشيخ أمجد الزهاوي، ونال إجازاته العلمية وعين إماماً في مسجد السور سنة ١٩٤٩م، كما عين خطيباً في جامع الخفافين سنة ١٩٥٠م، ثم نقل إلى جامع الوشاش وبعده إلى جامع الحيدرخانة في شارع الرشيد، وقد تنقل بوظيفته في كثير من مساجد بغداد. كان خطيباً، وجريئاً. وقد تصدى للمد الشيوعي في العراق في عهد عبد الكريم قاسم، الذي أطلق على نفسه (الزعيم الأوحده) فخطبه وهاجمه في محاضراته وأطلق عليه: (عتل بعد ذلك زعيم)، وقد بلغ التحدي مداه، عندما أعدم عبد الكريم قاسم مجموعة من قادة الجيش ومنهم ناظم الطبقجلي، ورفعت الحاج سري وغيرهم، فأثار الشيخ البدري الجماهير وقاد المظاهرات التي يقدر عددها في وقتها بأكثر من أربعين ألف متظاهر، وكلهم يهتفون بسقوط عبد الكريم =

السويدي صاحب مكتبة في سوق السراي وإبراهيم الغازي، ثم انتقلت دعوة الحزب إلى النجف وصار مسؤول الحزب الدكتور خليل^(١)، وغادرت العراق في عام ١٩٦٩ والحزب منتشر في مدينتي النجف وبغداد، ومع أنه كان يعرض مشروعه بشكل ملائم لشباب تلك المرحلة، وتسد نشراته وتعليقاته السياسيّة فراغاً لديهم، إلا أنه لم يستهوني، وقد لقيت الشيخ عبد القديم زلوم أكثر من مرة ولم يقنعني بأفكار الحزب.

كان الحزب يصر إصراراً عجيباً أنه سوف يقيم دولة على غرار «دولة المدينة» بعد ثلاث عشرة سنة من بدء دعوته، كان ذلك سنة ١٩٥٤م، وكنا نقول لهم: ذلك يعني أن سنة ١٩٦٣م أو ١٩٦٧م في أكثر تقدير ينبغي أن تقوم الدولة، فلم يكونوا يترددون في تأكيد ذلك. والحقيقة أنهم لم يلتفتوا إلى الفروق الكثيرة بين عصر النبي (ختم ص) والعصر الذي نعيش فيه، وكنت أداعب بعضهم بحاسة فقهية قائلاً أيمكنك أن تقسم أن الدولة سوف تقام في نهاية الفترة التي حددتموها فلا يتردد في ذلك، ورغم ذلك فقد انتهت كل الفترات التي حددوها ولم تقم «دولة الخلافة» وعندئذ تحدثوا عن «طلب النصر» و«صفروا عداداتهم» ليبدأوا من جديد، ولقد رأيت بعضهم

= قاسم، كما أصدر الفتوى بكفر الشيوعيين أنصار عبد الكريم قاسم ومؤيديه، وطالب بمحاربتهم، فما كان من الحكومة إلا أن أصدرت الأوامر بفرض الإقامة الجبرية عليه في منزله، لمدة عام كامل من ٢ كانون الأول ١٩٥٩م، وكان أمير حزب التحرير ولاية العراق. في عهد الرئيس أحمد حسن البكر سجن مرة أخرى، حيث أختطف ليلاً وهو في طريقه إلى داره، وأخذوه إلى معتقل قصر النهاية وتوفي تحت التعذيب في شهر حزيران سنة ١٩٦٩. (من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة - تأليف المستشار عبد الله عقيل بن سليمان العقيل - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الثالثة - مصر - ٢٠٠٦). المحقق.

(١) أذكر خليل عبد الله وهو طبيب من أبناء النجف، انتقل بعد ذلك إلى بغداد، باعتباره رئيساً لحزب التحرير - الفرع العراقي وغادرت العراق في مساء ١٩٦٩/٦/٢٦، وهو المساء الذي دفن فيه عبد العزيز البدري بعد وفاته في سجن النهاية تحت التعذيب بأيدي ناظم كزار مدير الأمن في عهد البكر وصادم حسين. (المؤلف).

في كاليفورنيا وكان لهم نشاط هناك أطعمهم في أن يطلقوا على كاليفورنيا اسم «خليفوريا»، مصورين لأنفسهم أن «لوس أنجلوس» تصلح عاصمة للخلافة، مع أنها على خط زلازل، والله في خلقه شؤون!!

وهذه التركيبة الحزبية المتنوعة خلقت نوعاً من التنشيط لما هو كامن في العراق في ذلك الوقت، وخلفت أثراً فكرية عميقة على ذلك الشاب القادم من الفلوجة والذي تلقى العلوم النقلية على يد شيخ محافظ عرف بطريقته التصادمية التي لا تعرف حدوداً أو حلولاً وسطاً، وفي بغداد سمعت للمرة الأولى عن الملحدين والشيوعيين الذين يعتقدون أن الدين أفيون الشعوب وينفون الكتب السماوية والنبوة ويرفضون التراث الإسلامي، كله عدا تراث القرامطة وعرفت أن هناك وطنيين ديمقراطيين متحالفون مع الشيوعيين لا يختلفون كثيراً عن الشيوعيين في مواقفهم من الدين والتدين.

وأما «الإخوان المسلمون» فقد كان جزءاً هاماً من نشاطاتهم في الكليات والمساجد موجهاً نحو التصدي لهؤلاء الذين تجمعهم «العلمانية» على اختلافهم، كنت صغيراً ورواد المسجد الذي أعمل فيه قليلون، لأن الستة المحيطين به قليلون، فعندما كنت أرى شباباً من «الإخوان المسلمين» يأتون إلى المسجد كنت أسر بوجودهم؛ فوجودهم يحمي ويجعل لعملي معنى ولذلك كنت بحاجة إلى كسبهم واستقطابهم للحضور، وقد تصادف أن علمت أن لديهم رغبة في أن يتعلموا بعض العلوم الشرعية، وطلبوا مني أن أدرسهم التفسير والفقهاء فرحبت بذلك؛ طبعاً لم تكن لدي فكرة واضحة عن جماعة الإخوان، وما كان في الفلوجة منها لم يكن أكثر من تشكيل لا يزال برعماً يمثل شعبة من شعب الإخوان تقوم بتوزيع مجلتهم وأنشطتهم المحدودة في المدينة، لكن لم يكن المنتسبون بمستوى تلك الفئات والأنشطة الموجودة في بغداد، وقد بدا لدى قياداتهم خاصة الشيخ الصواف - يرحمه الله - أن إماماً شاباً مثلي يمكن الاستفادة منه ومن مسجده.

وكان لدى «جمعيّة الأخوة» اجتماع أسبوعيّ يعقد يوم الخميس في «جامع الأزبك» في باب المعظم في بغداد، فدعوني مرة أو مرتين لإلقاء محاضرة، وكانت تلك التجربة بالنسبة لي دليل تقدير ومكانة عظيمة لي لديهم، خاصّة لشباب لم يزل دون العشرين، وكان جمهور الخميس جمهوراً كبيراً ومتميّزاً ولذلك قد تتم الاستعانة أحياناً بضيف خارجي له مكانته العلمية من أعلام الفكر الإسلامي مثل: الفضيل الورتلاني، وعلال الفاسي، والبشير الإبراهيمي، والقليبي، وسعيد رمضان، وعبد الحكيم عابدين؛ ومحمد نمر الخطيب، وعمر بهاء الأميري وغيرهم من الذين كانوا يأتون من بلدانهم ليتحدثوا إلى الجمهور العراقي، فلما وُضعت معهم كنت أشعر بأنهم أكرموني ووضعوني في مستوى يفوق سنّي ومقامي، ووجدت نفسي في حاجة لأكون مؤهلاً علمياً حتى لا أخذل الشيخ الصواف؛ فأخذت كتبهم ومجلاتهم، وشرعت أقرؤها بعناية وأنصح من ألقاه بقراءتها.

موقفني من العمل الحزبيّ

وعلى الرغم من علاقتي المحدودة تلك بالإخوان فإنني في تلك المرحلة كنت أرى أنه لا ينبغي لثلاثة فرق من الناس أن ينتموا لأيّ من الفئات الحزبيّة^(١) وهم: أئمة المساجد، والعسكريّون، سواء كانوا من الجيش أم الشرطة، والقضاة. فإمام المسجد يجب أن يعبر عن الجميع،

(١) لقائل أن يقول: إذا لم تشكل أحزاب سياسيّة فكيف يمكن تنظيم تداول السلطة بين أحزاب والفئات، فالأحزاب ضروريّة للعمليّة السياسيّة؛ وجوابي أنّ الأحزاب تكونت في الغرب في إطار تنظيم عمل الشركات الكبرى وتوزيع المسؤوليات بين أصحاب المال والعمال، وبقي هذا الطابع سائداً حتى أيامنا هذه في البلدان الديمقراطيّة، وتعتمد الأحزاب على مستوى اقتصادي وثقافي معين وتنشئة سياسيّة ووعي بقضايا العمل السياسي ومؤسسات مجتمع مدني تنشأ في ظل تلك الظروف، أما الأحزاب عندنا فإنها كانت وما تزال وسيلة لتغطية المنظومات القبليّة والطائفيّة وإعطائها أسماء حديثة؛ ولذلك فهي ما تزال عندنا تمثل القبيلة والطائفة والفئة أكثر مما تمثل الفئة السياسيّة والاقتصاديّة. (المؤلف).

ويحافظ على حياد المسجد وكذلك رجل المؤسسة العسكرية أو الشرطة ينبغي أن يكون للشعب كله ومثلهم القضاة الذين ينبغي أن يكونوا على مسافة واحدة من جميع الفرقاء السياسيين، ويمكنني الآن أن أضيف لهؤلاء فرقة رابعة هم السياسيون من رجال الدولة.

لقد كنت أرى أنه لا يحق لي باعتباري إمام مسجد يرتاده المسلمون على اختلافهم، ومنهم الصوفي والسلفي والحزبي والشيوعي والسني وأصحاب الفكر الليبرالي المتدينين؛ أن أكون منحازاً لحزب أو لفريق؛ لأنّ إنحياز إمام المسجد لفئة من المصلين سوف يؤدّي إلى إبعاد الفئات الأخرى عن المسجد وغمطها حقها فيه، ولذلك رأيت أن من واجبي أن أكون إماماً لهذه الفئات جميعاً بحيث يرى كل فصيل أنّ له في المسجد مثل الآخرين، ومثل هذا الحياد ينبغي أن يكون للجنود وللقضاة.

وقد توصلت في مطلع شبابي إلى تصنيف لا زلت أحرص عليه وأعتر به، وهو: أنّ الرجال أنواع: رجل لذاته ونفسه، ورجل لأسرته، ورجل لعشيرته أو مدينته، ورجل لإقليمه، وفوق هؤلاء «رجل الدولة» ولا يتقدم عليه إلا «رجل الأمة»، فكنت أتطّلع حين أتطّلع إلى أن أكون «رجل أمة» لا شيئاً آخر، وسبيل ذلك عندي «العلم والفكر» وتبني قضايا الأمة والعمل على جمع كلمتها، وإعادة بناء ما رث وتقدم من عراها ومقوماتها، وليت أمتنا تنبّهت لذلك، وأبعدت هذه الفئات المذكورة عن عمليات الاستقطاب الحزبي والشللي، وسعت إلى أن تجعل من أنظمة التعليم والإعلام والثقافة أنظمة تعمل بتناسق وانسجام لإيجاد رجال أمة أو رجال دولة إن لم نستطع إيجاد رجال أمة، إذأ لتجنبنا كثيراً من المشكلات التي تعاني منها البلاد العربية والإسلامية، ولا شك أن وجود رجال أمة ورجال دولة محايدين كان سيوجد نوعاً من العدالة والأجواء الصحيّة التي تسمح بتداول السلطة وإنشاء النظم الشورية التي تشتد حاجة بلداننا إليها، ولاستطعنا المحافظة على وحدة شعوبنا وبلداننا وأمتنا بدلاً من التمزق الذي نعائشه الآن.

كان التزامي إذًا، وأنا أعمل إماماً في المسجد، عدم الانضمام إلى أي حزب أو فئة، وعندما جاءني الشيخ الصواف طالباً مني البيعة تساءلت: البيعة على ماذا؟ والحقيقة أن البيعة التي كان يؤديها الإخوان للمراقب العام على السمع والطاعة هي مزيج من بيعة مريد في الطرق الصوفية لشيخه والبيعة السياسيّة. وكنت أعلم أن البيعة تكون لشخص يرشح نفسه للخلافة أو الإمامة العظمى يحفظ بيضة المسلمين، ويقودهم في مقاتلة أعدائهم، وقيم القرآن فيهم، ومن ثم دار بيننا حوار طويل ذكرت فيه أنني أريد أن أكون إماماً لجامع من جوامع المسلمين، أحفظ لهم حريتهم في الاستفادة به وأؤمهم في صلاتهم، وأخطب الجمعة، أما أنت يا أستاذي فتسمي نفسك مراقباً أو مرشداً لإخوان العراق وأياً كان الأمر فأنا أحبك لشخصك وأقدر ما تفعل، ولا أنكر شيئاً من فضلك عليّ، وأضفت: أنتم أناس طيّبون وبرنامجكم إسلاميٌّ احترامه وأقدره، ولكنني إمام مسجد لا ينبغي أن انحاز إلى فئة من المسلمين وأتجاهل الفئات الأخرى، وإذا سئست أو مارست عملاً سياسياً، فيجب أن أسيس لصالح الأمة - كلّها، فالسياسة التي تصلح للأمة يمكن أن أتبناها بطريقة العالم لا بطريقة الحزبي، وطريقة العالم كانت واضحة في ذهني وهي أنني أمثل معارضة غير مسلحة لكل ما يخالف الإسلام، قادرة على الضغط المعنوي على صنّاع القرار؛ ودوري هو أن أبين موقف الإسلام من أي ظاهرة سلبية منافية للدين والنصح لصاحب القرار بمعالجتها وفقاً له، ومطالبة الناس بالعمل على تصحيح الأوضاع من خلال الضغط السلمي على صنّاع القرار.

والواقع أنني استقيت رؤيتي التي صارحت بها الشيخ الصواف من السلف الصالح فالقرءاء إلى منتصف القرن الثاني - ومنهم الحسن البصري (ت: ١٢٠هـ) كانوا يعارضون بهذه الطريقة، وكان الحكام بدورهم يميزون بين فئات الناصحين، ويرون أن الناصح الذي تؤازره القوة أهل لأن يحذروه ويضيقوا عليه الخناق؛ وأما الناصح الذي لا قوة أو عصبيّة وراءه والذي يهتم

بالنصح المجرد والإصلاح؛ فهذا لا يخشى منه بل يتم التقرب منه ومن أمثاله بصيغة من الصيغ^(١).

وكان اعتقادي أن دور العالم في مثل هذه العملية هو أن يدرك أحاسيس الناس وتطلّعات وسياسات الحكّام، ثم يقوم بعمليات امتصاص وتحويل لدواعي العنف من الطرفين لتلافي الصدام بين الطرفين الحكام والشعوب، فاحتياجات الناس متشعبة ومتعدّدة وقدرات الحاكم محدودة وقبوله أو استعداده للاستجابة محدود ومحكوم بظروف معينة!! فعلى العالم أن يتبنّى وجهة نظر الشريعة في الدفاع عن العامّة وحل مشاكلهم، حتى وإن تطلب الأمر أن يذهب إلى الحاكم يأمره وينهاه وينصحه وينذره ويبشّره، لا أن يذهب إليه متملقاً ومادحاً، وهذه مهام مقتبسة من وظائف نبويّة لأنّ «العنف الداخلي»^(٢) لا يأتي بخير أبداً فلا بد أن تقوم العلاقات بين الحكام

(١) عرفت صفة القراء في عهد الصحابة - رضوان الله عليهم - فكان يقال قراء الصحابة، وقد ذكر ابن حزم أسماءهم في إحكام الأحكام وبلغ عددهم خمساً وستين ومئة، وعنه أخذ ابن القيم ما أورده في إعلام الموقعين عن قراء «الصحابة»، ذلك لأن مجرد القدرة على قراءة القرآن كانت تؤهلهم تأهيلاً كافياً لأن يكونوا قادرين على أن يندورا قومهم إذا رجعوا إليهم، فيؤمنون الصلاة ويعلمون الناس القرآن وينقلون لهم أحكامه وشرعته ومنهاجه. وقد استمر هذا اللقب حتى بدأ يبرز تدريجياً لقب الفقهاء بعد سنة أربعين هجرية من دون أن يقلل أو يزيح لقب القراء من ساحة التداول حتى قيام ثورة القراء بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث في عصر عبد الملك بن مروان، وعلى إثرها تراجع لقب القراء؛ ليحل محله لقب الفقهاء ويشيع تداوله، فصار الفقيه والقارئ من يعرف الأحكام الشرعية وكيفية الوصول إليها من مصادرها وإصدار الفتوى فيما يستفتى فيه أو القضاء بالنسبة للقضاة. (المؤلف).

(٢) روى البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: «إن الناس قد ضيعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي (ختم ص) فما يمنحك أن تخرج؟»، فقال: «يمنعني أن الله حرم دم أخي»، قال: «ألم يقل الله ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾؟ فقال: «قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله». وروى أبو داود عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله (ختم ص): «يا أبا ذر»، قلت: «لبيك يا رسول الله وسعديك». فذكرت الحديث قال فيه: «كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون»

والمحكومين على الفهم والتناصح، والحوار وتقريب وجهات النظر، والعالم خير مَنْ يقوم بذلك إذا أعدّ نفسه له وأعدته الأمة ليكون صوتها، والمدافع عن قيمها ومثلها وأهدافها، فهل نجحت في أداء تلك المهمة؟! لعل الصفحات التالية تجيب!!^(١).

= البيت فيه بالوصيف»، - يعني القبر - قال، قلت: «الله ورسوله أعلم»، أو قال: «ما خار الله لي ورسوله». قال: «عليك بالصبر، أو قال تصبر». ثم قال لي: «يا أباذر»، قلت: «لبيك وسعديك»، قال: «كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيتك قد غرقت بالدم؟»، قلت: «أحمل سيفي وأقاتل». قال: «شاركت القوم إذا». قال: «قلت فما تأمرني؟»، قال: «تلتزم بيتك». قال، قلت: «فإن دخل علي بيتي؟»، قال: «فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ثوبك على وجهك يوء بإثمك وإثمه».

هذان الحديثان انبثقا عن اتباع رسول الله (ختم ص) لما أوحى إليه، ففي مكة كان لا بد من إعطاء الفرصة كاملة للناس كافة بأن يتفكروا في هذه الرسالة ويعرفوا سائر أبعادها؛ ولذلك فإن الله - تبارك وتعالى - قد قال لهم: ﴿كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة﴾ وأمره - جل شأنه - بكف الأيدي شمل الدفاع عن النفس، ورد الاعتداء حتى لو بدأ به الآخرون، فإنه لو انشغل المسلمون بالدفاع عن أنفسهم واستدرجوا للرد على كل عدوان يوجه إليهم لضاعت الدعوة، لكن تحمّل رسول الله (ختم ص) والمؤمنين لاستهزاء المستهزئين واعتداءات المعتدين، وتحملهم أعباء الهجرة والحصار وسائر أنواع المضايقات؛ جعل الناس ينظرون إليهم بعيداً عن موانع النظر والفكر من رد العدوان وموازين القوة والضعف بل ركزوا أنظارهم وأسماعهم على الوحي النازل على رسول الله (ختم ص) فهو الذي جعله والمؤمنين يحتملون صنوف الأذى من دون أن يحددوا عنه أو ينحرفوا به عن وجهته وذلك ما أدى إلى انتشار الدعوة في المدينة وما حولها، فلم يكن العنف يوماً من الأيام والإكراه في الدين سبيلاً أو وسيلة ناجحة لتغيير المعتقدات وتبديل الدين؛ ولذلك فإنّ أي دعوة للعنف الأهلي في أي مجتمع لا يمكن إلا أن تأتي بأسوأ النتائج على شرائح ذلك المجتمع كله سواء منها أولئك الذين سقطوا في العنف أو دعوا إليه أو هيأوا أسبابه، إن الإسلام دين لا يمكن أن ينتشر ويتبوأ موقعه الملائم إلا في أطر الحرية وأجوائها، والسلم والأمن هما اللذان يهيئان أجواء الحرية ويمهدان لها، ويعطيان الدعوة الإسلامية أسباب الانتشار، أما العنف فإنه مدمر ويثير عقبات كثيرة في وجه دعوة الإسلام في نقائها وصفاتها فهو لا يأتي بخير. والله أعلم. (المؤلف).

(١) بعد انقلاب تموز ١٩٥٨ لم يعد بمقدور أي عراقي أن ينجو من العمل السياسي فقد فتحت =

= دكاكين السياسة على مصراعيها وتنوعت لتستوعب مختلف الأعمار شبيهاً وشباباً ، وليتوزع العراقيون على مختلف الاتجاهات والتيارات الفكرية من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين. فكأن عملية تسييس عامّة قد جرت لهذا الشعب المسكين لم يكن أحد واعياً بأبعادها إلا الذين هياؤا لها من قيادات إدارة الصراع. (المؤلف).

الفصل الثاني

في مواجهة العنف والمد الشيوعي

لم أمكث في بغداد فترة طويلة فقد غادرتها بعد عشرة أشهر إلى مصر لاستكمال دراستي في الأزهر الشريف وعدت إليها مجدداً بعد أن أنهيت دراستي الجامعية في كلية الشريعة والقانون، وباشرت عملي في مسجدي؛ لأنّ الوظائف الدينيّة - آنذاك - تعتبر «توجيه جهة» تستمر مدى الحياة، وتصبح هذه الجهة بمثابة ملكيّة لمن وُظف فيها إلا إذا تنازل عنها سواء أكانت إمامة أو خطابة أو تدريساً في المدارس الملحقة بالمساجد، فابن إمام المسجد الأكبر إذا مات أبوه صار إماماً، عليه أن يدرس دراسات دينيّة ليصبح مؤهلاً ليخلف أباه، ويتسلم عمله بعد الثامنة عشرة، فعدت إلى مسجدي أمارس عملي. وقد خطر ببالي أنني أستطيع أن أكون مدرساً في إحدى الثانويّات، فقدمت إلى التعليم الثانويّ، ليكون التدريس عملاً إضافياً لي.

وكانت الأجواء السياسيّة في العراق قد أصبحت شديدة التوتر، وكان الصراع بين الشيوعيين وخصومهم السياسيين قد بلغ مداه، ولم يعد من

الممكن أن يلتزم الإنسان الحياد؛ فإما أن يكون «قاسمياً» يؤيد عبد الكريم قاسم ويدور معه حيث يدور، وإما أن يكون شيوعياً أو من أنصار السلام أو من الشبيبة الديمقراطية، أو من الإسلاميين أو القوميّين، وكانت المسافة بين الإسلاميين والقوميّين تبدو متقاربة آنذاك^(١). وبطبيعة الحال كنت منحازاً إلى التيار الإسلامي خاصة أنه كان هناك استفزاز شيوعيّ للمشاعر الإسلامية بعد أن قاموا بمهاجمة بعض الأماكن مثل مقر «جمعية الأخوة الإسلامية» ومجلتها في باب المعظم ومزقوا المصاحف والكتب الدينية، مما استفز المشاعر الدينية لدى الشباب، وبوصفي خطيب مسجد ركزت في خطبي على مقاومة الشيوعيّة وواجهاتها، ثم بدأت أهاجم عبد الكريم قاسم نفسه وحكومته التي فتحت للشيوعيّين مجال النشاط والحركة بحرية، وعلى أثرها تمت عدة مطاردات ومسائلات واستدعاءات من السلطة، لكنّها لم تبلغ حد المحاكمة أو السجن في تلك المرحلة، لكن تهديدات «أنصار السلام» و«الشبيبة الديمقراطيّة» بالقتل أو ما أطلقوا عليه «التصفية الجسديّة» لم تتوقف. ويمكنني الآن أن أقرر بأن الشيخ محمد الخالصي^(٢) - يرحمه الله - (ت :

(١) يؤكد تقرير صادر من السفارة البريطانية في بغداد ما ذهب إليه صاحب السيرة ولكن يضيف التقرير المذكور بأن القاسميين كان لهم وجود متواضع فقط في أوساط الضباط من ذوي المراتب الأدنى. وأن معظم العسكريين من الضباط من ذوي الرتب الأعلى كانوا مستائين من حكم قاسم ولهم ميول قومية وناصرية وأن من القوميّين من لهم نزعات إسلامية. (انظر ، FO 370/2719 "political Affiliation of Iraqi Officers" May29,1963. Foreign Office ,B.G Birkmyre. المحقق

(٢) آية الله الشيخ محمد الخالصي ولد عام ١٣٠٦هـ - ١٨٨٨م في مدينة الكاظمية المقدسة، وتربى في كنف رعاية والده الإمام الشيخ مهدي الخالصي، ثم درس على كبار علماء عصره، والده والآيات العظام دروس الفقه والأصول واللغة وسائر العلوم الدينية. شارك الشيخ محمد الخالصي في أحداث «الجهاد» ضد الإنكليز. وبعد احتلال العراق نفى الإنكليز الشيخ وعلماء الشيعة الآخرين إلى إيران. اهتم الشيخ محمد الخالصي بعد أن عاد إلى العراق بعد نفى دام ٢٧ عاماً، بعدة أمور منها وحدة المسلمين ومقاومته للأنظمة الظالمة المتسلطة على الحكم في العراق، وأهمها الوقوف بوجه الحكومة الملكية، واستبداد عبد الكريم قاسم، والمد =

١٣٤٣هـ / ١٩٦٣م) والشيخ عبد العزيز البدري - يرحمه الله - (ت: ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) وصاحب المذكرات كانوا من أشد علماء العراق وخطباء مساجدها وطأة على الشيوعيّة والشيوعيّين، ثم على البعثيين من بعدهم.

ثم جاءت مرحلة ما يسمى بـ«المد الأحمر الشيوعي»^(١) بعد فشل محاولة انقلاب عبد الوهاب الشواف في مارس (١٩٥٩م)،^(٢) حيث كان

= الشيوعي الإلحادي الذي كان يستمد القوة منه، وكذلك حكم الحزب البعثي إبان انقلابهم الأول، وإن ينسى العراقيون قولاً فلا ينسون قوله لعبد الكريم قاسم حين اتخذ من وزارة الدفاع مقراً لإقامته: «أيما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في وزارة الدفاع»، وقوله لعفلق: «قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر ميشيل عفلق. توفي الشيخ في كانون الاول/ ديسمبر ١٩٦٣ (انظر: علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، - ج ٦، ص ١٠٧ - ١١٠ و ١٤٢، ١٨٥ - ١٨٢). (المؤلف).

(١) إذا ما تتبعنا تاريخ الوجود الشيوعي في العراق وجدنا أنّ الشيوعية قد دخلت العراق في وقت مبكر، انتقلت إليه من إيران وجنوب العراق، وبعض العناصر انتقلت إليه من سوريا المجاورة التي تأسس بها حزب شيوعي اعتنق مبادئه وأفكاره عدد من شباب الطلاب والدارسين وعن طريق هؤلاء من الدارسين السوريين والأردنيين انتقلت الدعايات الشيوعية إلى العراق الذي تأسست به أول خلية شيوعية على يد خياط من أصل روسي سنة (١٩٢٧م)، (المؤلف). وفيما بعد انتشرت المبادئ الشيوعية بين فريق من العراقيين على رأسهم عزيز شريف العاني وعبد القادر البستاني وعزيز الحاج وآخرون. (أنظر، زكي خيري وسعاد خيري، دراسات في تاريخ الحزب الشوعي العراقي. مجلد ١، بيروت: ١٩٨٤، وحنّا بطاطو، تاريخ العراق، تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، ص ٢٩ - ٣٥). (المحقق).

(٢) ولد عبد الوهاب بن عبد الملك بن طه الشواف الكبيسي عام ١٩١٦م دخل الكلية العسكرية ببغداد عام (١٩٣٦ - ١٩٣٧م) ثم تخرج فيها وتقلد عدة مناصب عسكرية وشارك مع جماعة الضباط الأحرار في الإطاحة بالنظام الملكي (رئيس الوزراء الذي تولى الحكم بعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨م) وكان من المعارضين لقتل الملك. قاد الشواف من حامية الموصل، تمرداً ضد قاسم، يعاونه الرائد محمود عزيز، بياناتها التي أذيعت بشكل متقطع من اذاعة محلية في ٨ آذار ١٩٥٩، وتحركت وحدات للسيطرة على شوارع الموصل، بينما امتنعت وحدات أخرى في بغداد ومحافظات أخرى عن التحرك، على الرغم من الاتفاق المسبق على تنفيذ الخطة، مما أعطى فرصة لعبد الكريم قاسم، بوضع وحداته بالإنذار، وحشدتها للتصدي للانقلاب، =

الحزب الشيوعي هو حاكم البلاد الفعلي بتنظيماته: «أنصار السلام، والشبيبة الديمقراطية، والمقاومة الشعبوية»، والعسكريين المؤيدين له، وغيرها من الواجهات التي أسسها الحزب لخدمة أغراضه، وقد نجح عبد الكريم بأن يحدث توازناً بين الفئات المتناحرة، ويقف على أكتافها جميعاً فإذا ذهب إلى الأعظمية أو الكرخ حيث العرب السنة سمع هتافات الإسلاميين والقوميين له: «عاش نصير الإسلام عبد الكريم قاسم»، وإذا ذهب إلى الكاظمية أو الشعلة سمع «عاش الديمقراطي عبد الكريم قاسم» أو «عيني كريم للأمام ديمقراطية أو سلام».

لقد استطاع اليساريون والسلطة أن يحشدوا ما زاد على المليون من العراقيين الذين لم يكن تعدادهم آنذاك أكثر من ثمانية ملايين نسمة وذلك في عيد العمال عام (١٩٥٩م) وقد استعرضهم عبد الكريم لعدة ساعات من منصة صنعت خصيصاً لتلك المناسبة في وزارة الدفاع، وردد الجميع هتافاً واحداً «عاش عبد الكريم زعيمي، حزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي» وظن الكثيرون أنّ العراق سقط في أحضان الشيوعية، وسيتهيء إلى أن يكون جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفياتي!! وقد عزز من هذه التخوفات تعيين ثلاثة من الوزراء المعروفين بانتمائهم أو تعاونهم مع الشيوعيين في

= وتحريك طائرات من القوة الجوية لقصف مقر الشواف، بصدها وأورد البعض أنه كقائد عام، قد اتصل بالشواف لمعرفة مطالبه، وأطال التكلم، لابقاءه في مقره، حتى وصول طائرة مقاتلة بقيادة م. أول خالد سارة الذي قصف المقر، وتسبب بجرح الشواف، جرحاً نقل بسببه إلى المستشفى التي توفي فيها، فانهارت الحركة وقدم العديد من المشاركين فيها والمؤيدين لها إلى المحاكمة، واعدموا في ساحة أم الطبول ببغداد بوجبات ثلاث كانت آخرها صباح يوم ٢٠ أيلول ١٩٥٩. انظر: هاشم عبد الرزاق صالح الطائي في أطروحة الماجستير: «ثورة الموصل ١٩٥٩: دراسة تاريخية»، والتي قدمها إلى مجلس كلية الآداب - جامعة الموصل ١٩٩٩. في دراسة الأحداث، صبحي عبد الحميد، مذكرات صبحي عبد الحميد (بيروت: الدار العربية للموسوعات - ١٩٨٩)، حازم حسن العلي، انتفاضة الموصل - ثورة الشواف - ٨/ آذار/ ١٩٥٩ - القصة الكاملة للثورة - ذكريات وخواطر (بغداد: الدار العربية، ١٩٨٧). (المحقق).

الوزارة العراقية، وفي مقدمتهم كانت امرأة شيوعية تدعى «نزيهة الدليمي».

وعلى خلفية النشاط الشيوعي كانت هناك مقاومة إسلامية وقومية لهذا النشاط، وجرت اعتقالات موسعة للإسلاميين الذين فُتحت أمامهم أبواب السجون بعد إخفاق إنقلاب عبد الوهاب الشواف لتضم ما يقرب من (٨٣ ألف) معتقل فيهم طلبة في الثانويات ونساء وفتيات وشيوخ، وكل ذلك كان بتهم سياسية، ولما كنت أشارك في مناهضة الشيوعيين فقد علمت بأنهم ينوون إلقاء القبض عليّ فأثرت الاختفاء بدلاً من الاستسلام لهم واختفيت حوالي ستة أشهر عدت بعدها إلى بغداد بعد هدوء الأوضاع.

إن هذه الاعتقالات أظهرت البعثيين على أنهم أهم القوى المعارضة للشيوعيين ممّا لخلافة حزب البعث للشيوعيين، فقد عملت الحكومة العسكرية برئاسة عبد الكريم قاسم والشيوعيون على الزعم أنّ هؤلاء المعتقلين جميعهم من البعثيين، ورغم أنّ مؤيدي حزب البعث وأعضائه بكل مستوياتهم في تلك المرحلة لم يتجاوزوا مائة وخمسين عضواً^(١)، لكنّ الانطباع الذي حدث في نفوس الناس كان ذلك الذي ذكرنا، وحين نقرأ الآن أحداث تلك المرحلة بالخبرة والتجربة التي تكونت لدينا - فيما بعد - نجد أنّ تضخيم أعداد البعثيين كان يراد بها الإيحاء بأنّ أيّ مطالبة بوحدة عربيّة غير مقبولة طالما أنها ستؤدي في المستقبل إلى الإضرار بإسرائيل. وذلك لإبراز حتميّة واحدة فقط؛ هي حتميّة بناء وعي قوميّ علمانيّ يمكن

(١) هذا العدد جاء في تصريحات صحفية لفؤاد الركابي، بعد انقلاب ١٤ تموز. ولا أذكر الآن الصحف التي نشرت تلك التصريحات لفؤاد الركابي باعتباره وزير الإعمار في حكومة ما بعد الانقلاب. كذلك تردد على ألسنة عدد من البعثيين القدامى مثل الفكيكي وغيره، وما كثر أعضاء الحزب إلا بعد اضطهاد الشيوعيين لهم بعد فشل محاولة الانقلاب العسكري بقيادة عبد الوهاب الشواف في الموصل. (المؤلف). ويؤكد هاني فكيكي في مذكراته ما ذهب إليه صاحب السيرة في محدودية الوجود البعثي داخل الجيش. [أوكار الهزيمة: تجربتي في حزب البعث العراقي (لندن: دار رياض الريس، ١٩٩٢)، ص ٢١٨]. (المحقق).

أن يتعايش مع الدولة العبرية ويسالمها، وذلك - كله - كان يقتضي أن ينسب الكفاح ضد الشيوعيين إلى حزب البعث^(١)؛ وتظهر الفئات الأخرى على أنها

(١) لقد نشرت وثائق سرية عديدة وهامة حول بدايات إعلان «الوحدة بين مصر وسوريا»، وهي أن هناك من أقنع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بضرورة تطمين إسرائيل بأن الوحدة ليست موجهة ضدها ولا تشكل خطراً على أمنها فتوصلت قيادة الجمهورية العربية المتحدة - آنذاك - إلى ضرورة إرسال السيد ميشيل عفلق (ت ١٩٨٩) مؤسس حزب البعث للقاء شخصيات يهودية في لندن وباريس، منهم - آنذاك - اللورد سيف مؤسس وصاحب محلات «ماركس أند سبنسر» ليحمل إليهم رسالة شفوية من قيادة «الجمهورية العربية المتحدة» بأن على إسرائيل أن تطمئن إلى أن هذه الوحدة لن تشكل خطراً عليها أو تهديداً لوجودها. وقد أبلغ عفلق الرسالة، لكنه اغتنم الفرصة واقنع اللورد سيف وصاحبه بأن الخطر على إسرائيل وتهديدها لن يزولا إلا إذا تسلم حزب البعث السلطة في البلدان المحيطة بإسرائيل، أو ما كان يعرف بدول المواجهة وأكد أنه في صياغته لفلسفة الحزب قد استفاد من الخلفيات الفكرية «لحزب العمل الإسرائيلي»، فعندما يتسلم الحزب السلطة في دول المواجهة ويتسلم حزب العمل «الحكم في إسرائيل فإن من الممكن إقامة «اتحاد كونفدرالي» بين إسرائيل ودول المواجهة التي يحكمها حزب البعث ينهي كل أزمات إسرائيل مع العرب. وقد اطلعت على رسالة سرية أرسلها الملحق العسكري العراقي في لندن - آنذاك - إلى وزير الخارجية في بغداد وذلك في مكتبة وزارة الخارجية العراقية يقول السفير فيها: «بأن ميشيل عفلق قد زار لندن والتقى بالأشخاص المذكورين». كما كانت هناك رسالة مماثلة من سفير العراق في باريس في تاريخ قريب من ذلك، وحين أقيمت في السعودية للتدريس فيها ذكرت هذه الواقعة للراحل إبراهيم الداود وطلبت منه أن يكلم الأمير نايف ويطلب منه النظر في ملفات الخارجية السعودية في الفترة التاريخية نفسها لمعرفة ما إذا كانت هناك إشارات مماثلة من سفراء السعودية في لندن وباريس حول زيارة ميشيل عفلق ولقائه بالقادة الصهيونيين، وبعد فترة جاءني إبراهيم الداود ومعه نسخة مصورة عن خطاب السفير السعودي للخارجية السعودية يذكر فيها مثل المعلومات الواردة في وثائق وزارة الخارجية العراقية. ونحن لا نذكر هذا في معرض اتهام ولا تصديق لكنه أمر قد قيل وورد في حينه نضعه أمام أجيال لعلها تكون أقدر منا على توثيق مثل هذه الأحداث التاريخية، وبيان ما لها وما عليها، فقد مضت كل تلك الأطراف المشاركة في تلك الأحداث إلى بارئها - جل شأنه - وهو الحكم العدل الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور). المؤلف).

حليفة منقادة أو تابعة للبعثيين. لقد كان الشيوعيون يبدون كمن يعمل ليهيئ حزب البعث لخلافة قاسم بقصد أو من دون قصد، فيتسلم البعثيون العراق ويكونون هم الوارثين إذا سقط الشيوعيون والقاسميون.

وحزب البعث - آنذاك - كان حزباً يؤمن بـ«الماركسيّة اللينينيّة بتطبيق عربيّ»^(١) - كما نص عليه نظامه الداخلي قبل تسلّم السلطة - ولم يكن بينه وبين الشيوعيين من فارق أيديولوجي كبير إلا «العروبيّة» في البعث، و«الأمميّة» في الشيوعيين، كما أنّ الحزب الشيوعيّ العراقيّ لم يكن ضد الوحدة العربية وحسب، بل كان مؤيداً صريحاً لحق «الرفاق الإسرائيليّين»!! في تأسيس دولتهم في فلسطين. ولم يتردد في تسيير مظاهرات تصدرها الرفاق من اليهود العراقيين للمناداة بحق الرفاق الإسرائيليّين في تأسيس دولتهم.

(١) ان قراءة متأنية لكتاب قصة حياة عفلق الذي كتبه زهير المارديني تبين بأن البعث أخذ كثيراً من الأفكار الشيوعية ونادى بها وجعلها أساساً لعقيده، وإن كان قد حاول أن يلوّن هذه الأفكار بلونٍ قومي، وأن يلبسها عقلاً عربياً فوق القبّة الغربية. وطبيعي أن يتبنى البعث هذه الأفكار الماركسية ويدعو إليها تحت صبغة أخرى غير الصبغة اللينينية السّتالينية. ذلك أن ميشيل عفلق يتندى تاريخه الفكري بماركس، كما يقول البعثيون، وأن البعثيين عندما يذكرون زيادة ميشيل عفلق في ندواتهم فإنهم كانوا يرددون: «إن تاريخ ميشيل عفلق الحقيقي هو تاريخه الفكري، لقد التقى على الانسجام والوفاق أخصب تيارات الفكر الإنساني من ماركس إلى نيتشه، ومن جيد إلى دستوفسكي وأهرنبورغ». ويمكن إجمال القضايا التي اشترك فيها البعث مع الماركسية فيما يلي: العلمانية: وهي فصل الدين عن الحياة، وإن كان الماركسيون ينكرون الأديان أصلاً ويحاربونها صراحة، بينما يتبنى البعث أسلوباً آخر لمحاربة الدين الإسلام. الجدلية الديالكتيكية: الثورية. الحتمية، لكنها عند الماركسيين أممية، أما عند البعث فهي قومية عربية. - الاشتراكية، وهي كذلك أممية عند أولئك، وقومية عربية عند هؤلاء. أما في الممارسة فإن أوجه الشبه كثيرة جداً، وأظهرها الفتك والدموية بين أعضاء الحزب الواحد، والسفك المتواصل بين الرفاق، ومن أقرب الأمثلة إعدام صدام لرفيقه ووزير دفاعه حردان التكريتي وأعوانه. وما حصل بين الرفاق الشيوعيين في عدن. لزهير المارديني، الأستاذ: قصة حياة ميشيل عفلق، (بيروت: رياض الريس للكتب، ١٩٨٨). (المحقق).

تفسر لنا هذه الحوادث الأسباب التي تقف وراء اتهام الشيوعيين وعبد الكريم قاسم لكل مَنْ يدعو إلى الوحدة، أو يحمل اتجاهات وحدويّة أو قومية أو إسلامية سواء كانوا (سنّة أو شيعة عربا أو أكراد أو غيرهم) بأنهم بعثيون رغم علمهم أنّ حزب البعث لم يدخل العراق إلا عام (١٩٥٤م)، ولم يبدأ في البروز إلا عام (١٩٥٦م) وبشكل محدود، ووثائق حزب البعث ذاتها تؤكد أنّ البعثيين لم يتجاوزوا سبعين شخصا عام (١٩٥٦م) ومع ذلك ضُموا إلى «الجبهة الوطنيّة» في العراق التي ضمت فصيلا من الحزب الشيوعيّ كان مقربا من حزب البعث، وحين زودت تشيكوسلوفاكيا الحزب الشيوعيّ بجهاز طباعيّ جديد طلبت منهم التبرع بجهازهم القديم لحزب البعث العراقيّ بناءً على اقتراح من جهة بريطانيّة^(١)

وقد مثل البعثيين في حكومة الانقلاب المهندس «فؤاد الركابيّ» (ت: ١٩٧١م) الذي شغل منصب وزير الإعمار، وهو شيوعيّ من جنوب العراق^(٢) وهو أول من تبنى أفكار حزب البعث من العراقيين وأول مسؤل عن الحزب في العراق، وقد اغتالته أجهزة صدام في السجن فيما بعد لتوجهاته الناصريّة.

رفض لثقافة العنف: فتوى قتل الشيوعيين

أذكر في معرض الحديث عن الشيوعيين أنه حينما تمت الإطاحة

(١) أكد هذا الأمر لي السيد شمس الدين المفتي الذي كان مندوباً للملا مصطفى البرزاني في طهران في (١٩٦٩م - ١٩٧١م) عند لقائي به في طهران آنذاك، في منزل الأستاذ بابا علي الشيخ محمود السياسي الكردي المعروف في عام ١٩٦٩. (المؤلف).

(٢) والذي ذكرناه أو نذكره لا ينفي وجود عناصر نظيفة دفعها إخلاصها وإيمانها بضرورة وحدة العرب وتحرّركم إلى الانضمام إلى حزب البعث أو غيره. كما لا يقلل من تقديرنا لشجاعة كثير من أولئك الذين حاولوا أن يحافظوا على استقامة الاتجاه والإخلاص للأهداف حتى فقد بعضهم حياته وهو يحاول ذلك أمثال عبد الخالق السامرائي (ت ١٩٧٩) وغيره من شرفاء البعثيين. (المؤلف).

بحكومة عبد الكريم قاسم في الثامن من شباط سنة (١٩٦٣م) وعلى أثرها تم إعدام قاسم بعد أسره في العاشر منه. ووجدنا أنفسنا وجهاً لوجه مع حزب البعث، ولهذا الحزب تاريخ طويل في عمليات الاستغلال والتوظيف السياسي للقضايا الكبرى كالوحدة والحرية والدين، وأراد البعثيون أن يوظفوا الدين في القضاء على منافسيهم وهم على الترتيب الشيوعيون ثم القوميون الناصريون ثم الإسلاميون. وكان البعثيون ذوي مكر ودهاء، وتوصلوا إلى أنهم يمكن أن يتخلصوا من خصومهم بأن يضربوا الشيوعيين بالإسلاميين ثم يتخلصوا بعد ذلك من الإسلاميين بزعم أنهم رجعيون وظلاميون، وفي الوقت الذي قرروا فيه التخلص من الحزب الشيوعي الذي لم يكن عدد أعضائه يتجاوز ثمانية آلاف شخص، وقد سنحت لهم الفرصة مع إقدام بعض المعتقلين الشيوعيين على تنفيذ محاولة انقلاب باءت بالفشل في سجنى الدبابات وسجن رقم (١) في معسكر الرشيد أحد المعسكرات الهامة في ضواحي بغداد^(١)، واتخذ

(١) كان السيد حسن سريع واحداً من بضع مئات من العسكريين الذين إعتقلتهم حكومة إنقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣ إما لكونهم متهمين بالإنتماء إلى الحزب الشيوعي العراقي، أو بتهمة ولائهم لزعيم العراق عبد الكريم قاسم. فإن المعتقلين كانوا موزعين على قاعتين في معسكر الرشيد القريب من بغداد، قاعة مخصصة للضباط، وأخرى للجنود والمراتب الدنيا. لا أحد يعرف بالضبط ماذا جرى داخل المعسكر يوم الثالث من تموز غير أن ضابط صف اسمه حسن سريع قاد تمرداً داخل القاعة الثانية، وتمكن بسرعة من اعتقال الحراس، والسيطرة على أجزاء كبيرة من المعسكر المهم، وكذلك على مخازن للعتاد. وعلى ما يبدو فإنه كانت هناك مرحلة ثانية في خطة التمرد يقوم فيها المتمردون بالوصول إلى القاعة الأخرى التي تضم الضباط لتحريرهم، وإتمام السيطرة على المعسكر تمهيداً للزحف على بغداد والاستيلاء على دار الإذاعة وإعلان «الثورة». هكذا كانت الخطط، ما صار معروفاً ذلك اليوم، هو أن خطة الوصول إلى قاعة الضباط قد تعثرت، وأن الحكومة قد أعلنت حالة الطوارئ فوراً، وسارعت إلى تطويق معسكر الرشيد بقوات ضخمة من الجيش والحرس القومي، وأن معارك شرسة دارت بين حسن سريع وأنصاره من جهة، وبين القوات الحكومية من جهة أخرى انتهت بمقتل حسن سريع وجماعته، وبإعادة اعتقال المتبقي. [أنظر: علي كريم سعيد، العراق البيرية المسلحة، حركة حسن سريع وقطار الموت ١٩٦٣ (بيروت: دار الفرات للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢)] (المحقق).

مجلس قيادة الثورة ذو الأغلبية البعثية - وإن كان عبد السلام عارف رئيس الجمهورية مستقلاً - قراراً بضرورة إعدام جميع أعضاء «الحزب الشيوعي»، وقد عضدوا قرارهم بثلاثة فتاوى من كبار العلماء ومنهم السيد محسن الحكيم (ت: ١٩٧٠م) المرجع الشيعي البارز، والسيد نجم الدين الواعظ (ت: ١٩٧٦م) المفتي السني، وضم إليهما الشيخ الخالصي في الكاظمية فأفتوا - جميعاً - بإعدام الشيوعيين. وقد أفتى الشيخ الخالصي بإعدام الشيوعيين من دون علم بالتفاصيل المحيطة بالحدث وهل يستحق من قاموا بمحاولة انقلاب فاشلة أن تسلب منهم حياتهم، وحجته أن الإنسان ما دام قد انضم طواعية وعن قناعة إلى الحزب الشيوعي فمجرد انضمامه إلى الحزب كافٍ لتجريمه والحكم بإعدامه؛ لأن الشيوعية في جوهرها عقيدة إلحادية تنكر وجود الإله وتزدري الأديان، وترى في الدين أفيون الشعوب.

ولم يختلف موقف السيد محسن الحكيم كثيراً وذهب إلى جواز الإعدام إلا أنه قيد ذلك بأنه يجب التمييز بين من هو شيوعي حقيقي آمن بالمبادئ الشيوعية عن قناعة وبين المخدوعين من الشيوعيين الذين لم يقفوا على حقيقة الشيوعية ولكنهم انضموا إليها لأنهم صوروا لهم أن الشيوعية والتشيع شيء واحد!!

أما الشيخ نجم الدين الواعظ^(١) فلم يكتف بجواز قتلهم ولكنّه ذهب

(١) هو الشيخ نجم الدين عبد الله أحمد رجب الشهير بالواعظ ويرجع نسبه إلى عشيرة المعاضيد، ولد سنة ١٩٢٨هـ - ١٨٨٠م في جانب الكرخ بمحلة سوق حمادة ببغداد وبعد أن نشأ في كنف والديه، قرأ القرآن الكريم على بعض مشايخ الكرخ في مقدمتهم العلامة الشيخ عباس القصاب، والعلامة الشيخ غلام رسول الهندي، وعلى علامة العراق الشيخ عبد الوهاب النائب في الرصافة، وحصل منه على الإجازة العامة، كما حصل على إجازة في الحديث، دراية ورواية، من شيخ الحديث في دمشق والشام الإمام المحدث الثبت الشيخ بدر الدين المغربي نزيل دمشق. ثم نقل بعد ذلك إلى جامع الإمام الأعظم في الأعظمية وعين مدرساً في كلية الشريعة، ثم إلى جامع العسّاف قرب داره في شارع الضباط في حي الشماسية ببغداد، =

إلى حد وجوب ذلك وجوباً مطلقاً.

كان هذا موقف الشيوخ الثلاثة أما أنا فلم أكن مفتياً ولم أكن من كبار العلماء، ولكنني كنت شيخاً أزهباً حديث التخرج، وخطيباً في جامع الحاجة حسبية الباجه چي في عام ١٩٦٢. وقد تصادف أن العميد الركن عبد الغني الراوي كان يحرص على أداء صلاة الجمعة في مسجد الحاجة حسبية، وقد كلف من مجلس الثورة بأن يكون رئيس مجموعة النار أو الرمي التي عليها أن تقوم بإعدام الشيوعيين، وكان المجلس قد أصدر أوامره بترحيل خمسة آلاف أو يزيد منهم إلى سجن «نقرة السلطان» الذي يقع في البقعة الصحراوية القاحلة التي تفصل بين السعودية والعراق. وتم حشد الشيوعيين فيه في شهر (يوليو/ تموز)، وكان الحر شديداً حيث وضعوهم في قطارات البضائع الحديدية المغلقة وأرسلوا بهم إلى هناك، فمات كثير منهم من الحر والاختناقات، ولذلك أطلق الشيوعيون على تلك القطارات «قطارات الموت»^(١).

وفي هذه الأثناء جاني السيد الراوي المكلف بإعدامهم يسألني رأيي في الفتاوى التي أصدرها العلماء الثلاثة، وأخبرني بأنه مكلف بإعدامهم جميعاً بأمر قيادة الثورة ورئيس الجمهورية وأن عليه أن ينجز مهمته على وجه السرعة بحيث يشرع في الساعة السابعة صباحاً على أن ينتهي في الساعة السابعة مساءً قبيل أن تصل أنباء ذلك إلى دول المعسكر الشرقي وبخاصة روسيا التي قد تمارس ضغوطاً لحماية هؤلاء. وقد زدوه ببعض الإجراءات

= وظل يزاول عمله فيه حتى أحيل على التقاعد عام ١٩٦٥م، وكان له مجلس للوعظ في جامع العساف يختلف إليه العلماء والأدباء، وله الكثير من المؤلفات الإسلامية. (العلامة الشيخ نجم الدين الواعظ - المجمع الفقهي العراقي home.fc-iq.org/?p=731 زرنا الموقع في ١٢/٤/٢٠١٣). المحقق

(١) (انظر: علي كريم سعيد (ب.ت) العراق البيرية المسلحة، حسن سريع وقطار الموت ١٩٦٣. دار الفرات للنشر والتوزيع). المحقق.

التي ينبغي اتباعها كأن يسأل كلاً منهم عن اسمه. وما إذا كان شيعياً أم لا، وهل انتمى إلى الحزب الشيوعي مع معرفته به؟! إلا أنهم أضافوا أنه أيا كانت الإجابة عن هذه التساؤلات فكلهم يجب أن ينتهوا. ومن أجل تنفيذ هذا المخطط تم تسليم السيد الراوي مبلغ مائتي ألف دينار عراقي لتوزيعها على الجنود الذين سيقومون بعمليات الرمي والإعدام.

وخلال جلستنا في الليلة السابقة على موعد الإعدام أخبرني الراوي أنه رغم الفتاوى الصادرة عن العلماء الثلاثة فإنه ليس مقتنعاً وضميره لا يرتاح لها، وطلب مني رأيي في هذه المسألة وأضاف أنه أياً ما كان فإنه سيعمل وفقاً له فأجبتته بأني حديث التخرج ولا أحسن الفتاوى، وهؤلاء أعلام العلماء في البلاد. ولكنه أصر على أن أخبره برأيي لأنه كان معجباً بخطبي، وعندئذٍ أجبتته قائلاً: إذا كنت تريد أن تسمع رأيي فانتظر، وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل وهو يريد أن يسافر على الساعة السابعة، فأتيت بدستور حزب البعث الذي لم يكن قد عدل بعد. وقرأت له المادة الأولى منه وكانت تنص على «أنّ الحزب يؤمن بالماركسيّة اللينينية بتطبيق عربيّ» والمادة التاسعة منه تشير إلى أنّ الإرث يعتبر كسباً غير مشروع، وقلت له: يا أخي هذا الحزب الذي كلّفك بإعدام الشيوعيين بتهمة «الردة» هو حزب شيوعيّ - أيضاً - ولكنّه يرتدي الكوفيّة واليشماغ، فهو شيوعيّ بتطبيق عربيّ ويلتزم بتطبيق الماركسيّة اللينينية في إطار عربيّ لا غير.

وأضفت أن مشكلة الحزب البعثي لا تقتصر على الإيمان بالماركسيّة اللينينية وإنما المشكلة الحقيقية في علاقته بالله والدين؛ فالحزب ينكر آيات الكتاب الكريم التي تتعلق بالإرث ويصرح بأن «الإرث كسب غير مشروع» على حين أن الله تعالى يقرر أنّ الإرث كسب مشروع، إن حزباً كهذا لا يتصور أن يكون ملتزماً بمبادئ الإسلام فضلاً عن أن يقتل من أجله، فكيف تحاكم هؤلاء بحجة وقوعهم في «الردة» والحاكمون أنفسهم مرتدون بهذا الاعتبار؟! وأردفت: إنّ «علي صالح السعدي» و«مصطفى عبد الكريم

نصرت» البعثيين كانا قبل أيام قليلة يطلقان النار على السماء وهما يتصايحان تهكما على الذين يرون أن الله أمدهم بالعون في القضاء على عبد الكريم قاسم «أين هو الله؟ إنه لم يشترك معنا بالاجتماعات التحضيرية، ولا شارك معنا بالثورة، ولم يدفع اشتراكاً واحداً للحزب» وكانا يطلقان الرصاص باتجاه السماء تعبيراً عن إنكارهم لوجود الله، فإذا لم يكن هؤلاء مرتدين فمن هم المرتدون؟! وقلت له: اطلب من الرئيس والقيادة أن يسلموا لك هذين الاثنين لتعدمهما مع الشيوعيين، ولعلّ الناس - آنذاك - يمكن أن يصدقوا أنّ موقفكم هذا نابع عن أسباب دينية وليس عن رغبة دموية تستغل الدين لتحقيق أغراض سياسية.

ومضيت موضحاً أن هؤلاء يريدون منه أن يقوم نيابة عنهم بالتخلص من الشيوعيين؛ وأن الاختيار وقع عليه لأنه إنسان متدين ملتزم بتعاليم دينه وفرائضه، وأنه في حال قيامه بذلك فإنهم سوف يقضون عليه وعلى الإسلاميين بتهمة الإبادة الجماعية لآلاف من المواطنين الأبرياء وبذلك تتم تبرئة ساحة حزب البعث، ويتحمل هو وحده^(١) تبعه هذا الأمر ومن وراءه

(١) ذهب عبد الغني الراوي من بيتي للقصر الجمهوري وقابل عبد السلام عارف واعتذر له عن القيام بالمهمة، وقال له: «ما ذكرته بأن البعثيين لديهم كثير من القتلة، والراغبين في سفك الدماء، فليعهدوا بهذه المهمة إلى واحد من أولئك». وأخبرني عبد الغني بعد ذلك بأن عبد السلام قد غضب منه، وقال له: «ما أراك إلا قد جبت، أو أثر عليك بعض الناس. وسأله من كان آخر من لقيت اليوم، فادعى أنه لم يذكرني، ولكنني عرفت بعد ذلك من الأخ عبد الرحمن الأحيم شفاهاً بأن عبد الغني قد ذكر لعبد السلام أنه لقيني وأني لم أؤيد فتاوى الحكيم والخالصي ونجم الدين الواعظ، التي أتوه بها. (المؤلف)

وحقاً تنبأ الشيخ طه بهذه اللعبة السياسية من قبل البعثيين واستغلالهم للإسلام والدعاة. فكتب أحدهم بعد أربعة عقود مقالاً يقول فيه «وإنه لشيء فظيع أن يدعي شخص أنه مسؤول عن قتل أكثر من أحد عشر ألفاً في مقابر جماعية، ولا يحاكم أو يسأل إلى الآن. فما الفرق بينه وبين صدام حسين، ومقابره الجماعية؟ وهو يريد اقناعنا بأنه مسلم، وداعية إسلامي، وكان ديننا يبيح إزهاق الأرواح، وليس دين حق ورحمة، وعدالة وهداية للبشرية». ويبدو أن عبد الغني =

الإسلاميون جميعاً. وأخبرته «أنني أخشى أنهم بعد الفراغ من إبادة الشيوعيين قد يكون من بين الجنود المرافقين لك شخص أو أكثر من المكلفين بقتلك وسيعلمون أنك إنسان رجعي، وقمت بإبادة جماعية وجريمة ضد الإنسانية من دون علم حكومة «حزب البعث» وبمبادرة فردية منك قمت بإعدام هؤلاء الرفاق، وبذلك يوضع الإسلاميون بالسجون. وقد يؤتى لهم بشيوعيّ يعدمهم - أيضاً - ويتخلصون من الجميع وتصفو الساحة لهم. وبعد أن استمع لي قرّر الاعتذار عمّا كلف به، وتوجه فوراً من منزلي إلى مقر رئيس الجمهورية وأعلمه بأنّه لن ينفذ هذا الأمر، وإذا أرادوا أن يكلوا الأمر إلى شخص آخر من رجالهم فذلك لهم، ولكنّه أعلن رفضه شخصياً للتنفيذ»^(١).

كانت تلك الواقعة في تموز عام (١٩٦٣م) في فترة باكرة من شبابي ولم تكن خبراتي البسيطة تسمح لي بمعارضة فتاوى هؤلاء الأعلام لكثني تحملت مسؤوليتي لوجه الله، وقلت ما كنت أوّمن به، وأحسست بأنّي تجاوزت مرحلة الفقه الحرفيّة والفتوى القاصرة لأنظر للأمر من مدخل سياسيّ و اجتماعيّ ومداخل مختلفة أخرى يفرضها على المفتي دوره في «تكييف الواقعة».

وهذه الواقعة توضح بشكل جلي كيف تقوم السياسة باستغلال الدين

= الراوي لا ينكر قسوته على الشيوعيين ويقول في مذكراته «نعم أنا عدو الشيوعيين ولم أكن بعثياً في أي يوم. أنا عربي مسلم. حصلت على فتاوى من رجال الدين الشيعة والسنة تجيز قتل الشيوعيين. الفتوى التي حصلت عليها من العلماء الشيعة تعتبرهم مرتدين وجزاء المرتد القتل. لست نادماً على ما فعلته بهم». (انظر، الحياة: غسان شربل «مذكرات» عبدالغني الراوي، الحلقة الاخير، ١٠ / ٧ / ٢٠٠٣، رقم العدد ١٤٧١٧). المحقق.

(١) ولكن لا يؤكد في مذكراته المنشورة في جريدة الحياة التزامه بنصيحة الشيخ طه ويقول بأنه أعدمهم لأنه كان يملك فتاوى من علماء الشيعة والسنة. (انظر، الحياة: غسان شربل «مذكرات» عبدالغني الراوي، الحلقة الاخير، ١٠ / ٧ / ٢٠٠٣، رقم العدد ١٤٧١٧). المحقق

وكيف توظفه لتحقيق مآربها، والذي لا بد لي من تسجيله - هنا - أنني تعرضت للوم كل من عرفوا هذه الواقعة من إسلاميين وقوميين. وهو ما يعني أنّ فكرة قتل المخالف، أو «التصفية الجسدية» ظاهرة متأصلة في عالمنا العربي وعقلنا الجمعيّ، فكأن أيسر الطرق للتخلّص من المخالف وأسهلها هو «القتل أو التصفية الجسدية»، وحين ننظر للمقاصد القرآنيّة العليا الحاكمة، ولمقاصد الشريعة نستطيع أن نتبيّن الهوة السحيقة التي ترذّينا فيها. فأَيّ عمران أو حضارة يمكن أن يقيمها إنسان لا يحترم الحياة الإنسانيّة ولا يحرص على حمايتها وحفظها!!

العنف السياسي وصناعته في العراق

لم تكن فتواي أو رأيي قائمة على قناعاتي «ببراءة الشيوعيين» أو عدم استحقاقهم لما كان يدبر لهم البعثيون رفاق الأمس. بل لأنني كنت أتمنى لو حوكم مرتكبو الجرائم والمجازر منهم، وعوقبوا بما يستحقون، فارتدع غيرهم. وتم تطهير ساحة العمل السياسي من الجريمة والجريمة المضادة. لكنني كنت أعرف أنّ الشيوعيين قد مارسوا من الجرائم ألواناً وأصنافاً لم تعرفها الحضارات القديمة ولا الحديثة في «معركة الكلمة والمعتقد»؛ فهم من علّم الشعب العراقيّ ممارسة القتل والإبادة الجماعيّة، وتفننوا في ذلك وأبدعوا طرائق جديدة في القتل فقتلوا الناس سَحلاً بالسيارات حتى الموت، كما قتلوهم عن طريق شقهم نصفين وذلك بربط قدم التعيس أو التعيسة ممن يقررون إعدامهم بسيارة وربط القدم الأخرى بسيارة ثانية، ثم تسير كل سيارة باتجاه حتى ينشطر الجسد أو يتمزق. وقتلوهم بصلبهم على أعمدة الكهرباء حتى الموت. وكانوا أول من قام باستيراد «أجهزة التعذيب» من الدول الاشتراكيّة والتدرّب على استعمالها. وعرف العراقيّات على أيديهم «فن إطفاء السجائر في فروج النساء»!!.

وكان أول سياسي عراقي سحل في انقلاب تموز «عبد الإله» الوصيّ

على العرش، فبعد أن قتله الضابط «عبد الستار سبع العبوسي» مع أفراد الأسرة المالكة سحلته الجماهير التي ناداها عبد السلام عارف ببياناته المذاعة لتنتقل إلى الشوارع انتصاراً «للثورة - الانقلاب» وذلك لقطع الطريق على أية محاولة مضادة من قبل القوات الموالية للنظام الملكي، فانطلق الغوغاء إلى ما كان يسمّى «بقصر الرحاب»^(١) الذي يسكنه الملك وأسرته، ونهبوا كل ما وقعت أيديهم عليه من متاع بسيط متواضع، لم يرض بمثله فيما بعد أي مرافق لصدام أو مقيم في المنطقة الخضراء من ورثته، وسحلوا جثة عبد الإله إلى قريب من الجسر المؤدي إلى جانب الرصافة، وهناك علقوا ما بقي من الجسد الذي مزّقه السحل وبدأوا يمثلون به تمثيلاً لا أظن البشرية شاهدت أبشع منه. لقد قطعوا أصابع الكفين، وكان بعضهم يدس الإصبع في جيبه للذكرى!! وفر أحدهم بإصبع فيه خاتم وآخر بإصبع فيه «دبلة الزواج» وقطعوا ذكره ووضعوه في فمه، ثم في دبره. ووضعوا خشبة في دبر الجثة - بعد ذلك!! وكل ذلك كان مسجلاً بصور يتداولها الناس وينظرون فيها بتشف، أو بأعصاب باردة.

كانت الجثة الثانية التي سحلت «جثة نوري السعيد». وذلك في اليوم التالي في منطقة البتاويين في شارع السعدون. وحمل وصفي طاهر - الذي كان مرافقاً لنوري السعيد - الجثة إلى سيده الجديد في وزارة الدفاع عبد الكريم قاسم ليطمئن إلى استقرار كرسي الحكم تحته، ووصفي هذا كان مرافقاً مزمناً لنوري حين كان رئيساً للوزراء، ثم صار مرافقاً لقاسم حيث

(١) قصر الرحاب في الأصل، هو القصر الملكي الثاني بعد قصر الزهور، تم بناؤه على نفقة العائلة المالكة غرب العاصمة العراقية بغداد، بين ضاحية المنصور الراقية (حي دراع تحديداً) شمالاً ونهر الخر جنوباً، يقابله عبر الشارع الرئيس قصر الزهور، مقر الملك الراحل فيصل الثاني. تم انجاز القصر في سنة ١٩٣٧ تحت إشراف الأمير عبد الإله، الوصي على العرش، ويقال إن تسمية قصر الرحاب جاءت نسبة إلى قرية الرحاب القريبة من الطائف، التي انحدرت منها العائلة. المحقق.

أشاع أنه كان وطنياً من الضباط الأحرار!! وأنه كان مدسوساً على نوري السعيد من أجل أن ينقل أخباره إلى زعيم «الضباط الأحرار» عبد الكريم قاسم!!

وقد أمر قاسم بعد اطمئنانه إلى أن جثة قتيل «البتاويين - شارع السعدون» هي جثة نوري السعيد التي لم يبخل وصفي بتفريغ مسدسه في الجسد الميت أمرهم بدفن الجثة فدفنت. وبعد يوم ونصف يوم توجهت الجماهير إلى المقبرة فنشبت القبر، وأخرجت الجثة التي بدأت بالتحلل وربطتها بالحبال، وسحلتها في الشوارع حتى لم يكذب يبقى منها شيء. وقد ذكر لي أحد قادة «الحزب الوطني الديمقراطي» وكان شاهد عيان أن زعيم الحزب السيد كامل الجادرجي حين مرت الجماهير ببنته يسحلون بقية الجثة الممزقة قال بعض الحضور الآخرون للجادرجي: أترضى يا أستاذ أن يحدث هذا في بلد متحضر، نريد أن نؤسس فيه للديمقراطية والعدالة؟! قال زعيم الديمقراطيين: هذا تعبير شعبي عن غضب مكبوت لعقود في صدور الجماهير، ولا مانع لدي أن تخطئ الجماهير في سحل جثتي شخصياً إذا غضبت علي!!^(١).

لقد لفتت هذه الأحداث نظري إلى قضية السحل فتبعت - فيما بعد - جذورها التاريخية عبر التاريخ البابلي والتاريخ الفرعوني، وما وقع بين يدي من تاريخ الحضارات، وما كتب في معارك الكلمة والمعتقد فوجدت أنها تعود إلى الدولة العباسية وإلى بغداد تحديداً حيث كان أول من سحل الخليفة الأمين ابن هارون الرشيد من زوجته زبيدة والذي قتل في الخامس والعشرين من محرم سنة (١٩٨هـ) بعد أن زين له مستشاروه خلع أخيه المأمون (ت: ٢١٨هـ) من ولاية العهد وتعيين ابنه موسى بدلاً منه، فافتتح

(١) إن هذا الرد من الجادرجي يبين أن الأزمة الفكرية والعدوانية لم تكن محصورة في بعض أفراد من الطبقة العامة بل كان لها وجود في عقلية النخبة. المحقق.

بذلك سلسلة طويلة من أعمال العنف والقتل في محاولة للوصول إلى السلطة انتهت بتغلب المأمون وتمكنه من الخلافة، وبعد أن تمكن قائد شرطة المأمون من الأمين وقتله أمر بسحله ليشهد جثته أهل الرصافة والكرخ، فتلك كانت البداية والله أعلم، ومن الطريف أنّ قائد شرطة المأمون هذا «طاهر بن الحسين» له ضريح في بغداد يزار، ويلقبه الناس «مسجد وضريح الإمام طه» وما هو بطه بل هو «طاهر بن الحسين كبير شرطة المأمون». فتأمل!!

ولا يظن أحد أن تلك المشاهد العنيفة قد طواها التاريخ فما زلنا نشهد امتداداً لهذا العنف في تاريخنا القريب وواقعنا المعاش فلا زالت المشاهد الحسينية تحفل بتمثيل ما جرى لإمام الشهداء الحسين وآله - عليهم رضوان الله وسلامه وبركاته - وقضايا اللطم والضرب بالسلاسل وإراقة الدماء. وبصطبغ تاريخنا السياسي بمظاهر لا تقل عنفاً فما زلت بعد خمسين عاماً أجد صدى هتافات الماركسيين في محكمة فاضل المهداوي^(١) في أذني، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: «إعْدِمْ إعْدِمْ يا شعبيّ الثائر إعْدِمْ»، وهو أحد هتافات كانت تردّد صباح مساء على أسماع العراقيين في الإذاعة والتلفاز والمظاهرات، وبأصوات بشعة تنقل صور الإعدام وتبث رائحة الموت في كل مكان، وهناك هتاف آخر حفظه جيلنا، وما زلت عاجزاً عن نسيانه، فهو يرنّ في أذني كلّما تذكرت تلك السنين العجاف: «ماكو مؤامرة أتصير

(١) أسسها عبدالكريم قاسم برئاسة العقيد فاضل المهداوي، ابن خالة قاسم، لمحاكمة من أسموهم رجال العهد البائد (الملكي) وأعداء الثورة فسيطر عليها الشيوعيون وحولوها إلى منبر لمحاكمة خصومهم من أصحاب الآراء الأخرى. كانت بكل المقاييس بربرية تعرض فيها المتهمون إلى السب والشتم والاستهزاء قبل إدانتهم. (محسن عبدالحميد، الأخوان المسلمون في العراق، ١٩٤٤ - ٢٠٠٣، ط٢، ٢٠١٢، ص ١٧١). وقد امتد عملها إلى محاكمة المتآمرين ضد نظام قاسم، إلى أن قام عبد السلام عارف بإلغائها في العشرين من شباط عام ١٩٦٣م بعد نجاحه في الإطاحة بقاسم. المحقق.

والحبال موجودة»، يردّها حملة حبال السحل على أسمعنا وهم يجرون متظاهرين في الشوارع بحبالهم كالثيران الهائجة وكالمجانين، متعطشين لسحل الناس. غير مدركين أن عنفاً كهذا لا بد أن يولّد عنفاً مضاداً يفوق هذا العنف.

ولسنا بحاجة للتأكيد على أن رؤية الدماء البشريّة تترك آثاراً نفسية عميقة على النفس الإنسانية وتمتحن حقاً أساسياً للإنسان أقره الإسلام والأديان جميعاً وهو حقه أن يقضي نجه بكرامة وحسابه بعد ذلك يقع على الله، وليس معنى هذا إفلات الإنسان من العقاب إذا ما ارتكب جرماً بحق فرد أو جماعة أو شعب وإنما المقصود أن تتم محاكمته ومعاقبته - إن ثبتت إدانته - وفق قواعد إنسانية تقرها الشريعة وينظمها القانون، لا أن يتم التصرف معه وفق طرائق تعافها الحيوانات والضواري.

وحتى نجلي مسألة رفض الإسلام القاطع وموقفه من إراقة الدماء البشرية يمكن أن نتوقف أمام تعاليم الإسلام التي ترشدنا إلى أنّ «كلب الصيد» المعلم إذا ولغ في دم الصيد أو أكل من لحمه يصبح كلباً غير معلّم لا يجوز الاصطياد به؛ لأنّ صيده - آنذاك - يصبح لنفسه، لا لصاحبه الذي أطلقه ليصيد له، ويمكن أن نمضي فنقيس على ذلك الإنسان الذي يُحرّض ويُطلق للفتك بإنسان مثله بتلك الطرق البشعة، والذي يجرمه الإسلام فعلة تجريماً مطلقاً. أتى لمثل هذا أن يستعيد إنسانيته؟!!

وعلى الرغم من تجذر ظاهرة العنف في المجتمع العربي فإننا نعتقد أن هذه الظاهرة يمكن استئصالها أو على الأقل التخفيف منها، وسبيلنا لذلك القيام بعملية إعادة تأهيل نفسيّ للإنسان العربي عموماً والعراقي خصوصاً، وعلينا أيضاً ألا نهمل المناهج التربوية التي تغرس في نفوس الناشئة فضائل العفو والاعتدال والتسامح، وواجبنا الأكبر يتمثل في تخليص الثقافة العربية وتنقيتها من المؤثرات الثقافية التي قد تؤدي إلى تدمير الذوق الإنسانيّ وتؤسس لثقافة الدم والعنف، وفي هذا الصدد فإنني أدعو إلى أن تقوم مراكز

البحث العربية بدراسات نفسية وتربوية على مكونات الثقافة في العراق والعالم العربي ثم الإسلامي لتتعرف على دواعي العنف الكامنة في الثقافة العربية ونبحث في السبل الكفيلة بالتخلص منها، ونراجع سائر مصادر وموارد ثقافتنا!!

محاولات اغتيال قاسم

إن هذا الفهم لأبعاد قضية العنف لم يكن ماثلاً في ذهني في ذلك الوقت، فلم أزل شاباً يفتقر للخبرة، وكان كل من حولي يؤكدون على مسؤولية عبد الكريم قاسم الشخصية عن كل ما حدث ويحدث في العراق، ومن هؤلاء «عُبيد لافي العاني» وهو شاب اعتاد أن يصلي معي في المسجد ويمضي معي المساء يومياً، ولم يكن له حديث إلا عن ضرورة قتل عبد الكريم قاسم للتخلص من الخطر الشيوعي، والمحافظ على عروبة العراق وإسلامه. ومن خلال مناقشاتنا بدأت أتقبل فكرة الاغتيال السياسي لفرد أو مجموعة صغيرة تعد مصدر الشرور والفتن، وبدا لي أن التخلص من هؤلاء وسيلة سهلة ومشروعة إلى حد ما أمام الجرائم والمخاطر التي يرتكبها أولئك الأفراد. وعلى هذا قررت تشكيل تنظيم سري يقوم بعملية اغتيال عبد الكريم قاسم بمعاونة عُبيد لافي العاني، حيث أجرينا اتصالاً ببعض الأشخاص وتحدثنا معهم في هذا الأمر فأبدوا تأييداً للفكرة وترحيباً بها!! وقد تصادف أن أحد الأشخاص الذين اتصل بهم العاني ويدعى «سلمان العبيدي» كانت له علاقة بجهاز المخابرات العراقية حيث كان يعمل خياطاً في منطقة البتاويين فأبلغ جهاز المخابرات عنا، وقد جندت المخابرات بعض العسكريين ليدخلوا بيننا؛ ويبدو أنهم ظنوا أننا تنظيم موسع، وقد جاءني أحدهم وهو المقدم محمد علي عبد اللطيف، وأبدى رغبة شديدة في الانضمام إلينا، وكان ضابطاً برتبة مقدم وهذا أمر مغر لأبي متامر غشيم قليل الخبرة مثلنا، وأخبرني بأن الزعيم يأتي في زيارات لمقره في الأعظمية فيما

كان يسمّى «بالنادي الأولمبي» سابقاً، ويمكن تنفيذ عملية الاغتيال في إحدى الزيارات، بعد أن يزودنا ببعض الأسلحة التي نتمكن بها من تحقيق ذلك، وقد علمنا - فيما بعد - أنّ الرجل مدسوس يشرف عليه ويوجهه العميد «إسماعيل العارف» أحد كبار أعوان عبد الكريم قاسم ولم نشك في أمر الرجل آنذاك؛ لأنّ التجربة والخبرة محدودة، والاندماج لا محدود. ولا يسمح بمثل هذا الوعي. ولم يكن لدينا مصادر معلومات يمكن أن تلفت النظر إلى مثل هذا الشخص، ولم يكن لدينا ما يمكن تسميته بالحدز؛ الذي كان يعد جيناً وتردداً في قاموس ذلك العصر، وباختصار كانت الاندفاعات غير المدروسة هي سيدة الموقف.

وعلى هذا قبلنا التعاون مع المقدم محمد علي عبد اللطيف ومضينا معه في الإعداد لمخطط الاغتيال إلى أن حدّد وقتاً معيناً لاغتيال الزعيم، وأبلغنا أنّه سوف يزور إحدى الجهات، ويمكن أن نحضر قبلها بعض التدريبات العسكرية بحيث يدرنا على استخدام القنابل من نوع (أنيرگا) التي تطلق بواسطة البنادق حتى يصبح مؤهلين للقيام بعملية الاغتيال. والطريف أنه اقترح أن يزودنا ببعض القنابل إلا أنه اشترط أن نحصل على البنادق بأنفسنا وأن نحضرها إليه، ولما صار الأمر جدّياً، حيث سيتم التدريب على يد ضابط عسكريّ بهذا المستوى لا نعرفه إلا من وقت قريب، صار التأكّد من صدق الرجل ضرورياً؛ لذلك ذهبت إلى ضابط آخر من أصدقائنا وجيراننا سابقاً في الفلوجة هو المرحوم رشيد محسن الذي شغل - فيما بعد - منصب مدير الأمن العام في عهد عبد السلام عارف. فسألته عن هذا الضابط، فدهش الرجل وسألني كيف عرفته ومن عرفني به؟ وعلمت منه أنه من أعوان عبد الكريم وعميل له ويعمل مع إسماعيل العارف وأنه شيوعيّ أو مؤيد للشيوعيين، ونصحتني بأن أهرب واختفي عن الأنظار على الأقل لمدة ستة أشهر أو أكثر ريثما تتضح الأمور، وبعد فترة قام عبد الكريم بإعدام عدد كبير من الضباط القوميّين وغيرهم من أعضاء «تنظيم الضباط الوطنيين» بحجة

التآمر لقلب نظام الحكم وأنهم على صلة بمحاولة الانقلاب الفاشلة التي قام بها عبد الوهاب الشواف في الموصل (١٩٥٩م) وكان يتوقع أن نعدم معهم لو استمرت علاقتنا بالمقدم عبد اللطيف واقتنع عبد الكريم بجديّة وخطورة ما ندبّر.

لم تكد تمضي أيام قلائل على إعدام أولئك الضباط في العشرين من سبتمبر/ أيلول ١٩٥٩ حتى قام حزب البعث في مطلع أكتوبر/ تشرين الأول بمحاولة اغتيال فاشلة لعبد الكريم قاسم أصيب فيها بجروح، وقد وقعت محاولة الاغتيال في شارع الرشيد (عكّد النصاري)، ووفقاً لاعترافات المقبوض عليهم كانت محاولة الاغتيال ممولة من جانب الرئيس عبد الناصر الذي دفع (٧٠ ألف جنيه) لحزب البعث، وقد قام الحزب بتجنيد كل من صدام حسين وعبد الوهاب الغريري وغيرهما واستأجروا شقة لتكون مقراً لهم في شارع الرشيد، وهو الشارع الذي يكثُر فيه مرور عبد الكريم، وبالفعل قام ثلاثة عشر شخصاً مسلحاً من كوادر حزب البعث بالنزول من الشقة لاغتيال الزعيم!! وأحاطوا بسيارته وأطلقوا عليها وابلاً من الرصاص، وأسفرت المحاولة عن مقتل عبد الوهاب الغريري وجرح صدام حسين في ساحة سميت بعد ذلك «ساحة الغريري»، وأمّا عبد الكريم قاسم فقد جرح في كتفه وأدخل المستشفى، وألقي القبض على هؤلاء. وتمت محاكمتهم وصدرت بحقهم أحكام بالإعدام إلا أن عبد الكريم عفا عنهم قبل إعدامهم بساعتين بحجة إن هذا حقه الشخصي وقد تنازل عنه، وقد أشيع في حينها أن الرجل قد تعرض لضغوط خارجية قوية حالت بينه وبين تنفيذ ما يريد.

وقد ألقى القبض عليّ في اليوم التالي مباشرة قبيل أن يُكتشف أنّ حزب البعث هو الذي قام بهذه المحاولة. وذلك على خلفية علاقتي بالمقدم محمد علي عبد اللطيف حيث توقع قاسم في البداية أننا نقف وراء محاولة الاغتيال وقد علمت فيما بعد أنه قام باستدعاء المقدم عبد اللطيف وسؤاله عما إذا كنا نقف وراء المحاولة إلا أن عبد اللطيف نفى له ذلك نفيّاً مطلقاً وأخبره أنّه لو

صحت هذه التكهنات لكان علم بالأمر، فعلى جهات التحقيق أن تتابع جهودها للكشف عن الفاعلين.

ورغم ذلك فقد تم إلقاء القبض عليّ بصفتي مشتبهاً به في محاولة الاغتيال، ولم أكن أعلم وقتها لماذا قبض عليّ إلى أن وجدت نفسي أمام محكمة الشعب متهماً بالضلوع في محاولة اغتيال الزعيم، وقد هياً الله - جل شأنه - أنّ عبد الكريم كان قد استدعى رئيس وأعضاء هيئة التحقيق، وشدد على أنه ما دام قد نجا ولم يقتل فلا يريد أن يُظلم أحد بسببه، وأنه يريد تحقيقات عادلة نزيهة لمعرفة من وراء هذه المحاولة!! ومن هم المشاركون فيها، ولماذا؟!

وبقيت في المحكمة العسكرية العليا الخاصة التي كانت تسمى «محكمة الشعب»، وكانت هيئة التحقيق مؤلفة من عناصر مدنيّة وأخرى عسكريّة، وعندما سألت أين كنت عندما وقعت محاولة الاغتيال؟ أجبتهم بأني كنت في المسجد أؤم المصلين في صلاة العشاء!! قالوا: وهل معك من يشهد بذلك؟ قلت لهم: نعم هناك المصلون في المسجد - كلهم، وقالوا: ماذا عن علاقتك بفلان وفلان؟ وأخيراً بعد ثلاث ساعات ونصف الساعة من التحقيق أخرجوني. وسمعت بعد خروجي لغطاً وأصواتاً ارتفعت علمت أنّها كانت من الأعضاء المدنيّين، حيث كانوا يخاطبون زملاءهم العسكريّين، بأنهم يتعمدون توجيه التهم وتلفيقها إلى المعمّمين والإسلاميين وهذا صحيح إلى حد بعيد فمن كان مصراً على اعتقاله كان ضابطاً منسوباً للشيوعيّين يدعى «العقيد جلال بلطة»، واستطرد المدنيّون قائلين: إنّ هؤلاء المعمّمين لا يشكلون أي تهديد للنظام. فكيف لمثل هذا الإمام الشاب حديث السن قليل الخبرة أن يقوم بانقلاب وإن نظن إلا أنه ضحية وشاية! ولذلك ينبغي إطلاق سراحه فوراً؛ خاصّة والزعيم قد أصدر توجيهات بالألا نظلم أحداً في هذه القضية؟

وبعد مضي فترة وجيزة خرج أحدهم وأخبرني أنه سوف يتم الإفراج

عني في نظير كفالة قدرها «ألف دينار» وأن يكفلني شخص ما، فطلبت منه أن يصطحبني إلى الفلوجة، وسوف يكفلني الوالد؛ وقد توقعت أنهم أرادوا بذلك استدراجي لتعريفهم بمن أعرفهم أو يعرفونني في بغداد. ولما أصروا على سرعة العثور على كفيل رشحت أحد جيراني وهو الحاج عبد الحميد العبوسيّ - يرحمه الله - ومع الفجر أطلقوا سراحي وتمكنت من الصلاة في مسجدي بعد حوالي ثمانية عشر ساعة من الاعتقال في محكمة المهداوي.

التجربة الحزبية.. الحزب الإسلامي العراقي

كانت هاتان التجربتان كفيلتين بإقناعي أنّ العمل العنفي يشكل مخاطرة غير مأمونة العواقب قد يفقد الإنسان معها حياته فضلاً عن أنه لا فائدة ترجى من وراءه حيث يعيد إنتاج دورة العنف مجدداً، ولذلك ينبغي الاستعاضة عنه بالعمل السلمي الذي يتوسل إلى التغيير بكل الوسائل والأدوات السلمية المشروعة وعلى رأسها بالطبع تأسيس الأحزاب السياسية والانخراط في العمل الحزبي، وقد تصادف أن عبد الكريم قاسم قد أراد أن يعطي مؤشرات للدخل والخارج بأن حكمه قد أخذ طريقه نحو الاستقرار وأنه بات ينحو باتجاه الديمقراطية والأخذ بالتعددية الحزبية، واستعادة الحياة البرلمانية فأعلن عن الدعوة إلى تأسيس أحزاب جديدة.

وفي يناير/كانون الثاني عام ١٩٦٠ منحت حكومته تراخيص لبضعة أحزاب، وكان الحزب الشيوعيّ أول مَنْ تقدم ونال الرخصة، ولكن الحزب كان منقسماً إلى جناحين، فالجناح الذي كان يعتبر معتدلاً بقيادة داوود الصايغ هو الذي أخذ رخصة علنية. وأمّا الجناح الآخر (جماعة اتحاد الشعب) فلم يحصل على رخصة كما تقدمت مجموعة أخرى من الديمقراطيين وتم الترخيص لها تحت مسمى «الحزب الوطني الديمقراطي» كما تم الترخيص لأحزاب أخرى كردية وتركمانية، من هيئات استوفت الشروط الرسمية، واقتنع عبد الكريم قاسم بالترخيص لها.

وفي هذه الأثناء دارت مناقشات بين شباب الإخوان المسلمين، وكانوا متشككين في البداية: هل الأمر جدّي أو غير ذلك؟ وهل نقدم طلباً مثل الآخرين؟ وهل سيوافقون على تأسيس حزب إسلامي أو لا؟ إلى أن استقر الرأي على التقدم لنيل رخصة إلا أن حكومة قاسم رفضت السماح بالترخيص لحزب ذو مرجعية إسلامية. فأقام الحزب دعوى قضائية ضد الحكومة أمام محكمة تمييز العراق، وريح الدعوى في ٢٦ / ٤ / ١٩٦٠، وتم منح الترخيص بناء على قرار محكمة التمييز، وبناء على ذلك أعلن عن تأسيس «الحزب الإسلامي العراقي» بعد أن اقتنعت الكوادر الإخوانية العاملة في إطار «جمعية الأخوة الإسلامية» بضرورة التخلي عن اسم الإخوان المسلمين حين تأسيس الحزب لتجنب إثارة المشكلات أو الملاحظات الأمنية^(١).

وفي هذه الآونة كان المرجع الشيعي السيد محمد باقر الصدر يميل إلى تشكيل وإعلان «حزب الدعوة»، ليعمل في المجال الشيعي ليحاكي الحزب الإسلامي و«الإخوان المسلمون» في الإطار السنّي، ولحماية الشباب الشيعي من الانضمام إلى أحزاب وجمعيات سنّية قد تنتهي بهم إلى تجاوز التشيع. لكن قيادة الحزب الإسلامي اقترحت دمج «حزب الدعوة مع الحزب الإسلامي العراقي» في حزب واحد يقوده شباب من السنّة، على أن يكون الأب والراعي الأول له السيد محسن الحكيم دفعاً لشبهة الطائفية عن الحزب وتأكيداً على انفتاحه على جميع الإسلاميين العراقيين. إلا أن هذا الاقتراح لم يجد صدى لدى السيد الصدر ولا السيد الحكيم إلا على مستوى رعايته الشرفية للحزب الإسلامي العراقي^(٢).

(١) ايمان الدباغ، ص ٦٣ - ٦٤.

(٢) وحين لقيت السيّد إبراهيم الجعفري أول رئيس لمجلس الحكم بعد الاحتلال، اقترحت عليه أن تشكل جبهة من الأحزاب الإسلامية السنّية والشيعية للحيلولة دون الوقوع في شرك الصراع الطائفي في المستقبل، فوعد بدراسة الاقتراح بجديّة والرد عليّ، كان ذلك عندما لقيته في =

وفي هذه الأثناء فاتحني الدكتور عبد الكريم زيدان^(١) ود. كمال القيسي في شأن الانضمام إلى الحزب، فسألتهما عن مدى الاستقلالية التي سيحظى بها الحزب، ومدى تمتع قيادته بالحرية عند اتخاذ القرارات فأكد لي أن الحزب سوف تكون له قيادة منتخبة تتمتع بالاستقلالية والحرية، وأن الحزب رغم مرجعيته الإسلامية إلا أن هذا لا يعني وجود أي صلة له بالتنظيمات الإسلامية كحزب التحرير وجماعة الإخوان المسلمين أو غيرهما من

= واشنطن في منزل السيد صفاء السعداوي في الأشهر الأولى لسقوط صدام، لكن لم أسمع من الرجل ولم أره إلى يومنا هذا!!

(١) ولد الدكتور عبد الكريم زيدان بهيج العاني ببغداد سنة ١٩١٧ ونشأ فيها وتدرج. تعلم قراءة القرآن الكريم في مكاتب تعليم القرآن الأهلية. أكمل دراسة الأولية في بغداد. دخل دار المعلمين الابتدائية وبعد تخرجه فيها أصبح معلماً في المدارس الابتدائية دخل كلية الحقوق ببغداد وتخرج فيها. عين بعدها مديراً لثانوية النجبية الدينية التحق بمعهد الشريعة الإسلامية من جامعة القاهرة ونال الماجستير بتقدير ممتاز وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٢ بمرتبة الشرف الأولى. تخصص الدكتور عبد الكريم في الفقه الإسلامي واطلع على مراجعه المهمة وبخاصة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية. كما دارس وناقش شيوخ العلم في مسائل فقهية عديدة قبل وبعد التحاقه بمعهد الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة. ولى أستاذية الشريعة الإسلامية ورئيس قسمها بكلية الحقوق جامعة بغداد. يعمل منذ عام ١٩٩٢ أستاذاً للشريعة الإسلامية بقسم الدراسات الإسلامية ودراسة الماجستير والدكتوراه في جامعة صنعاء. أتنمى إلى دعوة الإخوان المسلمين في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي التي أسسها في العراق الأستاذ محمد محمود الصواف. أصبح عضواً في قيادة الإخوان المسلمين في العراق عام ١٩٥٨. في عام ١٩٦٠ اجتمع مجلس شورى الإخوان مجدداً وأجرى الانتخابات التي نتج عنها انتخاب الدكتور عبد الكريم زيدان مراقباً عاماً للإخوان المسلمين في العراق. استمر مراقباً عاماً للإخوان المسلمين في العراق إلى تسعينيات القرن الماضي. غادر العراق عام ١٩٩٢ وانتقل إلى صنعاء في اليمن. انتقل إلى رحمة الله يوم الإثنين ٢٦ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٧ يناير ٢٠١٤ م، في العاصمة اليمنية صنعاء عن عمر ناهز ٩٧ عاماً وما يقرب من قرن بالتقويم الهجري، بعد حياة حافلة بالعطاء الفكري والتربوي والتأليف والتدريس. (انظر، <http://www.azzaman.com/2014/01/27> زرنا الموقع في ٩ - ٥ - ٢٠١٤) المحقق.

التنظيمات التي تنتهج العمل السريّ تنظيمياً، وأضافا أنّهما شخصياً بالإضافة إلى الشيخ الصواف ينعتون من قبل الأكراد والشيعة بأنهم جميعاً سلفيون وهابيون وأنهم حريصون على إثبات عدم صحة هذه التهم. وهكذا انتهينا إلى التوافق على استقلالية الحزب وعلى مرجعيته الإسلامية المنفتحة التي تتيح للعراقيين كافة الانضمام له. وعلى هذا الأساس قبلت الانضمام إلى هيئة الحزب وشاركت في تأسيسه وتبنيته برنامجه.

كانت هناك دواعي فكرية جعلتني أقبل بالانضمام إليه فكونه حزباً سياسياً قدم برنامجاً سياسياً قبل من أعلى هيئة قضائية في العراق، وبرنامجاً برنامج عصري مستمد من الشريعة إلا أنه لا يغفل عن المستجدات في الواقع الإسلامي. وكان إيماني بأن التحولات الانقلابية جعلت العمل الفرديّ لا قيمة له ولا وزن، وما عاد في مقدور الفرد المستقل أياً كان أن يؤدي دوراً فاعلاً في خدمة الأمة، كل تلك الأسباب جعلتني لا أتردد في الانضمام إلى الحزب.

وقد يكون من المفيد أن أشير إلى أنني لم أكن أشعر في تلك المرحلة بأنّ هناك فاصلاً حدّياً بين العمل السياسيّ والعمل الدعويّ شأنه شأن أقراني من شباب تلك المرحلة؛ فالإمكانيات السياسيّة يمكن أن توظف في عمليّة الدعوة والعكس، فهناك جدل وتفاعل بينهما، فالداعية يحتاج للسياسيّ والسياسيّ يحتاج إلى الداعية. وهذه القضية ما زالت تثير كثيراً من الغبش واللبس في جماعات العمل الإسلاميّ هي في حاجة إلى دراسات وحلول، وإن كنت على الجملة أرى الآن ضرورة الفصل بين العمل الدعوي والسياسي. وأنّه لا بد من الفصل بين مؤسسات الدعوة والسياسة^(١).

(١) لصاحب السيرة مقال مفيد جداً في هذا الموضوع حيث يتناوله بمنهجية تاريخية وسياسية ويدعو إلى ضرورة الفصل بين الدعوة والدولة والعمل السياسي. (انظر ، الإسلاميون بين الدعوة والدولة - د. طه جابر العلواني - موقع د.عبد المنعم أبو الفتوح ، الإسلاميون بين الدعوة والدولة. تشرين ١/ أكتوبر ، ٢٠١١ ، www.abolfotoh.net) المحقق. =

اتخذت مشاركتي في الحزب الطابع العملي فقد أسهمت مع مجموعة المؤسسين في صياغة برنامج الحزب الذي وضع بنوده الرئيسية بعض القانونيين المشاركين معنا^(١)، وفي مقدمتهم «نور الدين الواعظ» وهو محام

= وهذا ما يدعو إليه أيضاً العديد من الإسلاميين المعاصرين المتأثرين بخط حزب العدالة والتنمية التركية والمغربية. ويتبناه بشدة الأستاذ الدكتور محسن عبدالحميد، الأكاديمي ورئيس الحزب الإسلامي العراقي (الأخواني) سابقاً. (انظر، موقع الدكتور محسن عبدالحميد. دكتور محسن عبدالحميد يدعو إلى تغيير أسماء الأحزاب الإسلامية). ١٦ كانون الأول، ٢٠١١ (http://drmohsinah.com/?p=228) المحقق

(١) لم يرد اسم صاحب السيرة ضمن الأشخاص الذين قدموا الطلب لتأسيس الحزب من الحكومة في عام ١٩٦٠. نشر الطلب الرسمي وأسماء الموقعين عليه كل من هادي حسن عليوى في كتابه الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية، (بيروت: دار رياض الريس، ٢٠٠١)، ص ١٧٨ - ٧٩، وكتاب تاريخ نشأة الحزب الإسلامي العراقي، بغداد: مكتبة الرقيم للنشر، لمؤلفه الشيخ كاظم أحمد المشايخي، المنشور، ٢٠٠٥، وسكت عنه أيضاً الدكتور نعمان عبدالرزاق السامرائي في مذكرات، المنشور، ٢٠٠٤. وتشير الباحثة الدكتورة إيمان عبدالحميد الدباغ في دراستها المفصلة عن الأخوان المسلمين في العراق والمشار إليه أعلاه إلى وجود لجنة تشكلت لكتابة برنامج والنظام الداخلي للحزب، ولكن بدورها لم تشر إلى دور الشيخ طه في هذا المجال. قد يعود ذلك إلى عاملين، أولهما كون الشيخ طه لم يرد أن يذكر اسمه من باب الحذر. أو يكون سبب ذلك في وجود نزعة من قبل الأخوان كاشخاص وكتنظيم في عدم إبراز دور العناصر الغير الحزبية في العمل السياسي. علماً أن الشيخ بقى داخل الحزب لفترة قصيرة ورفض أن يكون خاضعاً للتنظيم لأنه كان عالماً وذو شخصية ديناميكية وقوية. ويكتب صاحب السيرة في رسالة خاصة إلى المحقق في ٥ ميس ٢٠١٤، مايلي: «أولئك الذين يرون أن السير لا بد أن تخدمهم وتخدم وجهات نظرهم، والفئات التي ينتمون إليها، وهذا يختلف مع منهجي في ضرورة مصارحة الناس بالحقائق، وهؤلاء الأخوة أعني مجموعة الحزب الإسلامي الذين انتقدتهم في مقالاتي في آلي إسلام، وزاد نقدي حدة بعد ذلك، بعد مشاركتهم في مؤتمر لندن قبل الاحتلال، ثم دورهم بعد الاحتلال مع الفئات الأخرى، بشكل يجعل الجميع، القداماء منهم والمحدثين، حريصين على طمس دوري إلا في بعض الأمور السلبية التي سولت لهم أنفسهم أنني ساعدت عليها كانشقاقهم على عبد الكريم زيدان، وبعض موافقهم الأخرى». المؤلف.

قدير و«عبد الكريم زيدان» وآخرون، وقد عرض البرنامج على جميع أعضاء الهيئة التأسيسية لمناقشته وكانوا حوالي (١٨٠) عضواً، ومما ينبغي الالتفات إليه أنه بعد مضي ما يزيد على نصف قرن على صياغة البرنامج، فلا يزال المُطَّلَع عليه يجد فيه الكثير من النقاط الإيجابية والمنضبطة التي تصلح أن تكون أساساً وقاعدة لبناء حزب معاصر ذي مرجعية إسلامية، من دون تعارض كبير مع الأطر أو النظم السياسية القائمة^(١). وكنت قد شغلت موقعاً متقدماً في الحزب حيث كنت عضواً في اللجنة المركزية للحزب وكنت (عريف) حفل أول مؤتمر عقده الحزب، والحقيقة أن هذه النشاطات الحزبية قد سمحت لي بالتعبير عن ذاتي بشكل جيد وسمحت لي بأن أشارك في صنع الوجود الإسلامي في العراق ولذلك كنت فخوراً وراضياً عن نفسي آنذاك بسبب الانخراط في هذه الأنشطة.

ولم تسر الأمور على هذا المنوال طويلاً فسرعان ما اكتشفت أنني وقعت ضحية عملية خداع - على قسوة التعبير - قام بها الأخوة في الحزب الذي لم يكن - في حقيقته - سوى واجهة علنية لجماعة الأخوان المسلمين، ولم أكن أفهم كيف يكون للتجمع الواحد تنظيم معلى يتحمل سائر الأعباء والمسؤوليات علناً، وتنظيم آخر سرياً لا يضطلع بأي مهام سوى التحكم في الواجهة السياسية العلنية التي يتحرك السري في إطارها ويكون له السلطان وصلاحيّة اتّخاذ القرار، وقيادته غير المعلنة هي القيادة الفعلية وما على

(١) يشيد الكاتب الشيوعي العراقي هادي حسن عليوي ببرنامج الحزب الإسلامي وعصريته، إلا أنه يقول، لم يكن البرنامج ثورياً بالقدر الكافي ولم يطالب بالإصلاحات الجذرية (انظر، الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية، بيروت: دار رياض الرئيس، ٢٠٠١، ص ١٧٩)، وكتبت السفارة البريطانية بدورها تقييماً لبرنامج الحزب الإسلامي وربطه ببرنامج الأخوان المسلمون في الأقطار العربية الأخرى. ولم يعتبره من الأحزاب المؤثرة في العراق ويقول أن الحزب فقد فاعليته بعد ١٩٦٠ اثر هروب الصوف من العراق ١٩٥٩ (انظر FO370/2719,20 July,1963, British Embassy, Baghdad to Middle East Section). المحقق.

القيادة العلنية سوى الانصياع لقرارات القيادة غير المعلنة؟! والحقيقة أنني لم يدر بخلدي آنذاك أن الشخص الموصوف بصفة «الإسلامي» يمكنه أن يكذب؛ ولذلك فإنني لم أكن أظن أنني كنت بحاجة إلى التثبت من صدق ما ذكر لي بشأن استقلالية الحزب.

ولكنني بدأت أدرك ذلك حين بدأت اجتماعاتنا في «الحزب الإسلامي» وكنت قد صدقت أنني عضو في اللجنة المركزية المسؤولة عن قيادة الحزب!! حتى لاحظت أن هناك تلكؤاً في تنفيذ القرارات التي كنا نتخذها أسبوعياً وكان المسؤول عن تدوين القرارات الشاعر وليد الأعظمي (ت ٢٠٠٤م) - يرحمه الله - ولكنني لاحظت أنه ما كان يدون جميع القرارات فضلاً عن أن كثيراً من القرارات المتخذة لم تكن توضع موضع التنفيذ.

وخلال ثلاثة أسابيع قضيتها في العمل الحزبيّ عضواً في اللجنة المركزية للحزب الإسلامي اتخذنا قرارات عديدة لم ينفذ منها إلا القليل، فكنت أسأل ما الذي نفذ وما الذي لم ينفذ؟ ولماذا لم ينفذ؟ حتى يمكننا أن نتباحث في كيفية وضع القرارات وإزالة الصعوبات التي حالت دون تنفيذها؟ وكان زملائي يكتفون بالنظر في وجوه بعضهم البعض من دون أن يحيروا جواباً، وفيما بعد علمت أن الأستاذ فاضل عز الدين القاضي زميلنا في اللجنة انتقدهم بسبب ذلك حيث أخفوا عني وعن الشيخ عبد الجليل إمام جامع الرمادي الكبير حقيقة علاقة الحزب بجماعة الإخوان. وطالبهم بمصارحتنا بحقيقة العلاقة وتخيرنا بين الاستمرار أو مغادرة الحزب.

ويبدو أن هذا الاقتراح لم يجد قبولاً ولذلك تغيب الأستاذ فاضل عن حضور اجتماعات اللجنة واستمروا هم في إحالة القرارات الصادرة عنها إلى القيادة الإخوانية لتقرر المناسب لتنفيذه وما لا يصلح للتنفيذ، وحين لاحظت تغيب الأستاذ فاضل سألت عنه أعضاء اللجنة ففسروا غيابه بأنه قد تعرض للإحراج بسبب إصرار زوجته على عدم ارتداء الحجاب الشرعي وأنه حين عجز عن إقناعها توأرى حتى لا يسبب لأعضاء اللجنة حرجاً، ولذلك فإنه

قد يضطر إلى ترك موقعه في اللجنة المركزية للحزب. ولما أخبروني بذلك قررت أن أذهب إليه وأن أناقشه في هذا الأمر على أمل أن أثنيه عما اعترمت، فلما التقيته بادرته بالقول بأن عليه ألا يخجل من زوجته، وأنه لا ينبغي له أن يكرهها على الحجاب وحتى أجعل حديثي مقبولاً، قلت له: «على فرض كون زوجتك ذمية هل لك أن تكرهها على الحجاب». استغرب فاضل حديثي وبدا عليه أثر الصدمة لافترائهم على زوجته، وعلق قائلاً: «هل أخبروك بأن ذلك هو سبب تغيبي عن اجتماعات اللجنة»، فأجبت نعم، فقال: «ليس الأمر كما صوروا لك فالسبب الحقيقي هو أنني طالبتهم بأن يصارحوك والشيخ عبد الجليل^(١) بعلاقة الحزب بجماعة الأخوان والقيادة الإخوانية». وعلمت منه أن جميع الأعضاء في الحزب هم أعضاء في جماعة الأخوان المسلمين عداي والشيخ عبد الجليل، وأنه حاول إقناعهم بذلك إلا أنه أخفق فلم يجد بداً من التغيب عن الاجتماعات.

والحقيقة أن هذا تسبب في تغيير كثير من الآراء التي تكونت لدي بشأن الإسلاميين والعمل الإسلامي؛ فلم يكن يدور بخليدي أن أناساً نذروا أنفسهم للعمل الإسلامي يمكنهم أن يمارسوا التضليل فضلاً عن أن يضللوا الآخرين من إخوانهم من أجل تحقيق مآربهم، وفيما بعد أصبحت أكثر تقبلاً لفكرة أن العاملين في الحقل الإسلامي بشر يصيبون ويخطئون وأنهم لا يمتازون عن الآخرين إلا بمقدار تمسكهم بالإسلام ومبادئه الأخلاقية القويمة.

لقد أقنعتني هذه التجربة بأنّ «المحدثين» كانوا على صواب حين رأوا ردّ رواية الراوي إذا دعا في رواياته لما يتبناه ويعتقده سواء أكان فكرة أو مذهباً أو عقيدة فكرية (أيديولوجيا)، ولو كانت الأحزاب والجمعيات

(١) المقصود هنا الشيخ عبدالجليل ابراهيم الهيبي رئيس رابطة علماء العراق. ولما بني الجامع الكبير سنة ١٩٦٣ الذي سمي باسمه. أصبح خطيباً واماماً ومدرساً فيه. إلى أن أحيل على التقاعد ١٧/٣/ ١٩٧٧. المحقق.

السياسية وما يعرف اليوم بواجهات الإسلام السياسي قائمة في عصور علماء الجرح والتعديل لأضافوا إلى وسائل الجرح «رد الرواية الحزبية» إذا روى الحزبي شيئاً يعزز حزبه وأعضاء جماعته»، فالحزبية إذا استحكمت في مجتمع قبليّ فيه نزعات طائفية فإنها تتحول إلى مزيج من أفكار وسلوكيات مختلطة ومتناقضة ولا تعبر عن بناء فكري متكامل كما هو الحال في الواقع الحزبي الغربي لأنها في هذه الحالة تصبح مزيجاً من الطائفية والقبائلية العشائرية التي سادت في تاريخنا العربي الإسلامي.

ومنذ ذلك الوقت أدركت وجود تأثيرات وتدخلات ثقافية حزبية مستوردة على ساحة العمل الإسلامي وبخاصة على صعيد الوسائل،^(١) وأن المعادلة الصعبة التي يجب أن نعمل على حلها هي في إيجاد صيغة بديلة عن الحزبية تنتهج الإصلاح والتغيير، وتنشر اتجاهات الإصلاح لدى أوسع قطاع ممكن من أبناء الأمة وتجمعهم على كلمة سواء. وتجعل من أساليب الإصلاح والتغيير وتداول السلطة أموراً تحملها الأمة - كلها - ولا تنقسم حول ثوابتها، ويعذر بعضها بعضاً حول متغيراتها.

ومنهج رسول الله (الختم ص) واضح في تحقيق ذلك، وقد نجح في إيجاد النموذج، لكن المطلوب صياغة إستراتيجية شاملة تحدد الوسائل والأهداف والإجراءات العملية وسائر التفاصيل، وتعمل على تحويل ذلك إلى علم ومعرفة وبرامج تدريبية شاملة توظف الخبرات والتجارب التي أورثنا القرآن إياها من تجارب الأنبياء والمرسلين، إضافة إلى تجارب المصلحين في بناء الرؤية وتفعيل وتصحيح المعتقدات، واستثمار مقومات القوة الذاتية

(١) تأثرت النخب والأحزاب الإسلامية بالمنهجية الغربية كالأحادية ورفض الآخر واللجوء إلى السبل الميكانيكية في التعامل مع الآخر وحتى التعامل ضمن الصف الإسلامي وهذا ما يسميه البعض بالفاشية الإسلامية. إن هذه الظاهرة المؤسفة لا تتفق مع القاعدة الشرعية التي تقول «لا يطاع الله من حيث يعصى». المحقق.

للأمم لإنهاضها عند الكبوة، وتفعيل منهاج النبوة في إعادة بناء الأمة، إن هذا - على ما يبدو - من السهل الممتنع، فهو سهل عند الحديث عنه، لكنّه ممتنع أو يكاد عند محاولة الإعداد والتنفيذ، ولكن إذا صدقت العزائم، وأخلصت القلوب، واعتصمت بالله - تعالى - وصحت النوايا فإن ذلك لن يكون بعيداً بإذن الله تعالى.

ومن هنا فإنه ينبغي على الأجيال المسلمة الشابة، خاصة العربية منها، أن تدرس واقع الحزبية العربية وتقدم نقداً جوهرياً لها، ولا تكتفي بذلك بل عليها أن تجتهد لصياغة نماذج أخرى تكون أكثر تعبيراً وملائمة للواقع السياسي العربي، وتلك واحدة من أهم الدروس التي أرى ضرورة استخلاصها من تجربتي الحزبية.

ولنعد الآن إلى «الحزب الإسلامي العراقي» فحين اكتشفت أن «لجنة الأخوة الإسلامية المركزية» هي القيادة الحقيقية للحزب كان لا بد من العمل على الخروج من ذلك المأزق بأقل الخسائر الممكنة لي ولهم.

وكانت قناعتني أنه يجب أن أغادر الحزب فوراً، ولكنني لم أرد التقدم باستقالة رسمية حتى لا يوظف ذلك ضد الإسلاميين من خصومهم البعثيين والشيعويين، فقد يقال: «إنهم يتسترون وراء الإسلام ووراء الأحزاب السياسية المعترف بها، وما هي إلا واجهة علنية، يخفون بها تنظيماتهم السرية»، فأمسكت عن الاستقالة مؤقتاً على مضض. وأخذت أبحث عن مخرج ملائم ففكرت في السفر إلى مصر لاستكمال الدراسة حيث يمكن أن أتعلل برغبتي في التفرغ للدراسة، ولكن لم تكن ظروفني - آنذاك - مهيأة للسفر لهذا الغرض واتخاذ هذه الخطوة، فقررت أن أسجن بمحض إرادتي واختياري. كما كان ليوسفج ولو في ظرف مغاير، فالسجن أحب إليّ من الموقف الذي وضعت فيه. وأحوظ تديناً في دفع الأضرار التي يمكن أن تترتب على استقالة معلنة من الحزب في ظل الظروف التي كان يواجهها العمل الإسلامي في العراق. ومن جانب آخر فقد كنت أتمنى لو استطعت

القيام بشيء يجعل هؤلاء الإخوة في الحزب يقلعون عن تلك الممارسات الملتوية في المستقبل، فأعددت «خطبة جمعة غضب تقود إلى السجن»، وهيّئت المناسبة، وهي عرض رياضيّ لفتيات الثانويات جرى لأول مرة في العراق برعاية مباشرة من عبد الكريم قاسم. فوقفت على المنبر أخاطب الفتيات وأولياء أمورهن الذين سمحوا لمن سمّيته «الماجّن الأعزب» الذي كان منفرداً في حكم العراق لمدة أربع سنوات ونصف. وما أن فرغ الناس من الصلاة وفرغت حتى وجدت مجموعة من رجال الشرطة في انتظاري ومعهم برقيّة من الحاكم العسكري بالقبض عليّ ونفيي إلى سجن «نقرة سلمان».

تجربتي مع الحزب الإسلامي العراقي

بعد دخولي السجن لم استطع التوفّف عن التفكير بالحزب، وبالخدعة التي وقعت لي عندما صدّقت القول بأنّ الحزب سيكون مستقلاً، وأنّ لجنته المركزيّة سوف تكون مسؤولة عن قيادته ورسم سياساته. كان رفيقي في غرفة السجن أو في الزنزانة أحد وجهاء مدينة الموصل، وهو الحاج يونس ابن الحاج يحيى أغا من أغوات باب البيض فيها. كان الرجل من أنبل من عرفت في تلك المرحلة من أبناء العراق، على جانب عالٍ من الخلق الكريم والأريحيّة، قلّ أن يجود الزمن بمثله، سرعان ما أحببته وقامت بيننا أخوة وصدّاقة عميقتان ما تزال حتى كتابة هذه السطور غصّة نديّة وكان له قريب هو الدكتور محمد حامد الطائي لا يقل عنه شهامة وأريحيّة، وقد توثقت الصلة بيني وبينه كذلك، فكنت أسأله عمّا يجري في الخارج عندما يأتي لزيارتنا وفي مقدّمة ما كنت أسأل عنه «الحزب الإسلامي العراقي» فيخبرني بما لم يكن يسرّني، فالحزب كان في حالة ركود وفتور أعقبت انطلاخته الأولى التي كانت مبشّرة جداً. وكنت أفكر كثيراً في الكيفيّة التي يمكن أن يتوقف فيها الحزب عن ممارسة حالة الموت البطيء، فوصلت إلى فكرة

سميتها «استشهاد الحزب» فرأيت أنّ على الحزب أن يستشهد استشهاداً بدلاً من أن يموت حتف أنفه، فاستشهاده قد يحمي أولئك الذين عقدوا آمالاً كباراً عليه من الإحباط والقنوط، وقد يحفظ للحزب موقعاً تاريخياً مقدراً ومعبراً ببقية حياً في الذاكرة التاريخية العراقية والإسلامية عامة وقد تأتي ظروف في المستقبل تسمح بالاستفادة به كسابقة هامة من حيث النظرية والخبرة وقد حصل شيء من ذلك^(١).

وذات مرة وخلال إحدى الزيارات طلبت من الدكتور الطائي أن يطلب من نعمان عبد الرزاق^(٢)، وعبد الكريم زيدان وغيرهما من القيادات، زيارتي

(١) إن مسألة إصدار المذكرة وتوقيتها كانت مثار المناقشة فيعتقد البعض بأنها كانت مبادرة من الرئيس لأنه شعر بأن القيادة لا ينصاعون لأوامره. وتذكر الدكتورة إيمان الدباغ بأن الشيخ طه جابر وفليح حسن السامرائي وفاضل القاضي من أعضاء الهيئة الإدارية^(١)، بدأوا يتصرفون بنوع من التعالي على أوامر وتوجيهات القيادة وظهر نوع من الانفرادية في اتخاذ القرارات. وذهب البعض إلى القول بأن الحزب اخفقت في تحقيق هدفه لأن الحكومة المسيطرة عليها من الشيوعيين تقيد من نشاطاته وعلى وشك غلقها لذلك كانت المذكرة خطوة استباقية. (الإخوان المسلمون في العراق، ص ٢٦ - ١٢٤). المحقق.

(٢) ولد الدكتور نعمان عبد الرزاق صالح السامرائي في مدينة سامراء القريبة من بغداد في عام ١٩٣٥ من أسرة عربية مسلمة. ابتدأت طفولته (بالكتاب) فتعلم القرآن الكريم ثم الابتدائية فالمتوسطة في مدارس التفيض الأهلية ثلاث سنوات والثانوية سنتان (آنذاك) في سامراء. درس في كلية الشريعة وفي عام ١٩٥٢ تخرج منها. كان أحد أعضاء تنظيم الإخوان المسلمين، وتأثر بالشيخ الصواف أثناء الدراسة الجامعية، وأصبح عضواً في قيادة الإخوان المسلمين في العراق عام ١٩٥٨. في عام ١٩٦٠ قدم السيد نعمان عبد الرزاق السامرائي، طلباً إلى وزارة الداخلية لتأسيس حزب سياسي، وأعلنوا عن تشكيل الحزب الإسلامي العراقي، والذي يعد واجهة سياسية لجماعة الإخوان المسلمين، وفاز نعمان عبد الرزاق السامرائي برئاسة الحزب، وعمره ٢٧ عاماً. واعتقل السامرائي والهيئة الإدارية للحزب لنشر الحزب مذكرته الشهيرة الناقدة لعبدالكريم قاسم في العام نفسه. حصل على الدكتوراة من جامعة عام ١٣٨٨هـ - وأجبره الانقلاب البعثي في عام ١٩٦٨ على الانتقال إلى السعودية والعمل هناك. (انظر، ن. ا. د. نعمان عبدالرزاق السامرائي، مذكرات الرياض، ١٤٢٥. هـ. ٢٠٠٤ م).

في سجنني في أقرب وقت ممكن، وبالفعل حضر الأستاذ ومعه عبد الكريم ونعمان إليّ، كل على حدة، كما زارني بعض الأعضاء الآخرون، فذكرت لهم بأنّ الحزب مهتدّ بالموت البطيء وأنّ شعبيته التي استقبل بها بدأت تتآكل. ولا بد من عمل عاجل يجعله يستشهد، بدلاً من أن يموت حتف أنفه. وذلك بأن يقوم بأمر كبير هام يشد أنظار العراقيين كافة إليه، ويحمل عبد الكريم قاسم وحكومته على التخلي عن سياسة محاصرة الحزب وتعريضه للموت البطيء على الحسم بشأنه فإن اعتقلوا قيادته وألغوه فذلك سوف يبقيه حياً في عقول وقلوب الجماهير، ويتحملون المسؤولية افساله ويمكننا إحيائه في وقت لاحق بشكل أفضل^(١).

وبعد مداولات مع عبد الكريم زيدان خاصّة، توصلنا إلى ضرورة إعداد مذكرة شاملة مستفيضة تنتقد سياسات عبد الكريم قاسم، وآثارها السلبية على حاضر البلاد ومستقبلها ونشرها على الشعب العراقي، واتفقنا أن يقوم هو بإعداد المذكرة، وأن يرسل مسودتها إلّي للاطلاع وإبداء الرأي وإدخال ما أراه من إضافات وتعديلات، وقد وفي الرجل بما وعد وأرسل مسودة المذكرة مع د. نعمان، فقرأتها قراءة دقيقة وأبقيتها تحت فراشي في السجن لقرائها قراءة أخرى متأنية في وقت لاحق على أن أنتهي منها في اليوم التالي، وبالفعل زارني د. عبد الكريم في اليوم التالي، فسلمتها له بتعديلات طفيفة. لقد كانت المذكرة شديدة اللهجة، رائعة، ومازلت أعتقد أنّها من أفضل وأهم أنواع الأدب السياسي المعاصر، سطر فيها د. عبد الكريم - جزاه الله خيراً - جميع انتقاداتنا ومآخذنا على النظام القاسمي. وأتى فيها على ذكر بعض مضايقات الحكومة ضد «الحزب الإسلامي العراقي»، ومن أبرز

(١) يعتقد السفير البريطاني في بغداد بأن توقيت المذكرة يوحي بأن الحزب الإسلامي أصبح يدرك بأن سقوط النظام القاسمي بات وشيكاً وتريد الحزب أن تطرح نفسها كبديل لذلك جاءت المذكرة ضمن هذا السياق.

المحقق. (FO 371/ 149845 Trevelyan to fo. no.1385 "internal . situation" 16-10-960).

هذه المضايقات اعتقال عضو اللجنة المركزيّة الشيخ طه جابر وهو اعتقال مفتوح، وبدون توجيه أيّة اتهامات مباشرة له، وأتت المذكرة كذلك على ما قام به رئيس الوزراء ووعوده التي لم يف بها قط.

وتشاورنا في موضوع نشر المذكرة وكيفية التوزيع، وتم التفاهم على ذلك كلّه، وكانت هناك جريدة محدودة التداول تصدر في مدينة الحلة، يصدرها شيخ من إخواننا الشيعة هو الشيخ كاظم الساعدي، ففاوضه الأخوة بشأن استخدامها في النشر، فوافق بعد تردد خشية الاعتقال، بعد أن تعهدوا له بالقيام على شأن أسرته حال حدوث ذلك، وعلى هذا قرّر أن يعيرنا جريدته الفيحاء لكي ننشر المذكرة من خلالها، وقام بتوزيع العدد عناصر من الحزب الإسلامي في المدن العراقية الكبرى. ولما كنّا نعلم أنّ من عادات قاسم أن يظل مستيقظاً طوال الليل وبنام معظم النهار وذلك خشية وقوع انقلاب ضده؛ فقد قررنا القيام بتوزيع الجريدة في الصباح الباكر حيث أدركنا أن قراراً هاماً بشأنها لن يتخذ إلا بعد انتصاف النهار؛ أي بعد أن يستيقظ الزعيم^(١).

وعلى هذا تم توزيع الصحيفة باكراً وتلقفتها الأيدي سريعاً حتى أن سعر النسخة الذي لم يكن يتجاوز ستة عشر فلساً بلغ عشرة دنانير عراقية، وقد أعيدت طباعتها عدة مرات لنفاد المعروض منها في الأسواق. ويبدو أن قاسماً قد فوجئ بما جرى ومن ثم تعامل معه بحسم فقرر تجميد الحزب، وإلقاء القبض على جميع أعضاء اللجنة المركزيّة فوراً، وأدرج اسمي أيضاً بينهم ويبدو أنهم نسوا أنني كنت معتقلاً بالفعل منذ قرابة شهر ونصف.

(١) نشرت المذكرة في جريدة الفيحاء الأسبوعية لصاحبها الشيخ كاظم الساعدي يوم السبت ٢٤ ربيع الثاني الموافق ١٥ تشرين الأول سنة ١٩٦٠ في العقد الثامن من السنة الثالثة، وكان ثمن النسخة منها ١٦ فلساً، ولكن بيعت النسخة من العدد الذي نشرت فيه المذكرة بعشرة دنانير. المحقق.

وقد قوبلت المذكرة بتأييد من جانب علماء العراق من الطوائف كافة^(١) وكان أكثرهم تأييداً لها ومهاجمة للحكومة السيد محسن الحكيم، الذي استدعى قائم مقام النجف خليل إسماعيل وأمر سرية التدريب المقدم كاظم حسن، وطلب منهم إبلاغ الحكومة تأييده المطلق لمذكرة الحزب الإسلامي إلى الحكومة واستنكاره الشديد لاعتقال أعضائه ورفضه للسياسة التي كانت تتبعها الحكومة. ومما علمته فيما بعد أنه كان يقرأ عليهم بعصبية شديدة الآيات التي تندد بالظالمين^(٢). وفي الجمعة التي تلت الاعتقال، هاجم معظم خطباء المساجد الحكومة وعبد الكريم قاسم والشيوعيين، وأعادوا إلى الأذهان الجرائم التي ارتكبوها ضد الشعب العراقي^(٣). والحقيقة أنني أنظر للمذكرة بعد كل هذه السنوات الطويلة باعتبارها نموذجاً عصرياً أمثل للنصيحة، وهي تنطوي على مداخل إيجابية متعددة، يمكن أن نذكر منها

(١) أيدت المذكرة عدد كبير من العلماء مثل العلامة الشيخ أمجد الزهاوي، والشيخ محمد فؤاد الألوسي، والشيخ نجم الدين الواعظ، والشيخ حمدي الأعظمي كما أيدها مجتهدو الشيعة كالشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد الخالصي، والسيد أبو القاسم الخوئي والسيد علي بحر العلوم. المؤلف.

(٢) هذه التفاصيل نقلاً عن وثائق الأخ الراحل كاظم المشايخي ص ٢٣٥ - ٢٣٧. فضلاً عما نقله عنه د. محسن عبد الحميد. المؤلف.

(٣) بعثت السفارة البريطانية في بغداد تقريراً حول ردود الأفعال الصادرة من حكومة قاسم والحزب الشيوعي العراقي حول المذكرة نشرت إذاعة بغداد في ٢٦ تشرين الأول تعليقاً بعنوان «أن حكومة الشعب تعرف العملاء جيداً». وكما نشرت جريدة البلاد تعليقاً مماثلاً واصفاً موقعي المذكرة بقايا وأعوان النظام الملكي البائد وأن الحكومة تملك أدلة وثائقية دامغة ضدهم. ونشرت جريدة الاستقلال التابعة للحزب الشيوعي بدورها مقالاً في ٢٩ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦٠ تهاجم المذكرة وتعتبرها خطراً على الثورة. كما قطع فاضل المهدي سفره كان يقوم به خارج العراق وعاد إلى البلد ليتولى محاكمة أعضاء الهيئة الإدارية للحزب الإسلامي المعتقلين. المحقق.. (FO 371/149845 (29.October,1960) British Embassy, Baghdad).

أولاً: أنه نموذج من نماذج «أدب النصيحة» المعاصر الذي لم يعد لغة متداولة بين الحكام والمحكومين في العصور الأخيرة.

ثانياً: أنها قراءة سياسية من منظور حضاري إسلامي لواقع بلد في مثل التعقيد الذي عرف العراق به قديماً وحديثاً.

ثالثاً: أنها برهنت على أن شعوبنا العربيّة ما تزال تقدر قيمة الكلمة، وأنه عندما تسود «ثقافة الكلمة» وتصبح أداة الشجب أو التأييد فإن شعوبنا لن تلجأ إلى العنف، وقد تتردد في قبول قول القائل: السيف أصدق إنباء من الكتب.

رابعاً: تأكدها أن الشعوب تقدر «فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وتساند أولئك الذين يقومون به لوجه الله - تعالى - ثم لخدمة شعوبهم وأمتهم. ولهذه الأسباب آثرت أن أضع هذه المذكرة الهامة بتمامها في الملاحق^(١)، وألا أختصرها أو أحذف منها شيئاً، فقد تجاوزت في وضوحها وصراحتها وشمولها كل ما عرف في تراثنا «برسائل أهل العدل والتوحيد»، وحين نستدعي إلى الذاكرة تلك الفترة الزمنية الفارقة حيث كانت مقالات الأمور - كلها - بيد دكتاتور فرد، متهم بأنه مريض بنوع من أمراض فصام الشخصية «الشيذوفرنيا» (schizophrenia) ومحاط بلفيف من الانتهازيين واليساريين وقليل منهم يمكن أن يعد بشراً سوياً، حين يأتي من يعرض عليه ما يشبه وثيقة تسجيلية دقيقة لما حدث في عهده، بكل صراحة ووضوح وصدق فتلك صدمة قد توقظه!! فقد أُلّف «الزعيم الأوحده» أن يلعبه الجميع بهذا اللقب، أما الشيوعيون واليساريون فقد تملقوه لأنهم أرادوا مكافأته على ما أتاح لهم من فرص التحكم بالآخرين، وسوقهم لتأييدهم بكل الوسائل. وأمّا القوميون والإسلاميون فإنهم قاموا بمنحه اللقب نفسه، رغبة في دفعه بعيداً عن الشيوعيين واليساريين، وإشعاراً له بأنه لن يخسر شيئاً من سلطانه

(١) أنظر الملحق رقم (١) من ملاحق هذه المذكرات. المحقق.

ونفوذه لو تخلى عن الشيوعيين وحلفائهم، واحتضن الآخرين، بل إنه ربما يكسب بذلك القاعدة العريضة من شعبه.

هكذا كانت المذكرة نقطة تحول في العمل السياسي العراقي كله، فأعوانه من الشيوعيين وواجهاتهم لم تكن فضيحتهم بأقل من فضيحة النظام وقائده ورمزه، ووجد كل أعوان النظام أنفسهم أمام مرآة كاشفة أبدت لهم كل سوءاتهم، والمترددون والحائرون اتضح لهم أنه لا مجال للتردد والحيرة فدعم النظام يعني الانحياز لأعداء الشعب والقتلة، ومحترفي السحل وأصحاب الحبال. والمعارضون الإسلاميون اكتفوا بانتهاج السبل السلمية، حيث اكتشف أصحاب التوجهات الإصلاحية أن شيوع الأمية في شعوبنا لا يحول بينها وبين وعي فطري بقضايا الشعب والأمة يمكن أن يعمق وينمي بعمل سياسي هادف مثل الذي مثلته المذكرة، وقد يدفع فصائل الشعب عند اكتمال ذلك الوعي إلى نبذ العنف والعمل المسلح، وبناء قواعد العمل السياسي المدني.

ومن أهم الفصائل التي أدركت ذلك «حزب البعث»، حيث بدأت شعبيته التي اكتسبها بمحاولته الجريئة الفاشلة^(١) لاغتيال عبد الكريم قاسم بالتراجع، وأخذ الناس يقارنون بين «الحزب الإسلامي» الذي أصدر مذكرة صريحة فضح النظام القاسمي فيها وبين محاولة الاغتيال البعثية فيرجحون من

(١) حدثت محاولة أخرى لاغتيال قاسم في ٧ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٥٩ خلال مروره في شارع الرشيد قادماً من وزارة الدفاع قاصداً سفارة ألمانيا الشرقية، متجهاً إلى الباب الشرقي، أذ أطلق عليه النار في منطقة (رأس القرية) من جماعة مدنية تنتمي إلى حزب البعث أحد أعضائها صدام حسين. جرح على أثرها قاسم، وكذلك مرافقه، وقتل سائقه في الحال، ومات من مجموعة الاغتيال عبد الوهاب الغريبي، وفر الباقيون إلى وكر، ربما لانتظار تحرك آخر لقلب نظام الحكم، لم يرد عنه شيء من قبل المتهمين. ومع هذا فإن نجاة الزعيم، غيرت من الموقف، وفر الجناة بعدة اتجاهات داخل وخارج العراق، وألقي القبض على غالبيتهم وأحيلوا إلى محكمة المهداوي، وبعد أن حكموا بالاعدام، عفى عنهم كعادته في تكرار الاعفاء. [انظر، فؤاد الركابي، الحل الأوحده (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠١٠)]. المحقق.

حيث الشجاعة والمضمون والتأثير ما صنعه الحزب الإسلامي، ففي محاولة البعثيين «جرأة» وفي مذكرة الحزب الإسلامي «شجاعة». وفي محاولة الاغتيال إسهام ومشاركة خارجية وثمان دفعه عبد الناصر، ومذكرة الحزب عمل داخلي ونصيحة خالصة. والمذكرة جهاد سلمي ومحاولة الاغتيال عمل عنيف يستطيع القيام بها أي مسلح منهم. وفي المذكرة منطق وحكمة ومجادلة بالتي هي أحسن، وفي محاولة الاغتيال تهوّر.

وعلى هذا بدأ العراقيون يأتون إلى الحزب الإسلامي ليلتفوا حوله وينخرطوا في صفوفه، ويدرسوا بعناية أهدافه. ولو أن الحزب كان قد أعد العدة مسبقاً لتجنيد الأعضاء، واستيعاب الأنصار لسحب البساط من تحت أحزاب تلك الفترة كافة، ولأوجد تياراً ينبذ العنف في العمل السياسي، ويتجه نحو مبدأ «التناصح» و«حرية التعبير عن الرأي والموقف». ولو أدرك الحكام ذلك ولم يستخدموا سياسات القمع والتضييق والكبت، والصمم عن النصائح لكان في مثل عمل «الحزب الإسلامي» - آنذاك - نقطة تحوّل نحو أفضل أنواع «التنشئة السياسيّة»، والتأسيس للشورى وتداول السلطة بطريق صناديق الانتخاب الحر والاختيار، والخروج من أزمات الفردية والدكتاتورية والعنف والفرقة والصراعات الدموية، ثم الاستسلام لاحتلال الأجنبي وتحكمه ولكان العراق اليوم واحة للشورى ونموذجاً يقتدى به ولما أضاعته رعونات المغترين، ومؤامرات المتآمرين، ومطامع الطامعين!!

خارطة الإصلاح

إنني وبعد مضي عقود على هذه المذكرة أجد أنّها كانت بمثابة خطوة أولى على طريق الإصلاح كان ينبغي أن تتبعها خطوات أخرى حتى نصل إلى الإصلاح المنشود، وقد يكون من المناسب أن نضع هنا تصوراً عملياً لملامح العملية الإصلاحية بأسرها والتي يمكن أن نلخصها في:

١ - إحياء الركن السادس من أركان الإسلام وهو الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر بأصوله وشروطه. ولتحقيق هذا الركن وسائل وآليات كثيرة منها: تحديد المؤهلين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من العلماء والحكماء والخبراء من سائر الفئات، بمواصفات تؤهل لعضوية مجالس الشورى والنواب. وتكون من مهام هذه المجالس حماية «قيم الأمة» من أيّ مساس بها وحراستها من انتهاكات الحكام والمحكومين معاً. «فالعدل والحرية والشورى والمساواة وتكافؤ الفرص والسلم الاجتماعي والمؤسسات بكل أنواعها» تكون في حراسة وحماية هذا النوع من المجالس من أيّ مساس حكوميّ أو شعبيّ بها.

٢ - تزويد مجالس الشورى والنواب بالحصانة اللازمة التي تسمح لها بممارسة مهامها من دون خوف من أيّ تدخل.

٣ - بناء آلية دقيقة تقوم على تأسيس وتفعيل «مبدأ الميزان» لتقويم الأداء في كل مؤسسة وفي كل مستوى بحيث تلاحظ فيه منهجية القرآن، وسيرة وسنة النبي (الختم ص) في تأويل وتفعيل آياته في الواقع، وتزويد هذا المجلس بالحصانة اللازمة التي تسمح له بممارسة مهامه المتعددة الكثيرة من دون خوف من أيّ تدخل.

٤ - عقد ميثاق سلم اجتماعيّ يحدّد جميع مؤسسات الجيش والشرطة والقضاء والعلماء، والمراجع، ولا يسمح لأيّ منها بالانحياز إلى فئة أو مذهب أو طائفة أو فرقة أو حزب. مع تحويلها إلى مؤسسات تتكامل بأشكال مختلفة مع مؤسسات الشورى و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، والمحافظة على قيم الأمة ووحدها وتنشئة وتربية وتدريب الأجيال على ذلك مع التطوير المستمر.

٥ - إعادة بناء لسان القرآن واللغة العربية القائمة عليه لتكون لغة الأمة المشتركة ووسيلتها للتعبير عن ثقافتها وحضارتها المشتركة دون إهمال للغات الخاصة بشعوب الأمة، بل اعتبارها من وسائل تعزيز الثقافة المشتركة.

٦ - إعادة بناء الإيمان «بوحدة الأمة» وربط الوحدة «بالتوحيد» وإحاطة «وحدة الأمة» بسائر الضمانات اللازمة لحمايتها والمحافظة عليها، وبناء ثقافة الوحدة والوعي بها بوسائل لا تسمح بغياب هذا الوعي مرة أخرى.

٧ - ربط البلدان الإسلاميّة - كافةً - بشبكة كبيرة من المواصلات والاتصالات لإنماء روابطها، وتوثيق الأواصر بينها وتبادل الخبرات والتجارب بين أبنائها واعتبار ذلك من الواجبات الشرعيّة التي لا يجوز التساهل فيها.

٨ - إلغاء جميع القيود على انتقال الأشخاص والأموال والشركات والمؤسسات.

لقاءات مع عبد الكريم قاسم

لم تكد أشهر قليلة تمضي على اعتقالي، ثم اعتقال أعضاء اللجنة المركزية بعدي حتى سحت لنا الفرصة للقاء عبد الكريم قاسم والتعرف عليه عن كثب، كان لقاءنا بصحبة أعضاء اللجنة المركزية للحزب الإسلامي في مقر قيادة القوات المسلحة، في وزارة الدفاع.

وهذا اللقاء يستدعي إلى الذاكرة اللقاء الأول بعبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع ضمن وفد من رجال الفلوجة جاء لزيارته وطُلب منّي الانضمام إليه، كان ذلك في منتصف آب/ أغسطس (١٩٥٨م)، كان الرجل حياً خجلاً يدفعك حياؤه وخجله وتردده إلى استجلاء ما وراء ذلك، ولكنّ الرجل لم يكن من السهل استدراجه لقول ما لم يزنه بدقة من الكلام، وتحذّث بصوت خفيض جداً عن الضرورات التي دعت إلى ما سمّاه «الثورة» وعد منها حلف بغداد، وإرسال وحدات عسكرية عراقية لحماية الرئيس اللبناني كميل شمعون من المظاهرات الشعبوية ضده والتي اعتبرها إهانة للجيش!! كانت عباراته مقتضبة وخالية من التجريح إلى حد كبير. ثم توقف ونهض إيداناً بانتهاء اللقاء فنهضنا وودعناه ونحن نتساءل كيف لهذا الإنسان

الخجول أن يحكم بلداً مثل العراق في ثورته الدائمة؟ لكنه أخلف ظنون الجميع بتلك القدرة العجيبة التي جعلته يحكم العراق أربع سنوات ونصفاً بمفرده تقريباً بعد أن تخلص من معظم زملائه.

أما عن اللقاء الثاني الهام فكان في رمضان عام ١٩٦١ وكنا لم نزل قيد الاعتقال حين أبلغنا أن الزعيم يود الاجتماع بنا هذا المساء، وكان من عادته أنه إذا أراد أن يفرج عن أحد خصومه أن يلتقيه ويخبره أنه لم يكن يدري نبأ اعتقاله وفور سماعه به أصدر أوامره بالإفراج عنه فوراً. وقد جرت مناقشات فيما بيننا في الكيفية التي يمكن أن ندير بها النقاش وتم الاتفاق أن يتولى مهمة الحديث نيابة عنا - وكنا أربعة عشر شخصاً - رئيس الحزب الدكتور نعمان السامرائي وأن أكون نائباً له إن تردد في الإجابة أو تطلب الأمر مزيداً من التوضيح، ولما كان السامرائي طيباً وخجولاً فلم يكن متوقفاً أن يقوم بتنفيذ مزاعم قاسم ودحضها على الوجه الأكمل وبالتالي أصبحت هذه مهمتي طيلة الاجتماع.

جاء اجتماعنا في غرفة اجتماعات متوسطة حول مائدة مستطيلة تصدرها قاسم الذي رافقه رئيس أركانه أحمد صالح العبيدي وقائد البوليس الحربي عبد الكريم الجدة. وكما كان متوقفاً ابتدرنا قاسم في مستهل اللقاء بالقول بأنه لم يكن يعلم نبأ اعتقالنا وفور علمه أمر بإطلاق سراحنا، ولم يشأ الدكتور السامرائي أن يعقب على حديثه وآثر الصمت، ولكني لم أفعل فقد عقدت العزم أن أفصح كذب حديثه^(١) كله فتوجهت إليه قائلاً: كيف تدعي

(١) بينما يصير الشيخ طه على دوره البارز في هذا اللقاء مع قاسم في أكثر من مناسبة، يجمع قيادة الحزب الإسلامي خاصة الأحياء منهم وممن حضروا اللقاء، بأن دور الشيخ لم يكن أساسياً في اللقاء. أخبرني الدكتور محسن بأنه سأل خمسة من قيادات الحزب الإسلامي العراقي حول دور شيخ طه في اللقاء فانكروا جميعاً شهادة الشيخ طه المشار إليه أعلاه. (لقاء خاص مع الأستاذ الدكتور محسن عبدالحميد في أربيل في ١٠/٧/٢٠١٤). وفي صدد نقله تفاصيل هذا اللقاء بين قيادة الحزب الإسلامي وقاسم في كتابه لا يذكر الدكتور محسن الشيخ طه اسماً =

عدم علمك بأمر اعتقالنا رغم أنه يشاع عنك أن الطيور التي تحلق في السماء أنت تحصيها عدداً وتعلم متى حطت ومتى رحلت، أفلا تدري وأنت الزعيم الأوحده بأمر اعتقالنا، إن هذا أمر لا يمكن تصديقه، سيدي إن أقبح الكذب كذب الزعماء لأنه ليس هناك ما يحملهم عليه. وعندئذ التفت إلي متسائلاً: «أأنت طه جابر»، فأجبتة بالإيجاب، فقال: «أيسوؤك أنك أمضيت سبعة

= وذكر أسماء الآخرين ممن تصدوا لقاسم اثناء اللقاء (ص ٢٢٥ - ٢٧). ولم يشير نعمان السامرائي في مذكراته هو الآخر وكذلك الأستاذ نظام الدين عبدالحميد في مفكرته عن الحدث إلى دور الشيخ طه في الحديث الذي دار اثناء اللقاء. ولكن حين اتصلت بالأستاذ فليح السامرائي والأستاذ نعمان والأستاذ نظام الدين لتأكيد دور الشيخ طه في الحوار مع قاسم اكدوا لي ما قاله الدكتور محسن. وفي الوريقات القليلة التي دون فيها الأستاذ نظام الدين عبدالحميد مذكراته بعنوان «الحزب الإسلامي العراقي في عهد عبدالكريم قاسم»، ذكر الأستاذ نظام الدين بأن «أحد الأخوة تصدى له» ولكن لا يذكر اسمه لسبب ما ثم يعرج في حديثه ويرد المتحدثين الآخرين بالإسم خاصة الأستاذ نعمان السامرائي والأستاذ الساعدي. وحسب رواية أخرى تصدى الداعية الأستاذ سليمان القبلي في هذا اللقاء وقال أن «الاخوان ليس دكان للبيع»، «حازم ناظم فاضل، موقع أدباء الشام، «الحاج سليمان محمد أمين القبلي»، <http://www.odabasham.net/show.php?sid=57434>، لذلك كان هناك أكثر من شخص تكلم واللقاء تم في أكثر من خمسة ساعات ولا يستبعد أن يكون الشيخ طه أحد المتكلمين. ومن الممكن أيضاً خاتمة الذاكرة، وأن هذه المناظرة بينه وبين قاسم، الذي تم الإشارة إليها أعلاه، حدث في لقاء آخر بينهما. وتضيف إيمان الدباغ «وأخذ المعتقلون يناقشون قاسم في جرائم الشيوعية... ويضيف فليح حسن السامرائي لم يتجرأ أحد على الكلام مع قاسم من قبل ولكن اندفاع الكبير والشباب المتدفق ثم انفتاح قاسم أسهم في حدة النقاش....» ص ١٣٧ - ٣٨. وتذكر الأستاذة إيمان عن محمد عبدالجبار البياتي، أحد القادة البارزين في الإخوان - تنظيم العراق، عن صاحب السيرة موقفاً ينم عن الغبن وعدم المحاباة تجاهه من قبل الإخوان. حسب تلك الرواية أن نعمان السامرائي طلب من صاحب السيرة أن ينظم إلى الإخوان ويكون رئيساً للتنظيم العسكري فيه ولكن رفض الشيخ طه الطلب، ولكنه أخذ نعمان السامرائي إلى عبدالغني الراوي وتعززت العلاقة بينهما وطلب السامرائي من الراوي التخطيط لمحاولة انقلابية ولكن بشرط أن لا يخبر الراوي طه جابر. (أنظر: الاخوان المسلمون في العراق، ص ٣٣٣). المحقق.

أشهر في السجن وأنت تستحق أن يحكم عليك بخمسة عشر عاماً؟» فضحكت، وقلت: ها أنت قد اعترفت بأنك كنت تعلم أننا كنا في السجن، بل وتعلم بالأحكام الجائرة التي يمكن أن تصدر علينا لو أردت سيادتكم التصعيد، فشعر بالحرج هو ومعاونوه.

وبدأ قاسم يدير دفة الحوار محاولاً أن يتخلص من مأزقه ووضعتنا نحن في موضع الاتهام بالزعم بأننا خدمنا الاستعمار بمعارضتنا له وما ذلك إلا لأن الذي يعارض ثورة تموز - كما أسماها - إنما يخدم الاستعمار بشكل مباشر ودون أن يشعر، وكان ردي على ذلك أنه لا يعقل أن نكون نحن عملاء للاستعمار ولو سلمنا جدلاً أننا أغبياء ورضينا لأنفسنا أن نكون عملاء، فلا أظن أن المستعمر غيبي ليجد أمثالنا، فماذا يفعل الاستعمار بإمام مسجد أو خريج مدرسة دينية، إن هؤلاء لا يصلحون لتدبير انقلاب أو إعداد ثورة أو حتى تنظيم مظاهرة، لكن الاستعمار قد يجد ضالته في شخص عسكري يستطيع أن يجند فرقته معه ويقوم بانقلاب يطيح بالسلطة القائمة. ولم يكد قاسم يستمع إليّ حتى لاحظت أن الغضب قد اعتلاه فلم يكن يتوقع أن يجد من يرد عليه بهذه الطريقة، ورغم ذلك فقد سيطر الرجل على غضبه وظل محتفظاً بهدوئه. وهو موقف أحسبه له، وأقدره له، في سني هذه، حق التقدير، وبخاصة بعدما رأينا أن هناك من يود أن يقتلع لسان من ينوي الرد عليه قبل أن ينطق!!

وتطرق الحديث بعد ذلك إلى مسألة الشيوعيين، إذ افتخر قاسم بأننا لم نستطع أن نحد من النفوذ الشيوعي، وأنه وحده الذي استطاع ذلك، ومما أذكره أنه توجه إلي بالسؤال متهمكاً: أنت قضيت على الشيوعيين؟ وكان ردي أنني لست منشغلاً بمثل هذه المسألة، فأنا أعلم أن الغرب بعد أن تزايد نفوذ الشيوعيين وعجز نوري السعيد ومن وراءه الحكم الملكي بأسره عن تطويق نشاطهم أو استئصاله غير الغرب من استراتيجياته في التخلص منهم، وبدلاً من ذلك قرر أن يأتي بنظام بديل يتيح لهم الحرية كاملة وعندها يكشفون بأنفسهم عن دمويّتهم وعنهم من دون موارد، ويظهر أسوأ ما فيهم

فتوافر المسوغات الكافية للقضاء عليهم دون عناء بعد أن ينفر الشعب كله منهم ويغضه، ويتمنى القضاء عليهم.

وانتقل الحديث بعد ذلك إلى نقطة هامة حين أثار قاسم مسألة نظم الحكم المختلفة، وسألنا عن موقفنا من الحكم الديمقراطي وهل نفضله عمّا سواه من نظم الحكم، وكان رأيي أنني أود أن أحكم من قبل حاكم مسلم يؤمن بالأمّة ويحمل همومها ويسعى إلى إنهاضها من كبوتها ويقيم فيها شرع الله، وقد استشعر قاسم أنني أريد حكماً إسلامياً ومن ثم راح يهاجم التجربة التاريخية الإسلامية الراشدة في الحكم ووصفها بأنها تجربة فاشلة وحثته في ذلك أنّ ثلاثة من بين الخلفاء الراشدين الأربعة قد تم قتلهم، وكان تعليقي على ادعائه هذا أنه إن اتخذنا من ذلك دليلاً لاثبات فشل نظام الحكم المستند إلى الإسلام فإنّ نظام الحكم الذي تترأسه في العراق فاشل بدوره لأنك تعرضت للعديد من محاولات الاغتيال.

وقد استغرقت المناقشات حول هذه المسألة قرابة أربع ساعات، الأمر الذي يبين بوضوح رغبة قاسم في رفض فكرة الحكم الإسلاميّ وأنه يستند إلى تجربة تاريخية نقدتها واقتنع بعشقتها وأنها ناجحة، ثم انتقل الحديث بعدها إلى الرئيس جمال عبد الناصر، فقد كانت من ضمن مآخذ قاسم على أنصار الحزب الإسلامي أنّهم لم يناصروه حين تهاجم عليه عبد الناصر في تصريحاته ولقاءاته الصحفية عدة مرات، وكان يرى أنّ الوقوف في صف المظلوم - أي في صفه - هو أحد التوجيهات القرآنيّة الصريحة التي لم يلتفت إليها أعضاء الحزب، وكان ردي على ذلك أنّه وإن لم يسم عبد الناصر صراحة في خطبه وتصريحاته أو يتهاجم عليه بشكل مباشر إلا أنّه موضع هجومه باستمرار، وكان ذلك ظاهراً ومعلوماً لكل من يستمع إلى أحاديثه، وليس هذا وحسب بل أن قاسماً أطلق أحد أنصاره وهو المهداوي ليطلق حملة شرسة من السباب على ناصر وزملائه، وعلى هذا لم تكن المعركة بينهما صراعاً غير متكافئ يشن فيها الباغي هجومه على المظلوم - كما كان

يحلوه له أن يصورها - وإنَّما كانت صراعاً على النفوذ والمكانة في العالم العربيّ وهذه معركة لا شأن للإسلاميين بها.

ومن القضايا الهامة التي عرج عليها «مشروع قانون الأحوال الشخصية الجديد في العراق»^(١)، والمعروف أن قاسماً قد سبق له وأن أصدر قانوناً جديداً للأحوال الشخصية يخالف الشريعة الإسلامية في مسألة الإرث حين ساوت إحدى مواده بين الرجل والمرأة في الميراث بشكل مستفز، حيث صيغت المادة القانونيّة بشكل آية بعد أن تمّ تغييرها، فالآية تقول: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَى﴾، والمادة القانونيّة تقول: «لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَى»، وقد أثارت هذه المادة غضب الشارع إضافة إلى أعضاء الحزب الإسلامي حتى أن سليمان القابلي - أحد حضور اللقاء - قد ذهب إلى حد أن عرض على قاسم أن يشتري ولاء الحزب بتغيير هذه المادة فإن عدلت أعلن الحزب ولاءه وتأييده للزعيم، ولكنني لم أكن لأرضى بمثل هذا العرض، فأعلنت رفضي له في التو، بل وذهبت إلى حد مطالبة قاسم بأن يمضي في طريقه نحو علمنة القوانين إلى أبعد مدى، فقد كنت مقتنعاً بأنه يمنحنا بذلك السلاح الذي يمكن أن نحاربه به، فلم يكن صعباً بعدها أن نقوم بعملية حشد في المساجد ضد هذا الديكتاتور الذي لا يتورع عن مخالفة أوامر الله القاطعة، وللإنصاف فإن قاسم لم يكن يظن حين ناقشناه في هذه المسألة أنه يبدل من شرع الله أو يغير أحكامه وإنما كان يظن أنه حقق عدلاً تقتضيه طبيعة العصر الذي نحيا فيه. ولما قلت: «ليتك تزيد من مثل هذه المادة؟ لتقدم لنا ولمعارضيك ما نحاربك به»، هزّ رأسه وسكت!

اتخذ الحوار بعد ذلك منحى خارجياً حين تحدث قاسم عن الترتيبات

(١) عرف هذا القانون باسم قانون (١٨٨ لعام ١٩٥٩)، وقد خالف الشريعة الإسلامية في عدد من المواد وأهمها المادة الثالثة عشرة، الخاصة بتقييد تعدد الزوجات، والمادة الرابعة والسبعين، الخاصة بمساواة الذكور والإناث بالإرث، وقد عدلت المادة الأخيرة بموجب قانون تعديل قانون الأحوال الشخصية رقم ١١ الصادر عام ١٩٦٣. المؤلف .

الإقليمية وبخاصة في الكويت المجاورة التي حصلت على استقلالها عن بريطانيا في التاسع عشر من يونيو/حزيران عام ١٩٦١، وتم الاعتراف الدولي بها كدولة مستقلة ذات سيادة وهو الأمر الذي كان يعارضه قاسم بشدة فقد كان مؤمناً بأن الكويت ليست إلا قضاء سلبياً تابعاً لمحافظة البصرة العراقية، وعلى هذا نظر قاسم إلى اعتراف الرئيس جمال عبد الناصر باستقلال الكويت وإرساله قوة مصرية تشارك ضمن القوات العربية التي أرسلتها الجامعة العربية لتحل محل القوات البريطانية المنسحبة باعتباره مؤامرة مصرية تحاك ضد العراق لاقتطاع قضاء من أفضيته ويديرها ناصر، فكان نقاشنا في هذه الجزئية منصباً حول أنّ الوجود العسكري البريطاني قد غير من الحقائق التاريخية لهذه المنطقة فلم تعد الكويت جزءاً من العراق كما كان الحال عليه في الماضي، وأنه لا بد من استفتاء الشعبين على وحدتهما أو انفصالهما فالوحدة لا تفرض عنوة وإنما تتحقق بالقبول الشعبي.

كانت مناقشة هذه الموضوعات كفيلاً بأن تستغرق سبع ساعات كاملة وكنا آنذاك في شهر رمضان فاكتفينا بهذا القدر من النقاش الذي امتد إلى ما قبل الفجر بقليل حين طلبنا الانصراف حتى نتمكن من تناول سحورنا. وحين أقبلت لتوديعه أخبرته أنني تركت حاجياتي في السجن فهل يجب أن أعود إليه، أو أمضي إلى منزلي؟! فانتحى بي جانباً وقال: يجب أن أراك مساء الغد، فلما سألته لماذا لا تدعو الأخوة أجابني بأنه يريدني وحدي، فانصرفت على وعد بالحضور في المساء.

توجهت في اليوم التالي مباشرة إلى وزارة الدفاع وانتظرت قليلاً إلى أن سمح لي بالدخول إلى مكتب رئيس الأركان صالح العبدوي وهناك وجدت قاسماً جالساً وكان يبدو متعباً بعض الشيء وغاضباً مرهقاً، فبادرني بقوله: «من أنت ومن تظن نفسك؟ لقد حدثتني بالأمس حديثاً ما كان ينبغي أن تتفوه به، فكيف جرؤت على مخاطبتي هكذا؟ أتظن أنه ليس بمقدوري أن أقتلك؟؟». ورغم علمي أنه شخص قد قتل بعضاً من معارضيه فإنني على غير

المتوقع لم أجزع أمام تهديداته وتمسكت بهدوئي الذي من الله سبحانه وتعالى به عليّ في هذه اللحظة، ورحت أحدثه عن الأجل وإنه إن كان مقدراً لي أن أقتل برصاصة من مسدسه، فما ذلك لأنه أطلق عليّ رصاصة من مسدسه، وإنما لأن أجلي قد حل في هذه اللحظة، وتقدير الله هو أن أقتل بهذه الكيفية، فغضب غضباً شديداً فهداني الله إلى أن أدلل على ذلك بمحاولة اغتياله شخصياً وكيف أن الرشاشات صوبت نحوه من قبل مجموعة الاغتيال ولكنه نجا وما ذلك إلا لأن المشيئة الإلهية قدرت ذلك، ويبدو أن حديثي قد هدأ من حدة غضبه فراح يبين لي لماذا لم يقتل في هذه المحاولة، والطريف أنه حاول أن يقنعني أن السبب في ذلك أنه يقف مع الحق وخصومه يقفون مع الباطل، وأنه لا يُتصور أبداً أن ينتصر الباطل على الحق، ولما كانت تلك الإجابة غريبة جداً وغير مقنعة لي، فقد لاحظت هو تشككي فحاول أن يبرهن لي على ذلك فأحضر صوراً لبعض المساجد التي تم تشييدها في عهده ليبرهن عليّ أنه على الحق وكيف لا والله تعالى يقول ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ [التوبة: ١٨] وعبثاً حاولت أن أفهمه أن عمارة المساجد ليست في بنائها بالحجارة وتزيينها بالنقوش والزخارف وإنما يكون باتخاذها مسجداً وذكر الله فيها، ولكنه لم يشأ أن يقتنع.

كان هذا الحوار كفيلاً بإزالة ما تبقى من غضبه ويبدو أن الرجل قدّر أنني استطعت تحويل مشاعره ولم يخف ذلك عني فأخبرني أن شجاعتي نالت إعجابه لأنه رجل شجاع ويستطيع أن يقدر ذلك، وعلى هذا قدم إلى عرضاً للتعاون من شقين: الأول، الابتعاد عن أي عمل سياسي وبخاصة في إطار الحزب الإسلامي العراقي. والثاني، أن أنهض بمهمة تأسيس جمعية خيرية إسلامية تعنى بنشر الأخلاق وتقويم السلوكيات والدعوة إلى الفضائل. ولا يكون لها أي صفة سياسية، وسوف تحظى هذه الجمعية بدعم شخصي من قاسم وتمنح لها التسهيلات الإدارية والمالية اللازمة الكافية بحيث يمكن الإعلان عنها في أقرب وقت.

وتتلخص وجهة نظر عبد الكريم قاسم في إنشاء هذه الجمعية في أن

العمل السياسي لا يعد عملاً إيجابياً بالنسبة إلى إمام مسجد مثلي، ودل على ذلك بأن المصلين من خلفي لا يستطيعون التغيير ولكته وحده الذي يستطيع أن يغيّر ما يشاء في البلاد. فإذا ما أردت انتقاد حكومته أو سياسات نظامه فليس من المنطقي أن أتوجه إلى المصلين الذين لا يملكون القدرة على التغيير بل عليّ أن أخبره هو شخصياً بذلك حتى يغيره إذا اقتنع.

وكخطوة أولية عرض قاسم أن يقدم إليّ مبلغ عشرة آلاف دينار عراقي^(١) كدفعة أولى حتى يمكنني الشروع في إنشاء جمعية وشراء مقر لها وتزويده بالمتطلبات اللازمة، وطلب مني اقتناء سيارة خاصة ومسكن لائق بي، ووعدني في حال نفاذ النقود بأن يقوم بتزويدي بمبلغ آخر مثله أو أكثر حتى تستطيع الجمعية أن تشق طريقها، وقد أوحى إليّ تصرفه - في تلك المرحلة - أنه يحاول أن يشتريني بالمال، وبدا لي هذا المبلغ للوهلة الأولى أنه رشوة مبطنّة ولذا رفضت أن أتقاضى منه أية مبالغ أو أن أتعاون معه في إنشاء هذه الجمعية ولم أخف عنه فهمي ذلك واعتقادي أنه يريد أن يجندني حتى أكون أحد أعوانه^(٢). وقد نفى بدوره هذا الاتهام. وأخبرني أن دافعه أنه

(١) في تلك الفترة كان من الممكن شراء منزل معقول في أحسن مناطق بغداد بما لا يتجاوز ألفي دينار. وكانت قيمة السيارة الملائمة دون ألف دينار!! المؤلف.

(٢) هذا النوع من التفكير أرفضه - اليوم - رفضاً شديداً، واعتبره استعلاءً على عرض لا مسوغ لرفضه بالطريقة التي مارسها. ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لما رفضت ذلك العرض، ولقمت بتوظيفه في نشر قيم الإسلام بين الناس مع البعد عن الاستفادة الشخصية تديناً وتعفناً ولكن قدر الله وما شاء فعل، وتلك قضية العلاقة بين العالم والسلطة من القضايا التي تحتاج من العلماء والدعاة إلى مراجعات شاملة وقد يكون الأخذ ببعض الوسائل الموجودة في بعض البلاد الديمقراطية بعض الحلول. إنّ علاقة العالم بالحاكم علاقة يجب أن تؤسس على أسس متينة لا يستهدف العالم منها إلا النصح لأئمة المسلمين وعامتهم لا التأصيل لإساءات الحاكم ولانحرافاته أو لمشاركة في عمليات خداع الأمة وتخديرها به، للحصول على عطايا صاحب السلطان. فإنها من الصالح العام والنصح والإخلاص حين تحكمها العلاقات المحمودة المندرجة تحت ركن «التعاون والمناصحة» فالعالم المخلص المتجرّد في طليعة المعارضة =

يشعر بأنني ظلمت وأنه أراد أن يقدم لي تعويضاً مناسباً عن سجنني غير أن هذا التوضيح لم يقنعني وازدادت تشبثاً بموقفي وأتذكر أنني أخبرته بلهجة قاطعة بأنني لست للبيع وأن عمامتي ثمنها غال وهذا الثمن هو أن يقيم شرع الله تعالى فينا ويحكم بالعدل، وعبثاً حاول إقناعي بأن الأمر ليس كذلك ولكنني لم اقتنع وانتهى اللقاء بأن أعطاني أرقام هواتفه الخاصة وطلب مني أن أعيد التفكير في الأمر وأنصل به شخصياً في أي وقت شئت، ولكنني شكرته على ذلك وأخبرته بأنني لن أفعل، وانصرفت.

لم ينته الأمر عند هذا الحد بل كرّر قاسم دعوته للقاءني عن طريق العميد «عبد الكريم الجدة»^(١). وأعاد العرض ذاته بعد ثلاثة أسابيع في مكتبه فشكرته واعتذرت له فكرر عبد الكريم استعداده لاستقبالي متى شئت ذلك، وقد انزعج الجدة من رفضي على نحو يفوق انزعاج قاسم نفسه، ولما خرجنا سألتني ما الذي يمنعك من التعاون والكثير يتمنون مثل هذا العرض الذي يقربهم من الزعيم؟ فأخبرته أنني لذي أسبابي وشكرته وانصرفت، ولم ألق عبد الكريم قاسم - بعد ذلك - إلا بعد أن تخرجت في كلية «ضباط الاحتياط». حيث رأس احتفال التخرج ووزع الجوائز على العشرة الأوائل من الخريجين وكنت واحداً، ومنحت جائزة «أوسع المتخرجين ثقافة».

= الشريفة، إذا تجرد عن شهواته الذاتية ورغباته. لكن أن لمثلي في تلك المرحلة أن يدرك مثل هذه المعاني والحقيقة أننا قد ورثنا تراثاً من زمن بداية الفصام بين العلماء والحكام يجعل العالم الذي يريد الاحتفاظ بمكانته بين الناس، والمحافظة على ورعه ينأى بنفسه عن أي تعاون مع الحكام. وجعل سوء الظن المتبادل هو الحاكم لتلك العلاقة، وفسّر كثير من علمائنا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣] تفسيراً معيناً، واعتبرنا أي قبول لأي نوع من أنواع التعاون بين العالم والحكام بما في ذلك التعاون «على بر وتقوى» هو محل شبهة لا يليق بذئ العلم والدين السقوط فيه. وبعض الفقهاء قد نظر لهذه العلاقة أنها علاقة تدل على عدم إخلاص العالم، وروويت في ذلك أحاديث كثيرة وهو ما يحتاج إلى مراجعات نقدية دقيقة من العلماء.

(١) أمر الانضباط العسكري أيام عبدالكريم قاسم ومن المقربين منه. المؤلف.

الفصل الثالث

الانخراط في سلك القوات المسلحة

كان لقائي الثالث مع عبد الكريم قاسم حاسماً ومصيرياً فقد كان فاتحة مرحلة جديدة من مراحل حياتي هي المرحلة العسكرية التي تختلف كثيراً عما سبقها، فبعد رفضي عرضه للتعاون في إنشاء جمعية إسلامية قرر - على ما يبدو - أن يسلك معي سبيلاً آخر؛ فأوعز إلى مديرية الإدارة بوزارة الدفاع باستدعائي لأداء الخدمة العسكريّة، واعتباري متخلفاً عن أداء الواجب الوطني، وعلى هذا توجهت يومها للقاء العقيد يوسف رزوقي، وهو ضابط مسيحيّ من شمال العراق، وأذكر أنّ الرجل عاملني بادئ الرأي بجفاء وبادرني بالسؤال عن سبب تخلفي عن أداء الخدمة العسكرية فأجبتته بأنّي كنت رهن الاعتقال، ورغم ذلك لم يبد الرجل تفهماً وأخبرني بأنّه لا بد من إحالتي للمحاكمة العسكريّة فلم أبد اعتراضاً أو جزعاً وهو ما حمل الرجل على أن يتغيّر ويكون لطيفاً معي فجأة، حيث دعاني للجلوس وأخبرني أنّه يتعاطف معي لأنّ طلب الاستدعاء تم بإيعاز من قاسم شخصياً، وراح يشرح

لي أبعاد الموضوع. وذكر أنّ قاسماً طلب أن تمارس عليّ الضغوط ويتم تهديدي بالمحاكمة حتى أنتهي إلى كتابة طلب عفو منه يرفع إليه شخصياً. وما إن علمت بذلك حتى صارحته بأنني أفضل أن ألتحق بالخدمة العسكرية على أن ألتمس منه العفو، وقد راق هذا التصرف العميد الرزوقي الذي مد يده ليصافحني وليشد من أزري وأعرب عن رغبته في مساندتي وأنه يمكن أن يوفر لي عن طريق بعض أصدقائه محكمة تتمتع بالقدر اللازم من النزاهة والحيادة بحيث لا يصدر حكم متعسف بحقي.

وعلى هذا ذهبت إلى المحكمة التي كانت برئاسة عميد صابئي يدعى «عزيز سوادي»، وقد تلقى توصيات عديدة لمراعاتي، وتجنب معاقبتي، فحكم عليّ بغرامة، قدرها ربع دينار وضرورة أداء الخدمة في الدورة التي كان يجري التحضير لها وهي الدورة «السادسة عشرة»، وبالفعل التحقت بدورة ضباط الاحتياط، وقد بلغ عدد أفرادها ٦٢٠ فرداً وكانوا جميعاً من خريجي الجامعات وانتهت أشهر التدريب الستة. وليس هناك ما يميز هذه الفترة سوى أنه قد التقيت «المقدم محمد علي عبد اللطيف» الذي ذكرت سابقاً كيف دسّ علينا في حديثي عن محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم لينقل للقيادة أخبارنا. كان يعمل في كلية ضباط الاحتياط، ضابط الركن الإداري. فدعاني يوماً إلى مكتبه ورحب بي ترحيباً حاراً واعترف لي بأنه قد كلف بالانضمام إلينا لنقل أخبارنا وتحركاتنا إلى المخابرات الخاصة بالزعيم عبد الكريم قاسم. وأنه فخور بأنه حرص على ألا يعرض أيّاً منا للخطر، وأنّ اختفائي كان حسناً لكنه من ناحيته لم يكتب شيئاً يضر بي.

هكذا تخرجت ضابط احتياط ولما كنت الأول على الدورة في القدرات الثقافية فقد قُدمت إلى راعي الاحتفال الذي كان الزعيم عبد الكريم قاسم شخصياً لتسلّم هديّتي منه، وحين تقدمت إليه هذه المرة لم أكن ذلك الشيخ الذي يقارعه الحجة، ويفند مزاعمه، ويتجرأ على مجادلته، فقد كنت ضابطاً صغيراً أحمل رتبة ملازم ثاني يقف أمام القائد العام للقوات المسلحة، وقد

علمونا كيف نتقدم ونحييه التحية العسكرية ونقف بين يده مثل خشب مسندة يتقدمنا قائد الكلية العميد الركن صبري النعيمي، فأخذ التحية وأخذناها مثله، فلما بدأ عبد الكريم مصافحة الأوائل ووصل إليّ نظر إليّ كمن يحاول أن يتذكرني وقال: «أأنت الأخ طه؟» هذه المرة قلت: «نعم سيدي»، فهكذا تفرض الأوامر العسكريّة، وسألني: «ما الذي أتى بك إلى هنا؟»، فعادت إليّ طبيعتي المشاكسة، وقلت: «رغبتكم يا سيادة الزعيم». قال: «مع ذلك فأنت من الأوائل وصدق ظنيّ فيك». ثم دعا المصورين إلى التقاط الصور وهو يسلمني الهدية مداعباً: «أين أنتم من تصوير هذا المظهر المهم في حفلكم هذا؟»، ابتسمت وحييته مرة أخرى وانسحبت إلى الوراء لكنني رأيتة همس في أذن قائد الكلية شيئاً لم اسمعه وحياني وانصرفت.

كانت صنوف الجيش المختلفة تختار من بين ضباط الاحتياط من تحتاجهم لبعض اهتماماتها. وكنت مرشحاً للإلتحاق بمدرسة «الهندسة الآليّة الكهربائية» مدرساً للغة العربيّة بناء على طلبها. وبعد أيام دعينا لحفل توزيعنا على الوحدات، وكان التوزيع يجري على أساس إرسال الضباط الذين طلبتهم صنوف أو وحدات معيّنة أولاً إلى الجهات التي طلبتهم. ثم يقرع بين الباقين لتوجيههم إلى الجهات والوحدات العسكرية في سائر فروع الجيش ولما نودي على المرشّحين ذهبت ووقفت مع المرشّحين لصنف «الهندسة الآليّة الكهربائية» لأن لديّ ترشيحاً من المدرسة. بعد دقائق رأيت رئيس اللجنة القائم على توزيع الضباط وكان اللواء «مدحت عبد الله» مدير الإدارة في وزارة الدفاع يتصل تليفونياً بجهة لا أعرفها، وقد عرفتها بعد أن نودي على اسمي. بمجرد أن أرخى السماعة. ولما اقتربت منه قال: «يا بني للأسف الشديد: إنّ السيد رئيس أركان الجيش ألغى ترشيحك للإلتحاق بالهندسة الآليّة الكهربائيّة وطلب إخضاعك للقرعة، فتقدم واسحب ورقة من هذا الصندوق»، فمددت يدي وسحبت الورقة وأعطيتها له فلما فتحها هتف بأعلى صوته: «الله أكبر، ثم نادى على مجموعة ممثلي الصنوف حوله،

وكانوا أكثر من عشرين ضابطاً، وقال هذا الرجل لديه ترشيح من الهندسة الآلية الكهربائية أمرني السيد رئيس أركان الجيش بإلغائه وإخضاعه للقرعة، وألزمناه بالقرعة، وقد خرجت القرعة للمكان نفسه وأخشى أن أتهم بأني حابيته أو تحيّزت له، فأرجو أن تشهدوا على هذه الواقعة». ثم تحدث هاتفاً إلى رئيس أركان الجيش اللواء أحمد صالح العبدّي مرة ثانية، وما إن أنهى مكالمة حتى طلب منّي إعادة القرعة للمرة الثانية بناء على طلب السيد رئيس أركان الجيش، فأعدت القرعة من أجل اللواء مدحت ورأفة به، وخرجت - بفضل الله - الهندسة الآلية الكهربائية؛ وإذا بالجميع يضحون بالتكبير بمن فيهم ممثلو الصنوف واعتبروه نوعاً من انتصار إنسان أعزل على القيادة العسكرية وإرادتها. وإذا بجميع ممثلي الصنوف يطلبون من اللواء مدحت أن أنضم إلى صنوفهم، لكنني حييت اللواء مدحت وغادرت مسرعاً وإذا بإحدهم بعد مضي دقائق يلحق بي ويطلب مني أن أعود إلى القاعة، ولما عدت طلب مني اللواء مدحت أن أعيد الاقتراع للمرة الثالثة فأجبته على الفور: هذه لم تعد قرعة بل لعبة، وإذا كان السيد رئيس أركان الجيش لا يرغب أن يكون عملي في بغداد فيستطيع أن يسرحني من الجيش لأعود للعمل المدني. كما أنه يستطيع أن يُعينني من دون اقتراع مزيف في أية جهة يختارها ثم ودعته وانصرف.

وذهبت في اليوم التالي لمدرسة «الهندسة الآلية الكهربائية» وبدأوا بإعطائنا بعض الدروس؛ لتوضيح مهام صنف الهندسة الآلية الكهربائية الذي انتميت إليه، ومدى أهميته، وبيّنوا أنّ فترة تدريبنا وتوجيهنا حول معرفة هذا الصنف ستستغرق أسبوعاً، نبدأ مباشرة أعمالنا بعدها في هذا الصنف ومؤسساته. وقبل أن ينتصف أسبوع التدريب جاء قائد المدرسة وأخبرني بأنه تلقى برقية من السيد رئيس أركان الجيش بنقلي إلى وحدات الفرقة الأولى المقاتلة العاملة في شمال العراق، وكانت في حالة قتال للأكراد فشكرته، ثم جلست قليلاً وكتبت طلب استقالة من الخدمة العسكرية وكتبت العنوان إلى

الزعيم عبد الكريم قاسم القائد العام والتوقيع الملازم الاحتياط طه جابر العلواني؛ فضحك الرجل ثم قطب مدير المدرسة جبينه، وقال: «أتظن أنك مدني تستطيع أن تستقيل؟! نحن عسكر وفي حالة حرب ضد العصاة ومخالفة الأوامر العسكرية جزاؤها إطلاق الرصاص عليك ولذلك عليك أن تطيع الأوامر وأن تلتحق بالوحدة التي حددت لك، وبعدها تحاول أن تجد لنفسك واسطة أو سبيلاً أو أي شيء آخر. أما أنا فلن أرفع هذه الورقة إذ لا يجوز لي أن أرفع عريضة من ملازم إلى القائد العام، وما عليك إلا التوقيع على التبليغ بأنك قد بلغت بضرورة التحاقك بوحدات الفرقة الأولى العاملة في الشمال ولا تأتي للمدرسة مرة أخرى».

ورغم ذلك فقد تمسكت بموقفي وطلبت منه أن يرفع الاستقالة إلى القائد العام للقوات المسلحة، وقلت له: «أنا المسؤول عن أفعالي، فإن لم ترفعها أنت فسأرفعها بنفسي»، ثم تركت الرجل وانصرفت وذهبت إلى بيتي وهناك كتبت رسالة مطولة ومسببة إلى القائد العام للقوات المسلحة اللواء عبد الكريم قاسم، جاء فيها: «إنّ القتال في شمال العراق في نظري هو فتنة بين فريقين مسلمين لا أدري أيهما على الحق، فالحكومة تتهم الأكراد دوماً بأنهم انفصاليون وشيوعيون ورأس حربة للاتحاد السوفيتي في المنطقة، والأكراد يتهمون الحكومات العراقية المتعاقبة بالعمالة للغرب، واضطهادهم لأسباب قومية». ثم عرجت على موقفه من الأكراد حيث قام «باستدعاء قياداتهم من الاتحاد السوفيتي بل وأسكن الملا مصطفى البارزاني في منزل نوري السعيد، تعبيراً عن الاعتزاز بوطنيته ولم تمض أسابيع قليلة على ذلك حتى بدأنا نسمع من جديد عن اختلافات بينكما. بعدها نشب قتال بين قبائل كردية وقبائل أخرى، وأعلنتم أنّ الحكومة مضطرة للتدخل لفرض القانون وحماية الوحدة العراقية وما إلى ذلك. بالنسبة لي لم أجد أي مسوغ شرعي يسمح لي بالانضمام إلى أي من الفئتين، بل إنني كغيري أجهل سائر الملابسات المحيطة بهذه الفتنة؛ ولذلك فلا يمكنني قبول فكرة القتال في

صف أي من الجانبين، بل النصح لهما ودعوتهما إلى الصلح إذا كان هناك من يسمع، والدعوة إلى حقن دماء المسلمين، ولذلك أرجو منك التكرم بقبول استقالتي من الخدمة العسكرية» وتركبي وشأني.

بداية الحياة العسكرية

وبعد حوالي أسبوع من إرسالي الاستقالة حضر رجال من البوليس الحربي أو «الانضباط العسكري» - كما كنا نسميه - إلى منزلي وطلبوا مني التوجه إلى وزارة الدفاع، فظننت حينها أنهم سوف يسفرونني بالقوة إلى الشمال، فذهبت بملابس مدنية معتبراً نفسي مستقيلاً، ولما وصلت إلى وزارة الدفاع وسألت عن قائد البوليس الحربي الذي أبلغني منتسبو وحداته بضرورة الحضور إلى وزارة الدفاع من دون أي تفاصيل أخرى. أخبرني أحد الضباط بأنه غير موجود وأنهم لا يعلمون أنه قد طلبني، عندئذ اتصلوا بمكتب اللواء قاسم وعلموا أنهم من استدعوني وأنه يتوجب علي لقاء اللواء قاسم في الحال، وأخبرني ضابط التشريفات بأنه لزام عليّ أن أعود إلى منزلي سريعاً لأستبدل ملابسي المدنية بالملابس العسكرية تأهباً للقائه فما زلت حتى تلك اللحظة مجئداً - كما علمت - حيث لم أبلغ بقبول استقالتي، ثم توجهت مجدداً إلى وزارة الدفاع، وهناك أدخلت إلى مكتب المقدم قاسم الجنابي فوجدت اللواء عبد الكريم متكئاً على المكتب في حالة لا هي بالوقوف ولا هي بالجلوس، وقد افتتح الحديث كعادته وأخبرني أنّ رئيس الأركان أبلغه أنني لا أصلح أن أكون رجلاً عسكرياً لأنني حزبي، وأنه قد أدرج اسمي ضمن قائمة المرشحين للفصل من الخدمة العسكرية وهو الأمر الذي لم أخف ترحيبي به صراحة، إلا أن قاسماً كان له رأي آخر فقد أخبرني أنه قام بإلغاء قرار ترحيلي إلى الشمال للعمل ضمن وحدات الجيش المقاتلة للأفراد حيث أنني لا أصلح لذلك لأنني رجل مثقف لا تناسبني الأعمال القتالية، وعلى ذلك قام بتعييني في مكتب مستشاره الصحفي النقيب

«سعيد الدوري» الذي كان يتبع القيادة العامة للقوات المسلحة، ولم ينتظر الرجل رداً مني فقد قام باستدعاء الدوري وأبلغه بأنني سوف أكون مساعداً له، وبرر ذلك بأن لغتي العربية ممتازة وأنني من خريجي الأزهر.

وما إن انتهى لقائي مع قاسم حتى اصطحبني الدوري إلى مكتبه الذي كان يقع على مقربة من مكتب قاسم، ثم أخذني إلى مكتب لم يكن يفصله عن مكتب الزعيم سوى ست غرف، وكان عبارة عن غرفة كبيرة جداً مفروشة بالسجاد الأزرق تطل على نهر دجلة وفيها أربعة مكاتب، وكان مكنتي يقع في الزاوية اليسرى من الغرفة. وفي اليوم التالي مباشرة شرعت في مباشرة مهام عملي الذي يتلخص في تدقيق خطب الزعيم وتصويبها ومراجعتها لتصبح مهيأة للنشر، وقد أرسل لي قاسم بحوالي تسعة مجلدات هي مجموع خطبه المطبوعة - آنذاك - وبدأت أعمل جداول «خطأ وصواب» لما هو موجود وأخذتها مجلداً مجلداً، ورصدت أخطاء عديدة في آيات قرآنية وفي شواهد شعرية، واقتباسات ونقول. وبعد يومين جاء عبد الكريم قاسم نفسه ودخل علينا المكتب وجلس في صدر المكتب وراح يتحدث عن هذه الغرفة التي أمر بوضعي فيها وتاريخها حيث تباهى بأن أعظم ضباط الجيش العراقي لم يكونوا يجروون على المرور أمام هذه الغرفة؛ لأن هذه الغرفة كان يحتلها المستشارون الإنجليز للجيش العراقي، والآن يجلس أبناء الشعب فيها وذلك إنجاز من إنجازات الثورة، ثم قام وتطلع إلى مكنتي ووجد جدول التصويبات ومازلت أذكر أنه قد أخطأ في استشهاده بآية قرآنية، وكانت من سورة النساء حيث قال «من يعمل خيراً يجزى به» في حين أن الآية هي ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]. ولمح هذا التصويب، وقال إنني لم أخطئ في الآية، ففتحت المصحف وقرأت الآية له وقدمت له المصحف لينظر فيه، فاجأني بطلب إحضار مصحف من مكتبه، وقرأها كما هي في سائر المصاحف. فأكدت له أن الآية واحدة واستعنت في ذلك بأربعة مصاحف أخرى إلا أنه أبى أن يتقبل فكرة أنه قد أخطأ، وراح يجادل في

الأمر بعض الوقت ولكنني تمسكت بموقفي نصرة لكتاب الله، غير أنني لاحظت أن بعض الحاضرين من المرافقين كانوا يشيرون لي بالتوقف عن الجدل. وحاولوا إثنائي عن ذلك معتقدين أنهم يدفعون بذلك غضب الزعيم عنهم. والله في خلقه شؤون، لكنني لم أتوقف إلا بعد مضي ٢٢ دقيقة وتوجيهه اللوم إلى حاشيته التي لم تصحح له ذلك، ثم انصرف وبعد أن بلغ باب المكتب عاد يقول لي: ما دمت تتقن العربية فهلا أخبرتني من هو قائل البيت التالي:

لَبَّثَ قَلِيلاً يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ

فقلت: «إنَّ اسم الشاعر هو حمل بن مالك من الهزليين»، فقال: «أنت مخطئ»، فابتسمت، وقلت: «سيادة الزعيم، سواء أكان حمل أو محمول فلا يهمني ذلك. أما القرآن فلن أتساهل في الخطأ فيه. فابتسم وانصرف».

لقد استفدت من هذه الواقعة درسين: الأول: شدة استعداد شعوبنا للانتهازية، واستخفاف الحكام بهم. والثاني: أنَّ عبد الكريم قاسم بتشبهه بقراءته الخاطئة للآية الكريمة، وطلبه مصحفاً بعد آخر - لعله يجد في أي منها ما يصحح له قراءته - قد بلغ من الاعتداد بنفسه وبرأيه مستوى لا يعطيه فرصة لقبول رأي غير رأيه، أو التنازل عما يراه. وقد اقتنعت بأنَّ الرجل مضللّ ملاً إهابه المديح والثناء.

وبالإضافة إلى خطبه كان قاسم يرسل في بعض الأحيان - رسائل الثناء عليه التي تصله من شخصيات مهمة منهم أساتذة جامعيّون، وعلماء دين وما إلى ذلك، كما كان يرسل إليّ ما يأتي إليه من رسائل أخرى كتبها أناس بسطاء تحمل المنامات والرؤى التي يختلقها الدجالون؛ طمعاً في ما قد يمنحهم من مال أو هدايا، وكنت مطالباً بالاطلاع على ذلك كلّه وإبداء الرأي - أحياناً - وكانت هناك طرائف كثيرة تحدث في هذا المجال.

عملي في مكتب قاسم صورة الزعيم على قشر بيضة

وما زلت أذكر «حادثة البيضة» التي جاء بها شرطيٌّ كان يعمل في مدينة الرطبة القريبة من الحدود العراقية السورية الأردنية، الذي ادَّعى أنَّ دجاجة عندهم باضت بيضة عليها شعار الجمهورية في جانب وصورة الزعيم في جانب آخر!! فذهب إلى قائم مقام مدينة الرطبة أو مدير الناحية - آنذاك - لا أذكر، الذي أمر بإرسال الشرطيِّ إلى منطقة الحَبائِيَّة العسكرية ليقدموه لسيادة الزعيم ومعه البيضة، وهناك قدم الشرطي إلى أحد الضباط القوميين الناصريين المعادين لسياسة الزعيم، وكان ما يزال بين النوم واليقظة حينما هرع إليه الجنديُّ المراسل وبصحبه ذلك الشرطيُّ يحمل بيضته في سرة كبيرة خوفاً على البيضة المعجزة!! فقام الرجل وكسر البيضة وشربها وضرب الشرطيَّ وصرفه فاشتكى الشرطيُّ حتى وصلت شكواه إلى سيادة الزعيم، فأحال إليَّ الموضوع بعد أن أمر بنقل الضابط الذي شرب البيضة ومعاقبته. فكتبت معلقاً على الواقعة تقريراً قلت فيه إنَّ البيضة عند خروجها من الدجاجة يكون قشرها طرياً، ويمكن أن يطبع عليه شعار الجمهورية الموجود على العملة وكذلك ملامح صورة الزعيم، وأنَّ هذا الرجل ربما أراد أن يحتال للحصول على حاجته من الزعيم بهذه الوسيلة، فأرجو إهمال الأمر إذ لا يليق بنا أن نشتغل بقضايا مثل هذه.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد إذ أنَّ سيادة الزعيم أرسل لي مجموعة من المنامات الأخرى أذكر منها مناماً لسيدة زعمت - قاتلها الله - إنَّها رأت في المنام الزعيم عبد الكريم سائراً بملابسه العسكرية وهيئته، ويسير وراءه سيدنا رسول الله ووراء سيدنا رسول الله الخلفاء الأربعة وما شاءت أن تضيفه من تخريف؛ فكنت أعلق بكثير من السخرية الفجّة أحياناً على تلك المنامات والتي لا تخفى على عبد الكريم قاسم الذي يستحيل أن يصدق شيئاً من

ذلك، ولكنّه كان يرى فيه نوعاً من التسلية والإحساس بالذات، والحقيقة لم تكن هذه النوعية من الرسائل تزعجني كثيراً بل كان أكثر ما يزعجني رسائل المثقفين ومنهم أساتذة جامعات وبعض الشعراء المبدعين. وأذكر أنّ الشاعر حسين بستانة قد كتب قصيدة أعتبرها من عيون الشعر كلها ثناء على عبد الكريم قاسم وعبقريّته، وقد أرسلت القصيدة إليّ للاطلاع وتقييمها من الناحية الأدبيّة فأعجبت بها ولكنني استسخرت موضوعها، فطلبت الأستاذ حسين بستانة - يرحمه الله - واستقبلته بأدب شديد، وأعلمته أنّي من محبي شعره وأدبه وقد حزنت حين رأيت قصيدته التي قالها في من لا يستحقها في نظري. هذا رغم خطورة ما فعلته على مستقبلتي وما قد أتعرض إليه من مخاطر فإنّني قد وجدت من الأمانة أن أصارحه بأن يصون شعره عن هذا التهافت، فهؤلاء لا ينبغي أن تضيع القوافي في مدحهم. فبكى الرجل ووعدني بأن لا يعود لمثلها وانصرف.

وإن لم تخذلني الذاكرة فلعل من بين أبيات قصيدته:

خلّ المسدس جانباً أولست بالألحاظ تحرس
من كان تحرسه القلوب فليس يحتاج المسدس

حيث لم يكن عبد الكريم قاسم يتخلى عن مسدسه «الويلي» أبداً حتى ربطه البعثيون بعد أسره بـ«رباط مسدسه» وهم يقتادونه إلى دار الإذاعة لقتله.

ونفاق المنافقين الغرور والعجب

وأحيلت إليّ رسالة ذات مرة من الشيخ علي الخاقاني وكان شيخاً من شيوخ الشيعة ولديه مكتبة في شارع المتنبي كبيرة، وقد أصدر موسوعة كان قد نشر منها حوالي تسعة أجزاء عن شعراء «النجف» بعنوان «شعراء العري» أي النجف وذكر في رسالته أنه يعتزم إصدارها في عشرين مجلداً أو ما يزيد عن ذلك، وطلب من الزعيم عبد الكريم أن يمول له الموسوعة، وقد أحال

الزعيم الرسالة عليّ للنظر في مدى أهميتها وما إذا كان من الملائم تمويلها أم لا.

فأخذت الرسالة وذهبت إلى الخاقاني في مكتبته وكان رجلاً لطيفاً صاحب نكتة يتقن «الحسجة»^(١)، وحين أخبرته أنني قادم من مكتب الزعيم كاد يطير فرحاً، وحاول أن يضيّفني لكنني رفضت وأخبرته أنني ما جئت إلا لكي أقول له: إنّ الأموال التي تطلبها هي أموال الدولة وليست أموال قاسم وهو قد تحمله رغبته في ثناء أمثالك وكسبهم على منحك ما تريد، ولكنني أقول لك إنّ التخلص من عبد الكريم صار وشيكاً، وأنّ الذين استغلوا طبيعة الرجل وحصلوا منه على أموال سوف يدفعون الثمن غالياً فامض في موسوعتك إن شئت، ولكن لا تقترب من أموال الدولة؛ فبدا الرجل في حالة ارتباك شديد لكنّه حين رأني أضحك ظن أنني أختبر ولاءه للزعيم، فعاد إلى الثناء البالغ عليه فقطبت وجهي من جديد، وقلت له: «إنني أكلمك جاداً ولما أدرك ذلك»، قال: «أنتم عسكر قد تذبحون رجالكم، وقد يدمر بعضكم البعض وأنا لا دخل لي في خلافاتكم ولا أريد أن أكون طرفاً فيها وأريد أن نظل أصدقاء»، فودعته وانصرفت.

إنّ مثل تلك التصرفات حين أنظر إليها اليوم لا أخفي عجبني كيف كانت تواتيني الشجاعة لأقوم بها، وأنا أعلم أنّ هؤلاء لولا خوفهم من أنّ الأمر لا يعدوا أن يكون اختباراً لولائهم لما ترددوا في الذهاب إلى قاسم، وإخباره بالأمر.

إنّني الآن وبعد هذه السنوات الطوال أستطيع أن أحدّد دور المحكومين في نفخ الكبرياء والغطرسة وروح الاستعلاء في الحكام، حين يحيط بهم

(١) الحسجة هي: الآلية العجيبة التي نستخدمها في حواراتنا إذا ما أردنا إيصال معنى ما بطريقة تلميحية بليغة، والمقصود بها تحديداً هو استعمال التورية والتلميح لمعنى يبدو خارج السياق لكن ما إن تتمعن في علاقته بالحوار والمحاورة حتى تكشف أنّه يقع في الصميم. المؤلف.

المتملقون من كل جانب يثنون عليهم ويمدحونهم بالباطل ويرفعونهم إلى مرتبة فوق مرتبة البشر، فينخدع الطاغية ويتوهم أنه فوق البشر فعلاً، والنتيجة المتوقعة هي أن من يبادر بتقديم أي نصح أو تحذير يبدو وكأنه عدو للحاكم الذي لا يستطيع أن يرى هذه الجماهير المعجبة به والمتشبثة بأذياله والتي تهتف له بما يجعله يعتقد أنه الحق كله والخير كله، ومن بيده كل شيء. إن الإفراط في المدح للحاكم يساعد على تضخيم ذاته وتخدعه الفئات الانتهازية عن نفسه، وحين تطول فترة حكمه ويستمر المدح يتحول إلى طاغية مستبد مستعل على الجميع، لا يسمح لنفسه أن يستمع إلى رأي مخالف لرأيه فضلاً عن أن ينقل السلطة لمن هو خير منه؛ بانتخاب أو غيره. وهنا نعلم لماذا حصر الله تعالى الحمد بذاته العلية في سورة الفاتحة وغيرها من سور القرآن التي نقرأها صباح مساء، لكن المسلمين يقرؤونها ولا يعملون بها، إن فرعون لم يقل لقومه: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص: ٢٨] ويردفاها بقوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤] إلا بعد أن خدعه قومه عن نفسه، فقال قولته الطاغية الكافرة، قالها مخدوعاً بغفلة جماهيره وإذعانها وانقيادها، فما الطاغية إلا فرد لا يملك في الحقيقة قوة ولا سلطاناً، إنما هي الجماهير الغافلة الذلول تُمطي له ظهرها فيركب وتمد له أعناقها فيجر وتحنى له رؤوسها فيستعلي، وتتنازل له عن حقها في العزة والكرامة فيطغى. والجماهير تفعل هذا مخدوعة من جهة وخائفة من جهه أخرى وهذا الخوف لا ينبعث إلا من الوهم، فالطاغية، وهو فرد، لا يمكن أن يكون أقوى من الألوف أو الملايين، لو أنها شعرت بإنسانيتها وكرامتها وعزتها وحرّيتها، وكل فرد فيها هو كفاء للطاغية من حيث أنه فرد.

ولكن الطاغية يخدعها فيوهمها أنه يملك لها شيئاً وما يمكن أن يطغى فرد في أمة كريمة أبداً، وما يمكن أن يطغى فرد في أمة رشيدة أبداً. وما يمكن أن يطغى فرد في أمة تعرف ربها وتؤمن به وتأبى أن تتعبد لواحد من خلقه لا يملك لها ضراً ولا رشداً، فأما فرعون فوجد في قومه من تلك

الكلمة الفاجرة الكافرة «أنا ربكم الأعلى» قبولاً، وما كان ليقولها أبداً لو وجد أمة واعية كريمة مؤمنة تعرف أنه عبد ضعيف لا يقدر على شيء، وإن يسلبه الذباب شيئاً لا يستنقذ منه شيئاً.

ولذلك فإنّ شعوبنا إذا أرادت أن لا تكون ميدان شذوذ الشواذ وتجارب المستبدين فما عليها إلا أن تغير ما بنفسها وما في عقولها وما في قلوبها. وأن تجعل من الإيمان بالله وتقديسه وحده لاشريك له - دون عبادة - فتلك وسيلتها إلى استرداد إنسانيتها واستعادة كرامتها، وإقامة أولئك الذين يرغبون بتنصيب أنفسهم أوصياء عليها، إقامتهم على الحق وإلزامهم السبيل المستقيم وجعلهم يشعرون بأنهم خدم للأمة لا أسياد عليها.

لم يكن انقلاب ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨ نتيجة تحرك اجتماعي عميق له عوامله وأسبابه بحيث يرتقي ما حدث ذلك اليوم إلى مستوى الثورة، وإن حاول كتاب حزيون كثيرون التأكيد على ذلك مستدلّين بانفجار المظاهرات الشعبية في الأيام الأولى للانقلاب. فالجميع يعرفون أنّ تلك المظاهرات خرجت بدعوة وتحريض عبد السلام عارف الذي كان ينادي منذ ساعات الانقلاب الأولى من إذاعته بغداد وتلفازها الجماهير للخروج إلى الشارع لحماية الثورة وتدعيمها، ومحاصرة الامبريالية والاستعمار وعملائه الذين قد يزعج المستعمرون بهم لإفشال الثورة وإسقاطها، فكان يصرخ منادياً الأحزاب السياسية كلها، والجماهير وسائر القوى الوطنية للاندفاع إلى وسط بغداد والتعبير عن ولائها للثورة، وفرحها بها ورفضها للنظام الملكي المباد، ولم يكن ينقص الجماهير الفضول والرغبة في معرفة ما يجري. وقد اضطر الانقلابيون بعد أن ساورهم شيء من الخوف أن يتلاعب أحد بمشاعر تلك الحشود الغاضبة في الشوارع ويوجهها ضد الانقلابيين فاضطروا إلى منع التجوال وإعلان «الأحكام العرفية/ الطوارئ»؛ ليتمكنوا من التفرغ لتوزيع النفوذ ومراكز القوة بين منفي الانقلاب عارف وقاسم ومن يثقون به من العسكريين الذين أطلقوا على أنفسهم «الضباط الأحرار». أمّا الأحزاب والقوى

الشعبية والجماهير فقد طلب منهم العودة إلى أعمالهم العادية لتمكن قيادة الانقلاب - الثورة!! من تسيير الأمور، والقيام بالمهام الجسام التي تنتظرها!! أما قيادات الأحزاب التي كانت قد انضوت قبل الانقلاب بقليل في «جبهة وطنية»؛ مثل الحزب «الوطني الديمقراطي» و«الحزب الشيوعي» و«حزب البعث» و«حزب الاستقلال» فقد أدركت أنها مطالبة بأن تسير طموحات النخبة العسكرية المسيسة لتحصل منها وبها على نصيب من النفوذ، وتسكت بها طموحات الطامحين من قادتها وأعضائها، فبقدر ما تحصل عليه من نفوذ تقاس مساهمتها في الانقلاب والثورة، ونجاحها في الحصول على المكاسب. وبدأت الشعارات الكبرى «الوحدة العربية» و«الحرية» و«القومية العربية» و«الثورة العربية»، كل تلك الشعارات وغيرها بدأت تنكمش لتحل محلها شعارات ملخصها «العراق أولاً»؛ لا من حيث البناء والإعمار، بل من حيث إحكام السيطرة وتوطيد التحالفات بين العناصر الجديدة من أصحاب النفوذ. وهكذا استمر العراق مسرحاً إقليمياً لسياسة عراقية خاصة به، يقودها أفراد عسكريون وبعض المدنيين الانتهازيين وكلهم أثبت قدرته على التحكم وإكراه الشعب على ما يريدون ومارسوا سلطات غير محدودة لم يتمتع بها أحد من رجال العهد الملكي المباد. وفشت المحسوبية، وانتعشت القبليّة والطائفية. لم يكن عند هؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم «الضباط الأحرار» أية خطة أو تصوّر عن الدولة، وجوهر السياسة وقوانين اللعبة السياسية، ولا عن الأمور أو المآخذ التي تؤخذ على الدولة في ظل النظام الملكي، وكيف يمكن إعادة بناء وتأسيس الدولة العراقية على أسس جديدة تلاحظ كل خصوصيات العراق والشعب العراقي. والسياسيون المدنيون الذين استقطبهم العسكريون آثروا مجارة العسكريين ومشاركتهم بعض المكاسب وربما أفنقوا أنفسهم بأن الزمن سوف يأتي بـ«الثورة الحقيقية» أو «التغيير اللازم» فلم يفعلوا شيئاً يذكر في مجال إعادة أو تأسيس الدولة العراقية على أسس سليمة كان يمكن أن تجنّب العراق دوامة العنف التي انجرّ إليها حتى المصير الذي آل إليه. لكنّ سهولة انتقال السلطة، وانهيار النظام الملكي أطمع سائر الضباط في الاستلاء على

السلطة، وصار التآمر داخل الجيش وخارجه عرفاً سائداً، وطبيعة التكوين والتنشئة العسكرية تسارع إلى اللجوء إلى العنف باعتباره وسيلة وعقوبة ضد المعارضين في دولة طبيعة تكوينها تجعل الاختلافات بين مكوناتها أمراً طبيعياً، وتستلزم إيجاد نظام قادر على استيعاب ذلك التنوع بتحقيق العدل والمساواة والمشاركة السياسية الفاعلة التي تستوعب كل ذلك التنوع وتمثل سائر مكونات الشعب وفئات المجتمع بشكل مؤسسي. أما المركزية والهيمنة والفردية والمحسوبية فهي التي أدت إلى الوضع الذي أسلم العراق إلى الاحتلال ثم التفكك بعد ذلك. فإذا كان العراقيون ما يزالون مؤمنين بوحدة العراق وشعبه، وأن وحدتهم خير لهم من فرقتهم وتمزقهم وتمزيق بلدهم فإن عليهم أن يعيدوا بناء ثقافتهم وعقلياتهم ونفسياتهم، ودراسة تاريخهم القديم والحديث واستخلاص العبر والدروس منه وتكوين أجيال طالعة جديدة معافاة من تلك الأمراض.

محاولات الانقلاب على قاسم: دواعيها ونتائجها

هكذا أمضيت حوالي ٨ شهور في هذا المكتب، وفي هذه الفترة اشتدت الأزمات السياسية ضد قاسم وكثرت المحاولات الانقلابية ضده. فقد حكم عبد الكريم قاسم العراق حكماً فردياً مطلقاً، ومن حوله كانوا مجرد أدوات بيده ومنفذين لسياساته لمدة أربعة أعوام ونصف، وطيلة هذه الفترة لم يهدأ العسكريون من قوميين وبعثيين وإسلاميين ومستقلين، ولم يتوقفوا عن محاولات الانقلاب عليه والتخلص من نظامه. ومن المؤكد أن الرجل رغم ما رمي به من كونه مصاباً بداء انفصام الشخصية «الشيزوفرانيا» schizophrenia وجنون العظمة كان ذكياً، وبذل جل طاقته ووقته لإيقاف المحاولات الانقلابية ضده، ولعلني أستطيع الادعاء إن ذلك كان يشغل ما لا يقل عن ٨٠ بالمائة من طاقته وجهده والباقي لتسيير أمور الدولة^(١).

(١) يعد قاسم من أكثر الشخصيات التي حكمت العراق إثارة للجدل واتهم من قبل خصومه =

.....

= السياسيين بالتفرد بالحكم وسماه المقربون منه وفي وسائل إعلامه «الزعيم الأوحده» [أنظر : عبداللطيف الشواف، قاسم وعراقيون آخرون، ذكريات وانطباعات (بيروت : دار الوراق، ٢٠٠٤)]. وهناك جوانب كثيرة من هذه الشخصية التاريخية بحاجة إلى دراسات أكاديمية بعيدة من التشنجات الحزبية والإيدلوجية. أما عبد الكريم فقد كان من الادياء الجادين الذين لا يميلون الي الاختلاط داخل الكلية العسكرية وبرز فيها. (القدس العربي، ١٧ تموز ٢٠٠٣، الاربعاء ٢٦ جماد الاول ١٤٢٥ / ١٤ تموز ٢٠٠٤). وتصف وثيقة بريطانية صادرة من بغداد في عام ١٩٥٩ بكون قاسم «شخص أناني بشكل أساس وهو قادر باعمال جيدة جداً وأعمال سيئة جداً في ضوء تأثيرها على موقفه الشخصي... وهو بارع ولكن ليس ذكياً بشكل خاص... وبسبب حالات الغضب الشديدة والقسوة والسذاجة وغير ذلك من التشكيلة المتنوعة والغريبة من الصفات في شخصيه... وتتميز شخصيته أيضاً بحالات من الضعف في اتخاذ القرار».

انظر : FO 371 /140922 , British Embassy, 21, Septemeber Baghdad . يعتقد البعض أن عبدالكريم كان مصاب بمرض نفسي سمي «سوء التوافق». ولهذا المرض أسباب بيولوجية تؤثر على الجهاز العصبي وأعراض المرض «الشعور بالسرعة بالإحباط ، الريبة، الافتقار إلى المرونة، حالات مزيجة من الخجل والانعزال والعدوانية». [علي خيون، ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق، (بغداد: وزارة الثقافة، ١٩٩٠)، ص ٧٩ - ٨٠]. ويصف قاسم نفسه بكونه مسلم ملتزم بالعبادات وقيم الصلاة ويعطي القدر الأكبر من راتبه كصدقات. (إيمان الدباغ، ص ٢٣٤). إلا أنه رفض أن يصرح بمذهبه، وكان يقول بكونه رئيس العراق لا يريد أحداً أن يعرف مذهبه، وصرح في العديد من المناسبات رفضه للشيعوية والإلحاد رغم اعتماده على الشيوعيين في سياسات التوازنات التي كان يلجأ اليها لحكم العراق. يشهد الكاتب حنا بطاطو في كتابه القيم عن العراق بكون قاسم ذو شخصية كارزمانية وإن أبناء الشعب العراقي لم يمنحوا حبههم الأصلي من أعماقهم لأي قائد في تاريخ العراق الحديث مثلما منحوه له. (تاريخ العراق، ص ٤٤). كما اكتشف الدكتور عماد عبدالسلام المحقق في اضبارته الشخصية أن والده جاسم محمد البكر رفع دعوى أمام المحكمة يطالب ابنه عبدالكريم قاسم بالنفقة أو بجزء من راتبه، وحكمت له المحكمة بـ(٦) دنانير، كما رفع والده على ابنه أيضاً دعوى أخرى يطالبه بتسديد دين شخصي قدره (١٢٦) ديناراً. في الإضبارة أيضاً دعاوى كثيرة مرفوعة من تجار يهود استدان منهم عبدالكريم قاسم وكما وجد في اضبارته تكرر إجازاته المرضية وزيارات عديدة إلى أوروبا وبالتحديد بريطانيا. [انظر، عماد عبدالسلام رؤوف، الملفة الشخصية للواء الركن=

وفي خلال هذه السنوات الأربع وقعت حوادث مأساوية في الموصل وكركوك^(١) كانت مصحوبة بأعمال قتل واغتيال لكثير من القيادات القومية

= عبدالكريم قاسم (اربيل : مؤسسة زين لحياء التراث الكردي ، ٢٠١٢). ويبدو أن قاسماً كان يعاني من مرض عقلي وعولج أكثر مرة وهذا ما أشار اليه الأستاذ خليل ابراهيم الزوبعي استناداً إلى وثائق بريطانية في حوزته. (أنظر : «١٤ تموز»، موسوعة العراق، ج ٦). المحقق.

(١) في ١٤ تموز عام ١٩٥٩ واثناء الاحتفال بذكرى السنوية لثورة قاسم تصارعت قوى الشيوعية والقومية من العلمانيين الكرد والتركمان والعرب من أجل النفوذ والهيمنة في الموصل وكركوك. إن هذا الصراع الذي افتعلته الأيدلوجيات الواردة إلى العراق مزقت أوصال هذا الجزء من الأمة في كركوك والموصل. وحاول الشيوعيون والقوميون تصوير الصراع بأنه بين الكرد والتركمان في كركوك والكرد والعرب في الموصل. وكشفت الوثائق البريطانية التي اطلعت عليها في لندن بأن الصراع في حقيقته كان تصفية الحساب بين القوى القومية العلمانية اليمينية المتطرفة تدعمها شركة نفط اي بي سي البريطانية في العراق وعبدالناصر والقوى الشيوعية مدعومة من الروس، وأصبح التركمان والكرد وقوداً لها. وعرت الأحداث المأساوية في كل من الموصل وكركوك الوجه البشع والبربري للقوى المتصارعة التي كانت تشدق بالديمقراطية والتقدم والعصرنة. فشهدت مجازر كركوك والموصل عمليات السحل والقتل والفهود وهتك الأعراس وتعليق الضحايا على الأشجار وأعمدة الكهرباء ونكلت بهم أشنع تنكيل. وقد بلغ مجموع القتلى ٣١ في كركوك قتيلاً، من بينهم ٢٨ من التركمان، وكان عدد الجرحى ١٣٠، بينهم ستة أكراد. وأصابت الأضرار ٧٠ دكاناً ومقهى وكازينو ودارين للسينما المملوكة للتركمان. وأدان عبد الكريم قاسم في خطبته الشهيرة في كنيسة مار يوسف ٢٩ تموز/ يوليو ١٩٥٩ تلك الأحداث حيث قال: «إن ما حدث أخيراً في كركوك، فأني اشجبه تماماً، وباستطاعتنا أيها الأخوة، أن نسحق كل من يتصدى لأبناء الشعب بأعمال فوضوية، نتيجة للحزابات، والأحقاد، والتعصب الأعمى. أنني سأحاسب حساباً عسيراً أولئك الذين اعتدوا على حرية الشعب في كركوك». واستخدم قاسم تلك الاحداث للحد من النفوذ الشيوعي في العراق الذي كان يهدد عرشه. . (راجع: حنا بطاطو، العراق - الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية، الجزء الثالث، ص ٢٢٣ ، اربيل دان، العراق في عهد قاسم، الجزء الأول، ترجمة جرجيس فتح الله، دار نيز للطباعة والنشر ١٩٨٩، ص ٢٨٢). وفي السبعينات من القرن الماضي وفي محاولة منه لتطبيق سياسة فرق تسد بين الكرد والتركمان أمر صدام حسين بإقامة نصب تذكارية لضحايا التركمان في هذه المجزرة لتبقى نار الصراع متأججة بين مكونات كركوك. المحقق.

والوطنية وأدت في نهاية المطاف إلى التصارع والتقاتل على السلطة من العراقيين جميعاً على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، وقد يكون من المهم أن أشير إلى أن انضمام المواطن العراقي إلى القوات المسلحة أو أي من مؤسسات الدولة العراقية في تلك المرحلة لم يكن يعني الانتماء إلى الدولة ولا الولاء لرأس النظام وإنما كان يعني محاولة تسخير وتوظيف هذه المؤسسة من مؤسسات الدولة لخدمة الطائفة أو الحزب أو القبيلة التي ينتمي إليها الشخص، وبعبارة أخرى فبدلاً من أن يسهم الانضمام إلى مؤسسات الدولة في بناء مبدأ المواطنة بين فئات الشعب العراقي أصبحت وسيلة لتعزيز الطائفية والقبلية والعنصرية، وهكذا فإن قطاعات كبيرة كانت ترى من حيث الشكل تابعة للنظام، لكنها من حيث الجوهر كانت تحاول تعظيم مكاسب الطائفة التي تنتمي إليها.

وفي هذا السياق أتذكر مقولة الملك فيصل الأول ابن الحسين في زفرة من زفراته وحالة إحباط حاول التعبير عنها، حين قال: «أقول والأسى يملأ نفسي ليس هناك شعب عراقي بمعنى الكلمة، لكن هناك مجموعة من فرق ومذاهب وطوائف وأحزاب يتشددون بالطائفية والمذهبية وليس لهم منها شيء. مياولون للسوء محبون للفوضى مستعدون للانتفاض على أية حكومة مهما كانت»^(١)، هذه الكلمات قد اتفق مع الجزء الأول منها، لكنني أخالفه في الجزء الأخير منها فالميل للسوء وحب الفوضى ليس من طباع العراقيين الثابتة لكن يبدو أن مفاهيم الدولة والحكومة والشعب والوطن كلها كانت وما تزال أقل تأثيراً في النفس العراقية من مفاهيم الطائفة والعشيرة والمذهب والحزب والمصلحة الأسرية، ولم تجر أية محاولات للتنشئة السياسية السليمة لتغيير هذه الحالة، بل إن بعض الأسر كانت تقسم نفسها عن عمد

(١) وردت تلك العبارة في إحدى كتابات توفيق الفكيكي التي قرأتها منذ ما يقرب من خمسين عاماً، وقد حفظت هذا النص منذ ذلك التاريخ. المؤلف .

بين الفئات والأحزاب لتبقى الأسرة في أمان يحمي بعضها بعضاً إذا تغيرت الحكومات.

وعلى الرغم من تمدد الطائفية فإنها لم تكن العامل الأوحيد الذي أسهم في الإطاحة بقاسم فهو بدوره قد أخطأ في عدد من التقديرات المهمة التي أدت إلى زوال نظامه بتلك السرعة. وهي:

أولاً: الظهور بمظهر العداء للآمال والطموحات العربية في الوحدة والتحرر أو في التضامن على أقل تقدير، ودخوله في معارك ضد عبد الناصر والقوميين والإسلاميين ثم الشيوعيين في وقت واحد.

ثانياً: الدخول في صراع مع الملا مصطفى البارزاني وإحياء المشكلة الكردية^(١) بعد أن جاء به وبأتباعه من الاتحاد السوفيتي على أمل أن يقيم توازناً بين دعاة القومية العربية، والداعين إلى وحدة العراق مع الجمهورية العربية المتحدة وبين الفصائل والقوميات العراقية غير العربية، وكان يريد بذلك أن يقدم للعالم مسوغاً لرفض الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة.

ثالثاً: التورط في نزاع مع شركات النفط الغربية وتلويحه باستعمال سلاح التأميم ضدها.

رابعاً: المطالبة بالكويت، واعتبارها قضاءً عراقياً تابعاً لمحافظة البصرة وهو ما جر عليه معارضة خارجية قوية.

(١) في الحقيقة لم تمت القضية الكردية وكانت بمثابة جمره تحت الرماد ولم يكن لقاسم بديل آخر غير التصالح مع الحركة الكردية. ولكن يبدو أن قاسماً بتأثير الضباط القوميين المتطرفين بدا يتراجع تدريجياً عن سياسة الإقرار بالحقوق الكردية. ومن جانبها وقعت الحركة الكردية تحت تأثير شاه إيران وأدى ذلك إلى رفع السلاح ضد الحكومة. ويقر الأستاذ مسعود البرزاني والدكتور محمود عثمان، عضو قيادي في الحركة الكردية وعضو برلمان العراق، بأن الحركة الكردية أسرعت وأخطأت في بدأ المقاومة المسلحة ضد قاسم. (د. محمود عثمان، محاضرة ألقاها في ندوة الذكرى ٤٢ لثورة ١٤ تموز في لندن مساء ١٥ / ٧ / ٢٠٠٠). المؤلف.

خامساً: نزوعه بشكل مطلق نحو الحكم الفردي واعتماده الكلي على القوات المسلحة كان عاملاً آخر زعزع استقرار حكمه.

سادساً: اقدمه على إطلاق سراح خصمه العنيد عبد السلام عارف، بعد أن أمضى أكثر من ثلاث سنوات في السجن محكوماً عليه بالإعدام، فصار يتجوّل ذهاباً وإياباً يتصل بمن يشاء، يشارك الناس في مختلف المناسبات الاجتماعية، وكان لا يكاد يتخلف عن مجلس عزاء أو حفل زفاف في بغداد مستغلاً ذلك في اللقاء بمن يريد أن يلقاهم لتدبير الانقلاب.

هذه العوامل مجتمعة جعلت من قاسم هدفاً دائماً لمحاولات الانقلاب والاعتقال وحين شعر بخطورة هذه المحاولات شرع في اتخاذ بعض المواقف الإيجابية؛ مثل إلقاءه خطبته الشهيرة في صيف (١٩٥٩) في افتتاح كنيسة، وتنديده بالشيوعيين وجرائمهم ووعدته بمحاكمة مرتكبي الجرائم منهم، كما أنه دخل في مساومات متأخرة مع شركات النفط محاولاً الظهور بمظهر القائد الوطني، وخفف من تصريحاته عن الكويت باعتبارها قضاءً سليماً، وأكثر من زيارات المناطق العربية والسنية في بغداد، وأطلق سراح كثير من السجناء، لكن ذلك كله قد جاء متأخراً فلم ينجيه من مصيره المحتوم.

والحقيقة أنّ هناك قوتين أساسيتين نجح قاسم في استمالتها إليه ويمكن اعتبارهما قوى مؤيدة له وهما؛ الطبقات الشعبية. والمعلوم أنّ قاسماً حاول تقريب بعض أبناء الأرياف الذين نزحوا إلى بغداد مثل سكان مدينة الثورة - الصدر الآن - والشعلة وغيرهما ليكونوا مؤيدين وأنصاراً، وكان يخرج منهم متظاهرون لتأييده في المناسبات^(١)، وتعلو أصواتهم بالهتاف له في غدوه

(١) قبل اعدامه بلحظات قال قاسم: «إن التاريخ سيخلد إسمي، إنني قاومت الاستعمار وإنني بنيت للفقراء ٣٥ ألف دار خلال عمر الثورة، وإنني ذاهب ولكن لا أدري ماذا سيحصل بعدي»
أنظر: الزعيم عبدالكريم قاسم، (www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=10654)، ١٣

ورواحه، وقد حاول هؤلاء الوقوف إلى جانبه والانتصار له فلم يستطيعوا، وقد توهم بعضهم بعد اغتياله أنه لم يمت حقيقة، واختلقت قصص كثيرة يدعي أصحابها فيها أنهم شاهدوه في مقام الحسين أو في مقام سيدنا علي في النجف، وحين دفن حاولوا نبش قبره وتهريب جثته فاضطرت حكومة البعثيين إلى ربط الجثة بقضيب ضخم من قضبان السكك الحديدية، ثم ألقوا بها في نهر دجلة سراً.

أما القوة الثانية فهي العناصر الفلسطينية المقيمة في العراق، والمعلوم أنه كان شديد الاعتزاز بدوره في حرب فلسطين، وقد قام برعاية أول قوة عسكرية فلسطينية، فدعا الشباب الفلسطيني المقيم في العراق إلى التطوع في أول فوج فلسطيني عسكري شكله ورصد له ميزانية ملائمة، وقد شجعه على ذلك المفتي السيد أمين الحسيني الذي زار العراق. ولما رأى السيد الحسيني أنه مهدد بالسقوط حاول أن يدعمه فاتصل بالإخوان وطلب منهم تأييده والتعاون معه، مبرراً ذلك بأنه لن يأتي العراق حاكم بمثل نظافته وإخلاصه للقضية الفلسطينية، فأبدوا موافقتهم على ذلك واقترحوا أن أقوم بدور همزة الوصل بينهم وبين قاسم. ولكنني رفضت هذا الاقتراح وأخبرت الدكتور نعمان السامرائي الذي حملته إليّ بأنه اقتراح في غير وقته، فالرجل على وشك السقوط وإذا انضمتم إليه الآن فإن جميع القوى المتحالفة ضده سوف تناصبكم العداء فيما بعد وبعد نجاح الانقلاب ضده حمد لي الإخوان في حينها صواب رأيي.

وبحكم عملي في مكتب الترجمة والتحرير التابع للقيادة العامة التي يترأسها قاسم شخصياً فقد كنت على اطلاع مباشر ببعض المخططات الانقلابية، ويحضرني أنه في الشهرين الأخيرين^(١) من عملي في مكتب

(١) أي النصف الأخير من ١٩٦٢، بعد تخرجي من ضباط الاحتياط بحوالي ثلاثة أسابيع وبعد رفضي القتال في شمال العراق قرر عبد الكريم قاسم تعيني في هذا المكتب لأكون مسؤولاً عن تصحيح ما تصدره مطبعة الجيش باللغة العربية، وقد قضيت بها تسعة أشهر فقط. المؤلف.

الترجمة، حيث اشتدت الأزمات السياسيّة ضد عبدالكريم وكثرت المحاولات الانقلابيّة، جاءني بعض القوميين المتدينين الذين رفعوا شعار «لا عروبة بدون إسلام، ولا إسلام بدون عروبة»، وقالوا لي: نحن قررنا القيام بانقلاب، ونحتاج أن تساعدنا في الوصول إلى مكتب عبد الكريم بأن تستقبل في مكتبك اثنين من ضباطنا وتشير لهما إلى مكتب عبد الكريم وهما سوف يغتالانه، ووعدوني بأنّه في حال نجاحهم سوف يعينوني في أحد المناصب الوزاريّة فيما بعد، ولكنّي رفضت تقديم أي مساعدة لهم وذلك لأنّني قد عاهدت الرجل ألا أشارك في أيّ عمل ضده ولن أنكث عهدي معه، فراحوا يحدثنني عن القوميّة والعروبة والإسلام فزددت تمسكاً بموقفي؛ فتهددوني بأنّه في حال نجاحهم في القضاء عليه لن أعامل معاملة ودية وألمحوا إلى إمكانية معاقبتي غير أنّي لم أغير موقفي^(١).

وفي أعقاب نجاح الانقلاب في شباط/فبراير ١٩٦٣ ضد قاسم ألحقت بمكتب آخر داخل وزارة الدفاع حيث أصبحت مشرفاً على مجلة الجندي العسكرية وكانت بمثابة نشرة متواضعة خاصة ببعض القضايا التي تحمل توجيهات للجنود، هذا بالإضافة إلى إشرافي على قضية التعليم لضباط الصف، حيث كان هناك ركن التهذيب وكان مسؤولاً عن مكافحة الأميّة ورفع مستوى القراءة والكتابة للمجندين، وبقيت في هذا المكتب في الجيش حتى اختلفت مع رئيسي - آنذاك - العميد الركن فيصل شرهان العرس، الذي طلب مني إعداد كتاب عن استمداد الاشتراكية من الإسلام ليتم تدريسه للجنود فرفضت طلبه وأخبرته أنّ الاشتراكية ليست من الإسلام في شيء فبينهما بون شاسع ويتعذر جمعهما، فذهب العميد إلى وكيل رئيس أركان الجيش «محمد مجيد»، وأخبره بأنّي تمردت على الأوامر العسكرية ولا يريد

(١) بعد مضي شهرين شباط/فبراير ١٩٦٣ نجحوا في الانقلاب على قاسم، وجاءني بعضهم، وأخبرني أنهم لا يمكن أن يؤاخذوا إنساناً لأنّه صدق في وعده وحافظ على كلمته وعهده!! المؤلف.

أن يعاقبني بنفسه لثلاثي تتخذ القضية منحى طائفيًا، حيث أن الرجل شيعيًا فتم استدعائي كمذنب إلى مكتب نائب رئيس أركان الجيش، وهنالك تصادف مرور العقيد «عرفان وجدي» قائد الكلية العسكرية، وكان الرجل يعرفني جيداً وبيننا علاقة صداقة. وحين علم بالأمر عرض أن أقوم بتدريس الدراسات الإسلامية في الكلية العسكرية واستصدر قراراً من محمد مجيد بذلك. وهكذا أصبحت مدرساً في الكلية العسكرية حيث درست في الصفوف الدراسية في الكلية كافة، ولم أترك هذا العمل إلا في السادس والعشرين من يونيو/ حزيران عام تسعة وستين وهو اليوم الذي اضطرت فيه إلى مغادرة العراق بعد أن علمت من مصادر موثقة أنه ستم تصفيتي جسدياً من البعثيين خلال أيام.

انقلاب ٨ شباط

وقع الانقلاب في الثامن من فبراير/ شباط عام (١٩٦٣) وقد صادف نجاحاً بخلاف المحاولات الانقلابية السابقة عليه، وذلك لأن القائمين عليه كانوا من القوى السياسية المناهضة لِقاسم كافة والذين استطاع البعثيون استدراجهم للمشاركة وبعضهم شارك تحت تأثير الخوف، ورغم ذلك فقد تصدر البعثيون المشهد السياسي^(١) وأفلحوا في إقصاء العناصر من التيارات

(١) العناصر البعثية التي تصدرت المشهد هي: أحمد حسن البكر، وصالح عماش، وظاهر يحيى، وحرادان التكريتي، ورشيد مصلح، وعلي صالح السعدي، وطالب شبيب، وحازم جواد، وآخرون. (المؤلف). حيث أسند الانقلاب لعبد السلام عارف رئاسة الجمهورية تكريماً لنضاله الطويل ومواقفه الوطنية العروبية. وإستمر عبدالسلام رئيساً للجمهورية، لغاية ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٥، حين قاد بنفسه حركة تصحيحية ضد تصرفات البعثيين، بعدما تفاقمت انتهاكات الحرس القومي، وإعتداءاتهم على المواطنين وتحديدهم لسلطة القانون وتجاوزاتهم التي فاقت حدود الصبر (كما وصفها عارف في بيان حركة ١٨/١١)، وبعد أن وصلت النزاعات الحزبية الداخلية حد استخدام الطائرات الحربية العراقية يوم ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٣ من قبل بعض الضباط البعثيين (منذر الوندواوي وجماعته) لقصف القصر =

الأخرى كلها ولم يضم المشهد من غير البعثيين سوى عبد السلام عارف الذي أصبح رئيساً للجمهورية.

وبالإضافة لهذا يمكن القول إنَّ نجاح الانقلابيين في التخلص من قاسم وإعدامه في وقت مبكر نسبياً - في العاشر من شباط - شكل عنصراً آخر من عوامل نجاح الانقلاب، والمعلوم أنَّ قاسماً حين تم تنفيذ حكم الإعدام، كان يتوقع من عبدالسلام عارف أن يتدخل لإنقاذه اعتماداً على أنه كان قد سبق له أن أصدر حكماً فيه بإطلاق سراح عارف من محبسه والعفو عنه، رغم أنَّ إعدامه كان مطلباً للشيوعيين والقاسميين، ولذلك صاح على عارف وهم يهيئون للإعدام قائلاً: لقد عفوت عنك يا عبد السلام وتركتك لتتمتع بحياتك وحرّيتك، فإن شئت أن ترد الجميل فأنا مستعد لمغادرة العراق والعيش في الخارج، ولكن عارف أجابه بأنَّ الأمر ليس بيده وإنما هو بيد القادة البعثيين، فجلس عبد الكريم ولم ينطق بعدها بكلمة أخرى إلا حين جاءوا لربط عينيه قبل إطلاق الرصاص عليه، فقال: أنا عسكري لا تربطوا عيني وجلس بثبات شديد فأطلقوا عليه الرصاص. وبعد التأكد من وفاته قام أحد المجندين ووضع حذائه العسكري فوق رأسه في مشهد مهين لقائد عسكري، بل هو مهين لكل عراقي! بل لكل إنسان. الحقيقة أنني وجهت اللوم إلى عبد الغني الراوي - فيما بعد على هذه الإهانة - وكان رئيساً للمحكمة العسكرية التي أصدرت قرار الإعدام، وكان رده إنَّه ما كان في مقدور أحد أن يوقف الإعدام أو يمنع تلك الإهانة التي لحقت بجثة قاسم الذي انفرد بحكم العراق ما يزيد عن أربعة أعوام^(١).

= الجمهوري ووزارة الدفاع بالصواريخ، فاضطر العسكريون بزعامة عارف ومن معه إلي القيام بحركة مسلحة لتصحيح الأوضاع، وإقامة نظام حكم وطني بعيد عن التحزب. (أنظر: أكرم عبدالرزاق، «صفحات مطوية من أمس القريب»، جريدة الزمان: التاريخ ٢٨ / ٧ / ٢٠٠٥). المحقق.

(١). يروي عبدالغني الراوي في مذكراته الساعات الاخيرة من حياة عبدالكريم: «كنت رئيساً=

إنَّ إعدام قاسم بالكيفيَّة التي تم بها يثير التساؤلات حول الآثار النفسيَّة التي قد يخلفها هذا المشهد في نفوس الناشئة العراقيين وهي ترى الرجل الذي كانت ألقابه لا تقل عن بضعة أسطر، والذي مر من تحت قدميه ذات يوم ما يزيد عن مليون عراقي يهتفون باسمه يصبح جثة مهانة ملقاة على الأرض، فأَيُّ قيم يمكن أن يحتفظ بها صبيٌّ عراقي حين يقارن بين المشهدين، وكيف يمكن أن يتصور معاني سامية للدولة وللحاكم والحكم والقائد والقيادة!! أقول والأسى يملأ نفسي: إنَّ الشعب العراقي قد يكون بحاجة إلى إعادة تأهيل نفسيّ جماعيّ في مصحات نفسيَّة ليمحو آثار تلك المشاهد الأليمة من الذاكرة العراقيَّة.

إنَّني الآن وبعد أن أفضت تلك الشخصيَّات - كافةً - إلى ربِّها أستطيع القول: إنَّ عبد الكريم قاسم سواء أكان مجنوناً بداء العظمة، أو مصاباً

= للمحكمة برتبة عميد ركن وكان معي خالد مكي الهاشمي عقيد ركن وكان عضو اليسار عبدالكريم مصطفى نصرت عقيد ركن. كنا في الغرفة المخصصة للحفلات الغنائية أو التسجيل... كانوا أربعة: عبدالكريم قاسم وطه الشيخ أحمد وفاضل عباس المهداوي وكنعان الجده رحمه الله.. جاء صالح مهدي عماش وهو تلميذي في الكلية العسكرية. وجاء علي صالح السعدي سكرتير حزب «البعث»، ولم أكن أعرفه، وبدأ يشتم عبدالكريم قاسم ويهينه. غضبت.... ثم دخل عبدالسلام عارف. وقف قاسم ووقف عارف. بينهما مسافة متر ونصف، وأنا على مقربة منهما. قال قاسم لعارف: «أنا كان باستطاعتي سابقاً ان أعدمك ولم أفعل». فردَّ عارف: «أمرك ليس في يدي بل في يد الجماعة أي المحكمة». كانت هذه آخر جملة. ماذا قالوا قبل ذلك؟ قال قاسم لعارف: «دعني أخرج ولو إلى البرازيل أو الارجننتين كما خرج أديب الشيشكلي». فردَّ عارف: «أمرك ليس في يدي بل في يدهم وأشار إلينا». (انظر، غسان شربل، ٩ - مذكرات، الحياة، ٩/ ٧ / ٢٠٠٣، رقم العدد ١٤٧١٦: يبدو أن البعثيين هم الذين حسموا أمر قاسم وكانت مسألة المحكمة مسألة صورية. [انظر، علي كريم سعيد، عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، مراجعات في ذاكرة طالب شبيب (بيروت: دار الكنوز، ١٩٩٩)، ص ١٠٧]، ويضيف هاني فكيكي، أن أعضاء المكتب العسكري للبعث وعبدالسلام عارف هم الذين قرروا حكم الاعدام وليس الراوي، (أوكار الهزيمة، ص ٢٧٩ - ٢٨٠). المحقق.

بفصام الشخصية أو بأي شيء آخر كان رجلاً نظيف اليد لم يتلوث - فيما أعلم - بمال حرام، ولم يستول على مال عام، حيث كان بشهادة شيعي محمد فؤاد الألوسي الذي كان يعرف عبد الكريم يتصدق بربع مرتبه على فقراء «باب الشيخ» في بغداد قبل انقلاب تموز، وكان يدفع ثمن الطعام الذي يأكله أو يقدم إلى ضيوفه في وزارة الدفاع من راتبه، وحين كُلفت مع اثنين آخرين من الضباط بجرد ما تركه بعد إعدامه في مكتبه وشقته لم نجد له حسابات مصرفية ولا ممتلكات، ووجدنا ثلاثة دنانير وبضعة دراهم في خزانته فقط. أما سائر الهدايا الثمينة التي أهديت له أثناء حكمه فقد كان يضعها في متحف صغير تحت مقر القيادة يزوره بعض كبار الزوار، وقد امتدت إلى موجوداته في الأسبوع الأول أيدي كبار الانقلابيين ولم نستطع حمايته باعتباره من أموال الدولة وحتى رتبته العسكرية الذهبية أرسل صالح عماش و طاهر يحيى^(١) مرافقيهما للاستيلاء عليها!! ولما لم نستطع حمايته

(١) طاهر يحيى محمد عكيلي ولد العام ١٩١٣ في مدينة تكريت فلقب بالتكريتي . وفي أيام الملك فيصل الأول ادخل مولود مخلص، الشخصية المنتفذة، ابناء تكريت مثل طاهر يحيى وأحمد حسن البكر ورشيد مصلح وآخرين من هذه البلدة ضباطاً في الجيش العراقي وعن صفاته أيضاً يقول القيادي البعثي ووزير الخارجية عام ١٩٦٣ طالب شبيب (لم يكن يستطيع كتابة سطر واحد) ويعتقد العديد أنه كان شخصاً عادياً ولم يتصف بصفات الذكاء والقيادة، ولم يتميز عمله في كل المناصب التي تبوأها بل كان في بعض الأحيان دون المستوى المطلوب، فلم يستطيع أن يرتقي بمستوى مديرية الشرطة العامة. أُحيل على التعاقد بعد حركة الشواف في ٨ آذار ١٩٥٩، وقد ساهم يحيى في انقلاب ٨ شباط فكافأه عبد السلام عارف بتكليفه بتشكيل الوزارة ثلاثة مرات لكنه أخفق في مهامه خاصة قراراته الاشتراكية (أنظر، محمد علي سعيد، عراق ٨ شباط، ١٩٦٣، ص ١٣٧). بعد الانقلاب العسكري في ١٧ تموز ١٩٦٨ تم نقل يحيى إلى معتقل قصر النهاية وهناك كانوا يعقدون جلسات للتسليم من قبل المحققين مع المعتقلين، حيث كان يؤتى به ويربط حول وسطه حزام ليبدو وكأنه راقصة ويطلبون منه الرقص ويقوم بالمهمة أمام المعتقلين الآخرين، أما البعثيون المسؤولون عن قصر النهاية فيضحكون!! فأطلق سراحه فاعتكف بداره حتى الممات: «سبحان الله حتى - الشرايط - تسافر خارج العراق وأنا ممنوع من السفر من أجل العراق»، وانطوى يكبد علاقته حتى فارق الحياة يوم =

فقد قررنا الاستقالة من اللجنة.

أما أخوه حامد قاسم وثوراه، فقد حاول الانتهازيون من الرأسماليين المعروفين استغلاله؛ فشاركوه في بعض الصفقات. على أمل الحصول على تيسيرات وتسهيلات من الدولة فأفسدوه. وحين علم عبد الكريم بذلك طرد أخاه، ومنعه من دخول وزارة الدفاع، وحذر أعضاء مجلس الوزراء من منحه أية امتيازات.

والذي يسترعي الانتباه في مجريات الحوادث آنذاك أن البعثيين الذين ثاروا ضد الشيوعيين وضد قاسم لم يختلفوا عنهم في حقيقة الأمر في ممارسة العنف والتنكيل فقد سلكوا مسلكهم نفسه، ويبدو أن الذي حدث كان مجرد عملية استبدال وإحلال؛ فقد حل البعثيون محل الشيوعيين وحل عارف محل قاسم وظلت السياسات والممارسات دونما تغيير فكأن عرائس المسرح هي التي تتغير أما محركوا العرائس فكانوا على حالهم. وعلى هذا بدأ البعثيون سياسة التنكيل بخصوصهم والانتقام من مخالفيهم، حتى ليصدق فيهم قول الشاعر:

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل عاصفة سكونا

فبدأ السارق يسارع بالسرقة، ومن يدمر يتلذذ بالتدمير، وبدأت الوظائف توزع والرتب العسكرية تمنح لأعوان الحزب وأنصاره. وبدأت موجة جديدة من الأعمال الانتقامية ممن كانوا ينتمون إلى فئات الشيوعيين والمقاومة الشعبية والشبيبة الديمقراطية ومؤيدي عبد الكريم قاسم. وتشكل تنظيم بعثي يتألف من ميليشيات مسلحة وسمي «الحرس القومي» لم يكن يختلف كثيراً عن «المقاومة الشعبية» في مرحلة المد الشيوعي في حكم عبد الكريم قاسم

= ١٩٨٦/٥/١٩ ودفن في مدينة تكريت.. ولم يبق من أثره سوى اللقب الذي نعته به

المواطنون أبو فرهود. («أشخاص كما عرفتهم : الفريق طاهر يحيي»

المحقق). (<http://www.alkomi.org/habob4.htm>)

- وترأسه ضابط بعثي هو «منذر الوندأوي»، ومنحوا بعض «أشقياء الحزب أو الفتوات أو القبضيات» رتباً عسكريّة، وسلموهم مواقع قياديّة في هذا الحرس الذي صار أفراده شبه مطلقي اليد في مصائر الناس، فاعتُقل الآلاف وعذب كثيرون، وقتل البعض بدون محاكمة.

وحين بلغ عدد المنتسبين للحرس القوميّ ثلاثين ألفاً أو يزيدون، وبلغت عمليّاتهم العنيفة حدّ الإسراف في القتل والانتقام، على نحو دخلت معه البلاد في حالة فوضى جديدة بدأ عبد السلام يتململ، ويعمل على تحريض بعض البعثيين المدنيّين والعسكريّين ضد الحرس القوميّ، ويهيئهم لاحتواء ميلشياته وتحجيم دورهم، وفي الوقت نفسه عمل على تجنيد القوميّين والمستقلين؛ وباختصار لقد شرع عارف في التهيؤ للانقلاب على شركائه البعثيين. والواقع أنّ عارف كان رجلاً يتقن تدبير الانقلابات العسكريّة؛^(١) بل لا أبالغ إذا قلت إنّه يهواها، وقد دعي مرة لإلقاء كلمة في تجمع طلب منه أن يخاطبه وهو رئيس للجمهورية - فقال «لو طلبتم مني القيام بانقلاب لكان أسهل عندي من إلقاء خطبة»!!

علاقتي بعبد السلام عارف

إنّ علاقتي بعبد السلام عارف ذات جذور فقد التقيته عدة مرات وكانت المرة الأولى إبان حكم قاسم، ذهبت إليه بصحبة شيخي محمد فؤاد الألوسي بعد أن كثرت الكتب الشيوعيّة وملاّت أرصفة شوارع بغداد، وكانت أسعارها رمزية وطبعاتها فاخرة وحملت عناوين إلحاديّة مثيرة للتساؤل مثل: أين الله والله في قفص الاتهام؟ وهذا كله كان يشير إلى أنّ نفوذ الحزب

(١) يقول تقرير لسفارة بريطانيا في العراق أن عبدالسلام قياساً إلى عبدالكريم أقل ثقافة واقل مرونة بل ولم يكن جيداً حتى في الانقلابات العسكريّة وأن انقلاب ١٨ تشرين ١٩٦٣ لم يكن من صنعه بل من صنع طاهر يحيى وغيرهم. (أنظر ، السفارة البريطانية إلى قسم الشرق الاوسط ١٩٦٦ 29 Jan 186743/371 FO) المحقق.

الشيوعي يتعاضم. كان لقاءنا بعبد السلام عارف قبيل إقالته بأربعة أيام في الثامن من سبتمبر ١٩٥٨ وأقيل في ١٢/٩/١٩٥٨ ولم نكن نعلم أنه في موقف ضعيف وأن قاسماً بتفاهمه مع الشيوعيين واليسار صار أقوى منه وأقدر على التضحية بعلاقته برفيقه، ذهبنا إليه وكان يشغل منصب وزير الداخلية ونائباً للقائد العام في مكتبه بوزارة الداخلية وعاتبناه على انتشار الكتب الشيوعيّة، كان عصبياً ويبدو أنّ الصراعات بينه وبين خصومه كانت على أشدها، ولم يكن الرجل ودوداً معنا، وتحدث مع الشيخ حديثاً يمكن اعتباره متجاوزاً لحدود اللياقة، وكنت شاباً لا يستطيع أن يرى شيخه يستقبل بهذه الطريقة ويخاطب بشكل غير لائق، دون أن يثار له فقلت لعبد السلام: «لا أعرف كيف يصبر زملاؤك عليك وعلى وجودك في قمة السلطة وأنت تتعامل معهم بهذه الطريقة؟!» فلم يجب الرجل، وعندئذ أنهى الشيخ فؤاد اللقاء وقرر المغادرة فتبعنا عبد السلام عارف مودعاً إلى باب مكتبه وهمهم كالمعتد!! وودعنا.

أما لقائي الثاني معه فقد كان أثناء تشييع جنازة الشيخ الألوسي والتي حضرها عارف وكان لا يزال في مرحلة الإعداد للإطاحة بقاسم، ثم حضر بعدها لأداء صلاة الجمعة في مسجد الحاجة حسيبة الذي كنت أعمل خطيباً له ولكنني عندما التحقت بالخدمة العسكرية أمرت بالتوقف عن الخطبة، وما إن رأيت عارف بين المصلين حتى أدركت أن ذلك جزء من مخططه للإطاحة بقاسم، ولذلك قررت أن ألقى الخطبة بنفسي مخالفاً القانون العسكري.

وفي الخطبة التي ألقيتها واستمع إليها عارف انتقدت ما كان قائماً من أوضاع في ظل حكم عبد الكريم قاسم الذي كان قد فقد كثيراً من قواعده الشعبيّة، وصار يقود البلاد بمفرده تقريباً، بمساعدة أجهزة مخترفة كلها لا يخلص له فيها إلا عدد محدود، وأشارت إلى أن العراق بلد منكوب بحكامه لا حظ له في الحصول على من يقدر هذه البلاد وتاريخها وما ينبغي أن

تحظى به من عناية، وكانت الخطبة جامعة فيما يتعلق بنقد الأوضاع وإعطاء تطلعات للخلاص والتغيير. وقد تأثر عارف بالخطبة وجاء إلى بعد انتهاء الصلاة وصافحني بحرارة وهمس في أذني بأن الله كريم وسيتغير كل شيء نحو الأفضل، وتأكدت حينها أنه يعد فعلياً للانقلاب على قاسم، عندئذ خاطبته قائلاً: إنَّ الله تديباً اختص بعلمه في إنقاذك من الموت، وألهم عبد الكريم قاسم إطلاق سراحك، وإنَّ ما مررت به - كلّه - جزء من اختبار وامتحان إلهي لك. وقد أخبرني الأخ عبد الرحمن الإرحيم^(١) بعد أن توثقت صلاتنا وتعاونًا في إطار «حركة الأنصار»^(٢) أنّ عارفاً وهو صديق قديم له قد

(١) ولد عبد الرحمن الإرحيم في عام ١٩١٨ من عائلة موصلية عريقة في العلم والنسب. كان متفوقاً على أقرانه من الطلبة منذ نعومة أظفاره ودخل كلية الهندسة في بغداد، ولكن فصل منها لأسباب سياسية. ثم دخل السيد عبدالرحمن أرحيم في عام ١٩٤٣ السجن لمدة ١٠ أشهر بتهمة الانتماء إلى تشكيل سياسي وعسكري مناويء معارض، وعمل لفترة في التدريس في مدرسة الفيصلية ومن ثم مارس التجارة وصار له نفوذ بين التجار في بغداد وذلك لاستقامته وعفته. حصل على بعثة للدراسة في أمريكا ولكن رفضت الحكومة الأمريكية اعطائه سمة الدخول، وذلك لكونه من معارضي النظام الملكي ومواقفه الوطنية. توفي في ١٠ كانون الأول ١٩٩٢. (إيمان، ص ٢٧، فيصل حسون، شهادات في هوامش التاريخ، تقديم نجدت صفوت، ٢٠٠، بيروت، دار الوراق، ص ٩٦ - ٩٧) وتزوج كريمته أم صديق الدكتور أنس صديق الشيخ علي الشخصية الأكاديمية ورئيس فرع لندن في المعهد العالمي للفكر الاسلامي، والذي حصل مؤخراً على وسام «الفارس» من ملكة بريطانيا لجهوده العلمية والدعوية لنشر رسالة السلام والوثام في المجتمع البريطاني وهو أعلى وسام مدني في المملكة. المحقق.

(٢) تنظيم الأنصار تنظيم قمنا بتأسيسه بناء على اندماج المنظمة العسكرية الإسلامية بقيادة الشهيد محمد فرج وعبد الغني الراوي والفقير إليه تعالى بمجموعة الموصل التي كان محورها اللواء عبد الرزاق السيد محمود، والأخ عبد الرحمن الإرحيم، وآخرون، منهم: بشير الطالب، وحسين الزرقي، وداود الصائغ، وعدد آخر من أصدقاء الشخصيات المذكورة، وذلك لتوسيع القاعدة والوفاء بمتطلبات التحرك بعد أن تعقدت الأمور ولم يعد تنظيم المنظمة العسكرية الإسلامية أو تنظيم مجموعة الموصل تحقق أي إنجاز إذا حاول أي طرف من هذين الطرفين لوحده. فبعد لقاءات عديدة تقرر الاندماج وإعادة تشكيل قيادة مشتركة كان فيها عبد الرحمن=

ذكر له إعجابه بي وبمنهجي في خطبة الجمعة، ونصح له بأن يصلي الجمعة في مسجدي.

ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي يصلي فيها عارف في مسجدي فبعد أن صار رئيساً للجمهورية حضر ذات جمعة لأداء الصلاة، وكنت في تلك الفترة ضابط احتياط، متوقفاً عن إلقاء الخطبة - كما أشرت - ، ومع ذلك حين جئت إلى المسجد لأداء الصلاة، وكان هناك الشهيد خليل سبع - يرحمه الله - وكيلاً عني في أداء خطبة الجمعة، ووجدت أن الحرس الجمهوري قد انتشر في المسجد، واحتل السطوح والمداخل سألتهم فقالوا: إن السيد الرئيس سيصلي الجمعة في هذا الجامع ارتديت ملابسني، واقترحت على الأخ خليل أن أخطب الجمعة بدلاً عنه، حيث أنهم لن يستطيعوا معاقبتي على ذلك؛ لأن ذلك سوف يعتبر إساءة للرئيس.

ولما حان وقت الخطبة ارتقيت المنبر، وبدأت خطبتي التي استعرضت فيها تاريخ العراق ومعاناة العراق والعراقيين عبر العصور بشكل موجز حتى بلغت عهد عبد السلام نفسه. ثم بدأت بالتنديد بعقائد البعثيين وشركاء عبد السلام في السلطة، وشرحت عقيدة الحزب ونشأته. وأن العراقيين ما كانوا ينتظرون أن يعود إليهم عبد السلام من السجن إلى سدة الرئاسة بهؤلاء الشركاء المتشاكسين، الذين لا يمكن أن يأتوا لهذه البلاد إلا بمثل ما جاء به رفاقهم الشيوعيون في عهد سلفه عبد الكريم قاسم، ولم يكن يتوقع منه مثل ذلك، ثم تلوت قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ

= الإرحيم، وبشير الطالب، وعبد الرزاق السيد محمود، وطه جابر وعبد العزيز توفيق، وعبد الغني الراوي ومحمد فرج الجاسم، وهناك كُرَّاس صدر مطبوعاً بحجم كتب الجيب يشتمل على نظام تلك الحركة المشتركة بعنوان «ميثاق حركة الأنصار». المؤلف.

تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأُضْبِحُوا خَاسِرِينَ ﴿المائدة: ٥١ - ٥٣﴾.

ثم جعلت القسم الأخير من خطبتي في تذكيره بمحاكمته وسجنه، وكيف أسيئت معاملته وبصق وصفني طاهر عليه وهو في قفص الاتهام، وكيف أنقذه الله تعالى وجاء به من السجن إلى كرسي الرئاسة، وهو قادر على أن يعيده إلى السجن مرة أخرى، أو إلى القبر، وكنت في الخطبة - كلها - أناديه باسمه مجرداً من دون ألقاب.

وكان الرجل يبكي بكاءً شديداً، ومعه سائر المصلين وقد ألهمني الله في تلك الخطبة أفكاراً لم تخطر ببالي، ولم أهيئها بنفسي ولكنه - سبحانه وتعالى - أجراها على لساني. وقد استغرقت الخطبة ما يزيد عن ساعة كاملة وبعد أن فرغت من الصلاة، أقبل الرجل وما زال أثر البكاء ظاهراً على وجهه فقبلني وعانقني؛ وقال: «اطمئن فإن التغيير قادم، واصبر».

وقد بلغني فيما بعد أن البعثيين استأذنوه في اعتقاله فرفض بشدة، وأخبرهم بأن أي شيء يفعلونه ضدي لن يتركه يمر بدون عقوبة لأنني برأيه لم أفعل ما أستحق عليه ذلك.

وحين أستعيد تلك الفترة أشعر بأنني أخطأت إذ لم أقترب من الرجل في تلك المرحلة وأوثق علاقتي به، ولكنتني ترددت كما ترددت في الاستجابة لعرض عبد الكريم من قبله في تأسيس جمعية دينية بل إن الاستجابة لعبد السلام كانت أولى فالرجل متدين في شخصه، ومحِب للإسلام، والتزامه بالإسلام^(١) يفوق التزام عبد الغني الراوي الذي تعاونت

(١) كان عبد السلام عارف في شبابه وقبل دخوله الكلية العسكرية أحد الشباب الذين تأثروا بحزب الاستقلال وفكرة القومية العربية وأطروحاته في الثلاثينات من القرن الماضي، لكنه كان معتزلاً بأنه ينتمي إلى قبيلة عربية هي: قبيلة الجميلة وأبوه يرتدي العمامة ويؤم المصلين في أحد=

.....

= المساجد وكان كثيراً ما يفخر بأنه ابن عالم من علماء الشريعة، ولم يؤثر عنه أي انتماء للتيار الإسلامي بكل فصائله، لكنه كان يصلي ويصوم ويعلن التزامه الديني. فمكوناته النفسية تدور بين: الانتماء القبلي، والسني، والقومي. ولما برز (عبد الناصر) صار عبد الناصر بمثابة المثل الأعلى له شأنه شأن الكثيرين من الضباط العرب، وحين تصدّر قيادة انقلاب الرابع عشر من تموز كان يحمل ذلك المزيح كله وكانت نفسيته تتألف من ذلك الخليط العجيب، وكان يُتوقع منه أن يعلن الوحدة الاندماجية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة عند زيارته الأولى لعبد الناصر في دمشق لجمهورية العربية المتحدة التي كانت تتألف من: الإقليم الجنوبي مصر، والإقليم الشمالي سوريا، وكان يريد أن يضم العراق إليها في يوم (١٧) تموز أو (١٨) تموز عام ١٩٥٨. لكن (عبد الناصر) أصر ألا يعلن ذلك إلا بعد استفتاء العراقيين على الوحدة كما استفتي المصريين والسوريين، ثم اختلف مع (عبد الكريم قاسم) ونُفي إلى بون سفيراً في الثاني عشر (١٢) من سبتمبر عام ١٩٥٨ وانتهت بنفيه فكرة الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، ولما عاد سراً من بون اعتقل وحكم عليه بالإعدام بتهمة محاولة اغتيال (عبد الكريم قاسم) في مكتبه عندما التقيا هناك. ولم يُعرف (عبد السلام) بميول إسلامية، وكان لا يخفي كراهيته للشيوخ (الصوف) المراقب العام للإخوان في العراق ولا للإخوان المسلمين». (رسالة صاحب السيرة إلى المحقق). ولكن نجد لدى رئيس الحزب الإسلامي العراقي في بداية الستينيات، الشّيخ نعمان السّامرائي، وهو من المعاشرين لعبد السّلام ثم شقيقه عبد الرّحمن عارف، ما يفيد أن الرئيس كان ملتصقاً بالإخوان، ومنه أن عبد السّلام كان دعا الإخوان لمشاركته في الثّورة ضد عبد الكريم قاسم، لكن المبعوث، وهو عديل الرئيس، لم يبلغ الإخوان (السّامرائي، مذكرات، ص ٢٧٣ - ٢٧٤). ويؤكد صالح عبدالله السرية هذا ويقول بدوره استمر انتماء عارف إلى الإخوان إلى عام ١٩٥٦ (انظر، «حادث الكلية الفنية العسكرية» (http://www.atawell.com/showthread.php?p=47997) ويقال أيضاً أثناء سجنه في ١٩٥٩ كان كتاب في ظلال القرآن لا يفارقه وأقرب شيء إلى قلب عبدالسلام وأنيسه الوحيد. (أنظر، رشيد الخيون، ١٠٠ عام من الإسلام السياسي في العراق، ٢ السنة، المسبار، ٢٠١١، ص ٧٨). وفي رسالة لصاحب السيرة إلى المحقق يقول «فكان الإخوان يرسلون (نعمان السامرائي) إلى عبد الرحمن الإرحيم بين حين وآخر إذا حَزَبهم أمر في إعادة أحد منهم إلى منصبه أو وظيفته أو إنصافه يرجون عبد الرحمن آل الإرحيم أن يكلم عبد السلام في ذلك. وقد أخبرني الأخ عبد الرحمن الإرحيم أن عبد السلام كان يشعر بأسى حين ما يطلب منه شيء=

في عمل الكثير لأحله محل عبد السلام عارف. ولم أكن في تلك المرحلة على صلة بالأخ عبد الرحمن الإرحيم، فلو كنت أعرفه لربما تغيرت الأمور. ولذلك فإنّ الدرس الذي أدركته بعد حين هو ضرورة دراسة سلوك ونفسيّات وفكر والتزام من نتعاون معهم، وأن لا نكتفي بالمظاهر الخارجيّة، ولا نتأثر بالصلوات الشخصيّة، بل نأخذ بموازين «الجرح والتعديل والتوثيق والتضعيف» التي حفل القرآن بها».

= من هذا الأمر ويقول للإرحيم: ألا ترى معي أنّ هؤلاء يتصرفون كمن ليس له رسالة أو هدف عام أو سامي فكل ما يهمهم أفراد ينتمون إليهم، كيف يحققون مصالحهم، وكيف يخدمونهم. وينقل الإرحيم عن عبد السلام قوله «كنت أتوقع منهم أن يأتوا إليّ بمقترحات تتعلق بفلسفة الحكم، وتصحيح النظام، وإعادة بناء الدولة إسلامياً بدل من تلك المطالب الصغيرة الشخصية». وحين قرر عبد الناصر إعدام (سيد قطب) طلب عبد الرحمن آل الإرحيم من عبد السلام السفر إلى القاهرة وإقناع عبد الناصر بأمرين اثنين، أولاً: العفو عن سيد قطب، والسماح له بالهجرة إلى العراق، ومنحه حق اللجوء السياسي في العراق؛ ليوصل رسالته، ومهمته في خدمة القرآن وافة عامة، والنقطة الثانية: أن يقنع الرئيس عبد الناصر بالمحافظة على (أنور السادات)، وعدم السماح (لعلي صبري) بتنحيته، وإبعاده فإنّ أنور السادات المتدين الوحيد بين المسؤولين، وحرام على عبد الناصر أن يفرط فيه، أو يبعده؛ لأن ذلك سوف يتيح المجال للشيوخ أمثال (علي صبري) ومجموعته، ويجعلهم فيما بعد هم الورثة لعبد الناصر؛ ذلك قد يؤثر على مصير الإسلام في مصر. وجاء عبد السلام إلى القاهرة، وتكلم مع عبد الناصر بشأن سيد قطب، فرفض عبد الناصر رفضاً قاطعاً الاستجابة لرجائه في هذا الموضوع، وقال له: اطلب أي شيء آخر إلا هذا، حتى إنّ عبد السلام قال له ضاحكاً: سيادة الرئيس خلينا نعقد صفقة، أنت، وأنا. أنا آخذ منك الإخوان المسلمين كلهم، فكل من ثبت لك ولأجهزتك أنّه إخواني أرسله إليّ في العراق؛ على أن أرسل لك جميع الناصريين عندي. وباءت محاولته لانتفاذ سيد قطب بالفشل فانتقل للمطلب الثاني ألا وهو: موضوع السادات.... مع ذلك أصر عبد السلام على عبد الناصر أن يستعيده، ويضعه إلى جواره، وقال له: إن شئت أذهب أنا إلى زيارته في ميت أبو الكوم، وأعود إليك به. فقال له: لا داعي يا عبد السلام أعدك أنني سأعيده رغم رأبي فيه. يبدو أن الجدل في علاقة عبد السلام مع الإخوان جدلاً كبيراً وبحاجة إلى دراسة وافية لحسمه. المحقق.

والحقيقة أنّ عارفاً بدا مطمئناً إلىّ خلال هذه الفترة وأذكر أنني التقيته قبيل قيامه بانقلاب تشرين ضد البعثيين في منزل عبد الغني الراوي الذي ذهبت لتهنئته بسلامة الوصول من الحج، وتصادف أن عارفاً وأحمد حسن البكر^(١)، وغيرهما من رجال الدولة أتوا لزيارته مهنيين، فجلس بجانبني وأخبرني هامساً بأذني أنه يريدني أن أكون معه ومن معي من الإسلاميين، فأخبرته أنّه ليس معي إلا الله وسرعان ما اختتم حديثه بعد أن لاحظ انتباه الحضور لحديثنا الجانبي.

ولم تكد تمضي أشهر قلائل على لقائنا بمنزل الراوي حتى قام عارف بانقلابه على البعثيين وإزاحتهم من السلطة في الثامن عشر من تشرين الثاني نوفمبر ١٩٦٣؛ وأمر أن تبث خطبة الجمعة الأولى بعد الانقلاب من جامع الحاجة حسبية على أن ألقى الخطبة بنفسي، فحضر العقيد نهاد فخري مسؤول الإذاعة والتلفزيون إلى منزلي وأبلغني برغبة الرئيس، وطلب مني أن أعد خطبة مكتوبة وأقدمها له في صباح الغد. فرفضت طلبه وأخبرته أنّ خطبتي ستكون مرتجلة، فقام بالاتصال هاتفياً بعارف وأخبره برفضه كتابة الخطبة واقترح أن يقوم شخص آخر بإلقاء الخطبة، ولكن عارف رفض اقتراحه

(١) رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر ولد في تكريت وتخرج من مدرسة المعلمين الابتدائية معلماً في إحدى القرى الريفية ثم التحق بالكلية العسكرية بواسطة مولود مخلص، من دون أن يستوفي شروط القبول فيها، فلم يكن حاصلاً على البكالوريا، ليخرج منها ضابطاً وتنقل خلال عمله في أنحاء مختلفة من العراق، وبعد تخرجه من الكلية العسكرية لم يعين قائداً لوحدة عسكرية، بل عمل ضابط إعاشة وإدارة وتموين. عين بعد انقلاب عام ١٩٥٨ عضواً في إحدى المحاكم العسكرية ثم أحيل على التقاعد. انضم إلى حزب البعث عام ١٩٦١. وصار رئيساً للوزراء بعد انقلاب عام ١٩٦٣. أعلن اعتزال السياسة بعد انقلاب عبد السلام عليه ثم عاد وتولى رئاسة الجمهورية بعد انقلاب عام ١٩٦٨. قال عنه عبد الكريم فرحان في كتابه **حصاد ثورة**، الصفحة ١٢٤ «لم يكن ضابطاً لامعاً، فهو من درجة عسكرية أدنى لكنه أعتقل ورفعته صلته بحزب البعث وعلي السعدي». ومع حكم البكر انفتح الباب على مصراعيه لتعيين الأقراب والاصهار وابناء العشيرة والبلدة والاصدقاء». المحقق.

وأصر على أن تنقل شعائر الجمعة من مسجدي وأن أقوم بإلقاء الخطبة، فعاد إلي العميد نهاد وأبلغني بموافقة الرئيس أن تكون الخطبة مرتجلة وأنه أمر بترك الأمر لتقديرِي.

وعلى هذا ألقى الخطبة التي عجلت بالمفاصلة بين أحمد البكر والعسكريين البعثيين. وتناولت فيها الطبيعة الدموية للحرس البعثي آنذاك، والجرائم الكثيرة التي ارتكبت من قتل وسجن وتعذيب دون محاكمات عادلة، وانتقدت استقطاب المجرمين ومنحهم السلطة من خلال انتمائهم للحرس البعثي، والإخلال بكل الوعود التي وعد الشعب بها في انقلابي تموز ٥٨ وشباط ٦٣، وحذرت من أن ذلك سيسارع بتفتيت العراق وتدمير روابط العراقيين، وسيكسر ثقافة العنف والعنف المضاد. وبيّنت أنّ هذا النوع من العنف لا يأتي بخير وأنا لسنا على استعداد لأن نعيش هذه الدوامة التي ستؤدي - لو استمرت - إلى انهيار العراق.

ولم أف على ردود الأفعال التي أثارها الخطبة إلا بعد ساعتين أو ثلاث، حين علمت أنّ عارفاً أمر بإعادة إذاعة الخطبة في ذلك اليوم عدة مرات، وأنّ معارضي البعث كانوا يضعون مكبرات الصوت في الميادين العامة، ويأتون بالراديو ويضعونه عليها ليستمع الجميع إلى ما قلته، وقد استاء أحمد حسن البكر نائب الرئيس ورئيس الوزراء وذهب إلى عبد السلام وأبدى استياء شديداً مما قلته بحق البعثيين، وهدد بالاستقالة إن لم يتم اعتقالِي، فقال له عبد السلام: إذا كان ذلك شرطك للبقاء في السلطة فلا مانع لدي من استقالتك؛ فاستقال البكر وغادر مكتبه، وبأسلوب عبد السلام المتمكن في تدبير ذلك النوع من الاختلافات أبقى على بقية البعثيين، وأرجع الإطاحة بالبكر إلى حدة طبعه وتسرعه، وإنه لم يقصد توجيه إهانة للحزب من خلال الخطبة؛ بل قصد التأكيد على انتهاء سيطرة رجال الحرس البعثي، وهكذا واتته الفرصة لكي يستبدل العسكريين البعثيين بعناصره وأتباعه مع بعض العناصر القوميّة الناصريّة.

تأسيس المنظمة العسكرية الإسلامية

في غضون هذه الفترة كنت أعمل بمجلة الجندي العسكرية، التي كانت تصدر بإشراف «مديرية التدريب العسكري»، وكان يشاركني الإشراف عليها العقيد «يحيى الخطيب» في بادئ الأمر، وبعد انقلاب ١٨ تشرين نُحِيَ الخطيب وحل محله العقيد عبد القهار الكبيسي، وقد جمعني بالكبيسي الانتماء إلى التيار الإسلاميّ الواسع، فقد كان يحمل أفكار حزب التحرير من دون انتماء للحزب؛ لكنّه من حيث الفكر التربويّ كان يؤيد الإخوان المسلمين، وكان كلانا من لواء الرمادي فهو من كبيسة وأنا من الفلوجة. فكان اشتراكنا في العمل فرصة للنقاش وتبادل وجهات النظر حول دور الإسلاميين داخل الجيش وموقفهم من الانقلابات العسكريّة التي كان يجري التخطيط لها، وقد استقر رأينا على أن الإسلاميين لعبوا دوراً ايجابياً وفعالاً في انقلاب شباط حين سلّم اثنان من الضباط الإسلاميين؛ هما السيد خالد النوره جي وزميل له مقر هيئة الإذاعة العراقية إلى البعثيين، ورغم هذا فإنّ هذا الدور لم يتم تثمينه بصورة إيجابيّة من قادة الانقلاب، وهكذا تبلورت لدينا فكرة حول ضرورة تشكيل تنظيم إسلامي داخل الجيش تكون إطاراً للعناصر الإسلاميّة بدلاً من أن يكونوا تابعين لغيرهم، وينهض هذا التنظيم الذي عرف فيما بعد باسم «المنظمة العسكريّة الإسلامية» وصارت وسيلتنا للقيام بمهمة استقطاب العناصر الإسلامية في الجيش والشرطة، ويتولى مهمة التفاوض مع الجهات الأخرى القوميّة والبعثيّة وسواهما للحصول على مواقع ومكاسب أفضل للإسلاميين، والحقيقة أنّ الأمر بدا لنا يسيراً فقد ساد اعتقاد حينئذ بأنه حين تكون تنظيمياً فلست بحاجة إلى ما يزيد عن خمسة أفراد وجهاز رونيو لطباعة المنشورات. فما تحتاجه للوصول إلى الحكم هو إحكام السيطرة على هدفين هما: قيادة القوات المسلحة في وزارة الدفاع ومحطة الإذاعة والتلفزيون. ومن خلال سيطرتك على الموقعين تسيطر على البلد والشعب كله؛ لأنه ما أن يذاع بيان الانقلاب حتى تبدأ برقيات التهاني

والتأييد تنهال عليك؛ بالرغم من أن حقيقتك قد تكون غير معروفة، فكل ما يعرفونه أنه كانت هناك حكومة جاء أحدهم وأسقطها وحل محلها أي أنه أقوى منها ولو كان أضعف منها لما حقق نجاحاً.

وهكذا شرعت في إعداد ما يشبه اللائحة أو الدستور لذلك التنظيم وأهدافه، وقمت بطباعتها بنفسى على آلة كاتبة، استعرتها من السيد محمد الألوسي الذي كان محامياً يعمل في مديرية الأوقاف وكان صديقاً شخصياً لي، وبعدها سلمت العقيد عبد القهار نسخة حملها إلى اللواء الركن محمود شيت خطاب الذي اتفقنا على أنه من أفضل العسكريين الذين يمكن أن نثق بهم، وأنه مؤهل بشكل كاف لأن يكون هو القائد أو المسؤول عن هذا التنظيم، ولما فوَّح اللواء شيت في الموضوع رحب بالفكرة وأدخل بعض التعديلات على ما كتبت، وقال اعتبروني واحداً منكم، ولكّنه طلب منا التكتّم الشديد على الأمر في هذه المرحلة^(١).

وبعد ذلك شرعت في الاتصال بالعناصر التي أعرفها، وكان كثير منهم يرتادون مسجدي في الكرادة الشرقية ويلتقون بي، منهم خالد النوره جي وعبد الستار العبودي وعبد الجبار البياتي، وكانت لي علاقة بقائد لواء الحرس الجمهوري - آنذاك - العميد بشير الطالب، ففاتحته ووافق على

(١) تقول الأستاذة ايمان الدباغ في البداية وضع الأخوان كل طاقاتهم في خدمة المنظمة العسكرية الإسلامية وكان الشيخ طه جابر العلواني أحد مؤسسي المنظمة. ولكنها تنقل ادعاءً من اللواء حكمت شاكر بأن المنظمة لم تكن أكثر من علاقات شخصية تربط الاعضاء بالشيخ طه جابر . (انظر، الاخوان المسلمون في العراق، ص ٣٣٦). والغريب أن السفارة البريطانية كانت تتابع الاحداث ولهم عيون في كل مكان لم ترسل أية تقارير عن هذه المنظمة إلى لندن. ومن المحتمل أنها أعدت تقارير في هذا الخصوص ولكن لم تسمح بنشرها بعد. ولم تشر أدبيات الأحزاب الإسلامية العراقية إلى المنظمة العسكرية الإسلامية. لذلك تكشف هذه السيرة ولأول مرة عن صفحة مطوية ومهمة من تاريخ العراق الحديث وهذا إسهام آخر من السيرة في تاريخ الحركة الإسلامية العراقية. المحقق.

الانضمام إلينا، وفاتحت العميد عبد الغني الراوي ووافق على الانضمام كذلك وكذلك الأخ حكمت شاكر وقحطان السعدون ووليد السعدون، وطارق المشايخي وفاروق الشايخي وكثير من الضباط الشباب - آنذاك - بعضهم كان طالباً في كليّة الأركان، وبعضهم كان من العاملين في الكليّة العسكرية.

ولم يمض شهر إلا وقد انضم لهذه المنظمة ما لا يقل عن عشرين ضابطاً من خيرة الضباط موثقاً بهم، وكلهم إسلاميون ملتزمون، وفي فترة وجيزة أصبحنا من أقوى التنظيمات ولنا فروع ومنتسبون في كل الوحدات والقطاعات العسكريّة، بحيث أستطيع أن أقول: إنّه مرت مرحلة في نظام حكم عبد السلام عارف ثم في نظام حكم عبد الرحمن عارف لم يكن هناك أحد أقدر من «المنظمة العسكريّة الإسلاميّة» التي أسسناها للاستيلاء على السلطة^(١) - لو شئنا - لكن كانت عندنا إشكاليّة كبيرة فرغم أنّنا انقلابيون لكنّه

(١) تؤكد الأستاذة ايمان ما ذهب إليه صاحب السيرة فتقول أن العسكريين من ذوي الاتجاه الإسلامي كانوا أقوى الجماعات في الجيش العراقي في منتصف الستينيات، ويعود إلى العلاقة الحميمة بين المرحوم الأستاذ عبدالرحمن الإرحيم والشيخ طه جابر مع عبدالسلام عارف الذي مكّتهم من وضع العديد من الضباط الإسلاميين في قوات الدروع في بغداد والقصر الجمهوري. (أنظر: الأخوان المسلمون في العراق، ص ٣٣٤). ولكن في تصورنا أن ما حال دون وصول الإسلاميين إلى السلطة في بغداد، بالإضافة إلى ما ذكره صاحب السيرة، يعود إلى عوامل عدة منها عقدة التجربة المصرية في تعاون الاخوان مع انقلاب عبدالناصر وكيف قام الاخير بالنيل منهم بعد ذلك. كما أن العقلية الحزبية الضيقة التي اتصفت بها بعض القيادات الحزبية الأخوانية حالت دون الاستفادة الجيدة من العسكريين في هذا المجال للوصول للسلطة. أضف إلى ذلك أن عادة التدين والالتزام الإسلامي عند الكثير من الضباط البارزين كانت عادة تقليدية وتشوبها ولاءات قومية والرغبة الجامحة في الوصول إلى قمة هرم السلطة ولم يكن عندهم الخبرة والدعم اللوجستي والخارجي الذي كان متوفراً لغيرهم، خاصة البعثيين والناصريين. يقول، السيد جواد هاشم في الصفحة ٣١ من كتابه الصادر عن دار الساقى ٢٠٠٣ ، أن السيد علي صالح السعدي (كان أمين سر القيادة القطرية لحزب البعث في العراق)، =

كان عندنا إصرار بأن نقوم بعملية تغيير تتصف بالسلمية ولا تراق فيها الدماء، فقد كنا نريد أن نقود انقلاباً أبيض، ولكن ذلك كان مطلباً مستحيلاً آنذاك.

وقد فوجئت بعد ذلك بانسحاب اللواء محمود شيت الذي سوّغ انسحابه بأن الأمر بات مكشوفاً؛ فقد تحدث إليه بشير الطالب وأخبره بأنه على صلة ببطه جابر وبهذا التنظيم، وذلك يعني أنّ أمر الانكشاف بالنسبة له صار قاب قوسين أو أدنى وفي أعقاب ذلك أبلغني عبد القهار الكبيسيّ بانسحابه. وفيما أظن فإنّ اللواء شيت كان يتشكك في بشير الطالب لتشعب اتصالاته وامتدادها لتشمل كل الطيف السياسي، إضافة إلى علاقته الخاصة بعبد الرحمن الإرحيم ورئيس الجمهورية عبد السلام. ورغم هذه الانسحابات إلا أنّني واصلت العمل في المنظمة.

ولم تكن هذه الانسحابات هي العقبة الوحيدة التي اعترضت المنظمة فقد انضم إلينا الشهيد محمد فرج الجاسم بعد اختلافه مع القيادة الإخوانية، وفي أثرها فاتحته لأن ينضم إلينا ويصبح أحد أفراد القيادة المسؤولة عن المنظمة فرحب الرجل وكانت القيادة تتألف من: عبد الغني الراوي، وطه جابر ومحمد فرج الجاسم، وبدأنا نخطط لاستقطاب كل من نعرف من الإسلاميين. وفي غضون فترة قصيرة تمدد التنظيم وانضم إليه ما يزيد عن

= والذي أقصي من مركزه الحزبي والوظيفي، وتم إبعاده إلى مدريد، صرح بأن القيادة الجديدة (قيادة البكر) غير شرعية وإنها جاءت (بالقطار الأمريكي). وبالرغم من ترديد تلك التهمة التي ينفها البعثيون وتؤكدها قياداتهم، (لاحظ مذكرات طالب شبيب - ومذكرات هاني الفكيكي)، إلا أن السيد جواد لم يعط رأياً حول عربات ذلك القطار، حيث يذكر في الصفحة ٢٧١ من الكتاب المذكور أنه يفتقد إلى الوثائق التي تدعم تلك الأقاويل، ويتابع أنه بحث كثيراً في الوثائق فلم يعثر على الكثير. المحقق.

ومع هذا فلم يكشف لنا هذا القليل، غير أنه وجد على وثيقة واحدة صادرة من شعبة المصالح الأمريكية في بغداد بتاريخ ٢٤ أبريل / نيسان ١٩٨٠ تشير إلى وجود مصدر موثوق به داخل القيادة العراقية وله اتصال مباشر مع الإدارة الأمريكية!! من دون أن يتعرف أو يكشف أسم العنصر. المؤلف.

مائة وخمسين ضابطاً، سرعان ما صاروا مائة وثمانين. ومع توالي اجتماعاتنا دبت خلافات تم احتواؤها بين عبد الغني الراوي والشهيد محمد فرج كانت راجعة إلى الاختلاف بين طبيعتهما الشخصية واختلاف طرائق التفكير والتكوين. ولاعتداد عبد الغني الزائد بنفسه لكونه ضابط ركن، في حين كان الشهيد محمد فرج ضابط تجنيد لم يدخل كليّة الأركان، ولكنه كان يمتاز عن الراوي بتجربته الإخوانيّة والتزامه الإسلاميّ، وشجاعته وسلوكه الإسلاميّ المنضبط.

والحقيقة أن المنظمة كانت على درجة كبيرة من القوة والتنظيم تؤهلها لأن تكون في موقع السلطة حين اغتيل عبد السلام عارف في (أبريل ١٩٦٦)، وذلك بعد أن تحالفت وتوحدت مع تنظيم (مدني) كان يقوده عبد الرحمن الإرحيم وعرف باسم «حركة الأنصار»، وتعبيراً عن هذا أصبح لهما ميثاق موحد شاركت في صياغته مع الإخوان عبد الرحمن الإرحيم، وخليل كثة وعبد الكريم كنة، كما تشكلت قيادة موحدة للتنظيمين ضمت إليها: الراوي والإرحيم وبشير الطالب وطه العلواني وآخرين، ويبدو أنّ ارتباط «حركة الأنصار» بعناصر عسكرية من الموصل قد أثار الأخ محمد فرج الجاسم الذي لم يكن راغباً في التعاون مع العسكريين من الموصل ولكّنه قبل الأمر على مضض في ذلك الحين.

اغتيال عبد السلام عارف وتأثيراته

جاء مقتل عبد السلام عارف في الثالث عشر من نيسان/أبريل عام ١٩٦٦م، في حادث سقوط طائرته حين كان يتفقد محافظة البصرة، وأدى الحادث إلى مقتله هو وعدد من مرافقيه وعلى رأسهم عبد اللطيف الدراجي وزير الداخلية والمرشح القوي لخلافته وأحد أبرز أعضاء تنظيم «الضباط العراقيين الأحرار»!!

ولقد ترجح لدى غالبية العراقيين أنّ الحادث كان مدبراً، وأنّ الرئيس

عبد السلام قتل غيلة في ذلك الحادث!! وذكرت قرائن عديدة، منها.

أولاً: القرائن الفنيّة المتعلقة بالطائرة وارتفاعها المنخفض، وأنها كانت من نوعية يتعذر سقوطها فهي عند أي عطب يصيب محركها يمكن لفائدها الهبوط بسلام.

ثانياً: الزعم بأنّ هناك عاصفة رملية انعدمت معها الرؤية فتعذر هبوط الطائرة، على حين أكد أهالي المنطقة أنّ الجو كان صحواً خالياً من العواصف.

ثالثاً: ما تردد من أن قائد الطائرة كان بعثياً، كلّفه الحزب بالقضاء على عبد السلام عارف.

رابعاً: تأخر الإعلان عن سقوط الطائرة إلى حوالي ثلاث ساعات بعد فقدانها، حيث ساد اعتقاد بأن الطائرة مفقودة نتيجة سوء الأحوال الجويّة.

خامساً: اشتعال الساحة التي كان يفترض أن تهبط فيها بنيران كثيفة بحجة الرغبة في إرشاد الطائرة لو كانت مفقودة، وتلك النيران أدت إلى تضليل طائرة أو أكثر خرجت بعد فترة للبحث عن طائرة الرئيس.

سادساً: لم يكن مع الرئيس على متن الطائرة إلا مرافقوه العميد زاهد والرائد عبد الله والعقيد عبد اللطيف الدراجي، فلم يصطحب معه مسؤولي المخابرات والأمن والجيش والحكومة، رغم أنّ الزيارات التفقدية عادة ما يصطحب الرئيس فيها عدداً من المسؤولين من قطاعات مختلفة.

سابعاً: أنّ الطائرة فقدت حوالي الساعة العاشرة مساءً، ولم يعثر عليها إلا فجر اليوم التالي، وحين عثر عليها وجدت بعض الجثث، ومنها جثة الرئيس في حالة تشير إلى أن الموت لم يحدث إلا من وقت قريب، بحيث لو أسعف ركابها في وقت مناسب لربما نجا بعضهم من الموت^(١).

(١) إن مسألة مقتل عبدالسلام عارف مثل مقتل الملك غازي، لا زالت تحيط بها الكثير من=

هذه القرائن جميعها تدفع إلى التساؤل عن المستفيد من تضليل طائرات الإنقاذ وعدم عشورها على طائرة الرئيس إلا بعد ذلك الوقت الطويل؟! ولماذا لم يجر تحقيق دقيق يجلي جميع جوانب الحادث، ويقنع الرأي العام بأن الأمر لم يكن الا قضاءً وقدرًا.

تنظيم الرمادي

ويعزز من هذه القرائن ما كان معروفاً من انتشار التنظيمات السريّة داخل الجيش ومعظم هذه التنظيمات كانت معروفة إلا أنّه كان هناك تنظيم حديث عرف باسم «تنظيم الرمادي» نشأ في ظل فوضى التنظيمات العسكرية واقتصر على أبناء «محافظة الرمادي»، وكانت مهمته المحافظة على نظام «عبد السلام عارف» والحيلولة دون وصول أي مجموعة غيرها إلى السلطة. وإذا ما اغتيل عبد السلام عارف فجأة فتأتي المنظمة حينئذ بشخصية من أبناء «محافظة الرمادي» للحلول محله، وعلى هذا يفترض أن تكون المناصب العسكرية الهامة بأيدي هؤلاء، وفي مقدمتها قيادة الحرس الجمهوري والاستخبارات. وحين فاتحني عبد الرزاق النايف^(١) بضرورة انتقالني من «الكلية

= الغموض، وهذه مسألة عادية في المجتمعات المغلقة. فيذكر عبدالكريم فرحان القيادي القومي الناصري، أن طاهر يحيى رئيس الوزراء في العهد العارفي أخبره بأن هناك ملفاً سرياً يتعلق بمقتل عبدالسلام. رغم أنه لم يفصح عن تفاصيله ولكن فيه أمور تعارض الراوية الرسمية للحادث. (انظر: حصاد ثورة، ص ١٣٧)، ولكن يكتب الباحث أحمد فوزي «أنني من خلال تحرياتي العميقة والكثيفة واستنطاقي العديد ممن شاهدوا ذلك الحادث المفجع واطلعي على اضبارتي التحقيق القضائية والفنية أميل إلى أن القضاء والقدر هو الذي احكم تدبير الحدث. وأن العاصفة الرملية هي السبب وهي الفاعل». (انظر: عبدالسلام محمد عارف، سيرته وحياته، بغداد: مطابع الدار العربية، ١٩٨٩، ص ١٨٧)، تشير تقرير صادر من السفارة البريطانية أن الحادث كان سببه العاصفة وخلل في الطائرة والطيار.

المحقق. (FO371/186743, 23.1.1966).

(١) ولد عبد الرزاق سعيد النايف في مدينة الفلوجة (ديرة عبد السلام عارف) التابعة لمحافظة=

العسكريّة» لأكون مساعداً له بوصفه نائباً لمدير الاستخبارات - كان هو المدير الفعليّ الحقيقيّ للاستخبارات - أخبرني أنّه سيقدم لي كثيراً من الامتيازات، وسيمنحني الوقت لإدارة شؤون هذا التنظيم العجيب، وسألته: هل الرئيس عبد السلام على علم بتنظيمكم هذا؟ فنفي ذلك وحذرتي فيما إذا حدث أي لقاء بيننا من مجرد الإشارة إلى ذلك. وفسر ذلك بكونه رجلاً عنيداً ولو عرض الأمر عليه لرفضه بشدة حين سألته عن أعضائه؛ قال: إنهم - في تلك الفترة - لا يقلون عن عشرين؛ منهم إبراهيم الداود وسعدون غيدان وكمال جميل عبود... إلخ. وإنّ هناك عدداً آخر لا بأس به من أبناء السنجق كما كان يقول متضحكاً، وأنّ القيادات منهم عدد جيد، فهناك عبد الرحمن عارف^(١) رئيس أركان الجيش، وحمودي مهدي والراويان عبد الغني

= الأتبار العام ١٩٣٤، وتخرج ضابطاً في الكلية العسكرية ببغداد العام ١٩٥٣ ثم عمل مدرساً في الكلية نفسها ونقل إلى قوات المشاة ونقله عبد السلام عارف إلى الاستخبارات العسكرية، درس أساليب الاستخبارات في بريطانيا وعاد إلى العراق العام ١٩٦٤، ومنذ نكسة حزيران العام ١٩٦٧ برزت على الساحة العراقية كتلتان لعبت الدور السياسي الرئيس في البلاد، الأولى كتلة طاهر يحيى (رئيس الوزراء، آنذاك) والثانية كتلة القصر الجمهوري المكونة من الناييف والداود وسعدون غيدان أمر الدبابات في القصر الجمهوري والثلاثة من «ديرة عارف». شارك في انقلاب في ١٧ تموز وأبعد من قبل حكومة البكر - صدام من السلطة. شارك في المحاولة الانقلابية بقيادة عبد الغني الراوي. واغتيل عام ١٩٧٨ من قبل المخابرات العراقية في لندن. (نبراس الذاكرة، تاريخ النشر ٢٠١٢/٠٨/١٦)

المحقق. (<http://nbraas.com/inp/view.asp?ID=220>).

(١) يصف أحمد الحبوبى أحد الوزراء القوميين في العهد العارفي، عبد الرحمن عارف بكونه «ضعيف الشخصية، بسيط التفكير تغلب عليه الطيبة، ولا ينزع إلى الشر وكان للمحيطين به تأثيرهم الواضح على قراراته الرسمية وغير الرسمية ودائماً ما يعمل هؤلاء من أجل مصالحهم الخاصة وتحقيق رغباتهم الشخصية التي قد لا يحدها حد أو يوقفها قانون ويتدخلون في شؤون الوزارات، وتسن القوانين وفق مصالحهم ولم يستطيع وزير أو حتى رئيس وزراء أن يقف أمام طلبات أو رغبات أو مصالح هذه الحاشية المسيطرة علي رأي وفكر الرئيس...» («أشخاص كما عرفتهم: الفريق طاهر يحيى»). (<http://www.alkomi.org/habob4.htm>). يبدو أن عارف كان =

وعبد الهادي وعارف عبد الرزاق، ولو أنهم أقنعوا كل المنتمين للقوات المسلحة من أبناء محافظة الرمادي لكانوا عدداً كبيراً يمكن أن يشكّل منهم تنظيم كبير. لكنّ بعضهم كانوا ينتمون إلى تنظيمات أخرى. فاعتذرت عن الانضمام، ولكنني قلت له: إن احتاجني بشيء فليكلمني ولست بعيداً عنه فلا داعي لتغيير موقعي؛ لأنني أحب التدريس ولا أرغب في الحرمان منه.

لقد كان عبد الرزاق الناييف أحد الشخصيات المهمة النشطة في تلك الفترة، وقد بدأ حياته المهنية بعد أن أصبح ملازماً أول في شعبة العسكريين الأجانب في الاستخبارات، وكانت اتصالات الجيش بالملحقين العسكريين بالسفارات الأجنبية أو اتصالاتهم به تجري من خلال هذه الشعبة التي كانت تراقب كذلك تحركات العناصر المشكوك فيها، ولم يكن الرجل يُخفي ذلك بعد أن بلغ رتبة رائد؛ بل كان يعتبر ذلك عنصراً من عناصر قوته وذكائه، وفي الوقت نفسه كان عبد الرزاق طموحاً، متطلعاً إلى دور قيادي لنفسه في العراق، وكان مثله الأعلى نوري السعيد ولم يكن يرى نفسه أقل منه ذكاءً وقدرة!! ولكنه لم يكن مدركاً للفوارق الكثيرة بين شخصيّة نوري وشخصيّة ونشأة نوري ونشأته، فهل تشكّل هذا التنظيم بعد أن تجمعت لديه معلومات من بعض الملحقين العسكريين أو غيرهم أنّ عبد السلام عارف سوف يتم اغتياله؟ يغلب على ظني ذلك.

وأيا كان الأمر فإنّ عبد السلام عارف قبيل سفره للبصرة قد أسر إلى بعض المقربين منه - كما ذكر لي الأخ عبد الرحمن الإرحيم - بأنّه سوف يحدث تغييرات في الحرس الجمهوري وفي الجيش بعد عودته من البصرة،

= أكثر وطنية وحرصاً على حقوق العراق وصيانة حدوده من صدام خاصة فيما يتعلق بشط العرب. رفض الرئيس عبدالرحمن عارف عرضاً من شاه إيران بإغلاق الحدود الإيرانية أمام الحركة الكردية مقابل تسليم عدد من الرموز الإيرانية اللاجئة للعراق وفي مقدمتهم الخميني. (زهير عبدالرحمن، «الاستجارة عند العرب»: واقعتان من القرن العشرين - عارف يرفض تسليم الخميني، جريدة الزمان: ٢٩/٦/٢٠٠٥). المحقق.

فهل نما إلى علمه شيء عن تلك التحركات التي يقوم بها عبد الرزاق النايف وشلته. وهل جرى التعجيل باغتياله خوفاً من إحداث تغييرات قد تؤثر على مخططات كان يجري تدبيرها؟ وإذا كنّا لا نستطيع أن نجزم بذلك إلا أننا يمكن أن نقول: إنّ ذلك كان أمراً محتملاً ووارداً.

تحركات المنظمة العسكرية الإسلامية

في صبيحة يوم اغتيال عبد السلام وحاشيته في حادث الطائرة الهليكوبتر تلقيت اتصالاً هاتفياً في أعقاب صلاة الفجر مباشرة من المقدم الركن الطيار علي عواد المحيسن العزاوي، الذي كان يعمل في قيادة القوة الجوية، وأحد الأعضاء البارزين في «المنظمة العسكرية الإسلامية» وعلمت منه نبأ سقوط طائرة الرئيس ووفاة جميع من كانوا على متنها وأخبرني أن بمقدوره السيطرة على القوة الجوية كلها مقرأً وقواعد واتفقنا أن يظل في موقعه لحين وصول إشعار مني.

وبمجرد أن ودعته، كلمت العميد الراوي والعميد محمد فرج والنقيب خالد النوره جي وطلبت منهم الحضور إلى منزلي. ولما حضروا وأخبرتهم بما تلقيته من علي عواد المحيسن ولم يكن أحد منهم يعلم شيئاً من ذلك وتداولنا في الأمر وقررنا أن أذهب مع الراوي ومحمد فرج إلى بشير الطالب في الحرس الجمهوري؛ لكي نسيطر على القصر الجمهوري بمعاونته ولنا عدد من الضباط الآخرين في الحرس يمكن الاستفادة بهم، وأن نبدأ في التصرف وفق خطة يشارك في رسمها بشير؛ لأنّ قواته هي التي سيقع عليها عبء اعتقال من ينبغي اعتقاله، وتأمين المؤسسات الاستراتيجية، مثل: وزارة الدفاع والإذاعة والتلفزيون والقطاعات العسكرية الموجودة في بغداد. وعلى هذا توجهنا مباشرة إلى مقر العقيد الركن بشير الطالب آمر قوات الحرس الجمهوري، ووجدنا الرجل في مكتبه وكان عنده الأخ عبد الرحمن الإرحيم وعبد السميع عارف شقيق عبد السلام، وكان بشير خارجاً لتوديعهما

حين دخلنا مقره، كان عبد السميع يبكي أخاه الرئيس وعبد الرحمن الإرحيم مع حزنه وعبرته الظاهرة كان متماسكاً إلى حد ما ويقوم بتهدئته.

جلسنا إلى العقيد بشير وأخبرناه بما اتفقنا عليه، وأن الأمر لا يحتاج في تلك المرحلة لأكثر من السيطرة على القصر الجمهوري ومحطتي الإذاعة والتلفزيون ووزارة الدفاع، واعتقال بضعة أشخاص ممن لهم نية في السيطرة على الحكم، وأن يحكم سيطرته على قوات الحرس، وأن نتوجه الآن إلى القصر لإعداد بيان يتضمن اختيار عبد الغني الراوي رئيساً للجمهورية ثم نستكمل بعدها بقية الإجراءات، ولدينا الآن في الكلية العسكرية وكلية الأركان ووزارة الدفاع مجموعة جيدة من الضباط يمكن أن نستدعيهم الآن لمساعدته في إحكام السيطرة على المواقع المطلوبة؛ فإذا به يبدأ بمجموعة من الأعدار ويؤكد أن القيام بأي شيء الآن يعد خطراً، وقد يؤدي إلى مشكلات لا يمكن الخروج منها، وأنه قد تقرر دعوة مجلس الوزراء ومجلس الدفاع الأعلى لاجتماع مشترك لوضع الخطة المطلوبة لاجتياز هذه المرحلة وترشيح رئيس جديد، وأنه سي طرح اسم الراوي باعتباره واحداً من المرشحين، وأن من المفيد أن نكون في موقع يستطيع الاتصال بنا فيه لمتابعة الموقف، وأما في تلك اللحظة فالأولى الانصراف عن القصر الجمهوري^(١).

(١) لم ألتق بشير بعد هذا اللقاء سوى مرة واحدة؛ ففي إحدى زيارته لبيروت بعد أن عين سفيراً في ليبيا. طلب أن يراني حيث كنت أسكن في عاليه في لبنان فدعانا عبد الرحمن الإرحيم لتناول الغداء عنده، ولم أكن أنوي الإساءة له، لكنّه حين وجّه اللوم في مسؤولية نجاح البعثيين وفشلنا إلى آخرين اضطررت أن أقول له: يا أخ بشير: هل يمكن أن تفسّر لي كيف يكون هناك ثلاثة أشخاص في موقف واحد ومركب واحد أحد الثلاثة يحكم عليه بالإعدام، ويسجن الثاني، ويصبح الثالث سفيراً؟ فقال: يا أخي هذه إرادة الله...، ولكل منّا نصيبه ووضعه. وانقطعت الاتصالات بيننا بعد ذلك إلا أنني فوجئت به يرسل إلى عام (١٩٩٣) رسالة شفوية وأنا في أمريكا مع صديق مشترك لقيه في بغداد هو عبد الستار الظاهر يطلب منّي فيها إعداد=

اتفقت كلمتنا نحن الثلاثة - عبد الغني ومحمد فرج والفقير إليه تعالى - أن الرجل إمّا أن يكون قد جبن وخاف ولا يريد التورط في شيء، وإمّا أن يكون على صلة بجماعات أخرى غيرنا، وهو أميل للتعاون معها في هذه المرحلة. ويبدو أنه كان يساوم عبد العزيز العقيلي^(١) الذي كان وزيراً للدفاع

= «البيان الأول» لأول وآخر ثورة حقيقية سيقوم بها العراقيون ضد نظام صدام ويبدو أن كان يريد مني أن أعلم أنه لم يخن، وقد كشفت المخابرات الدولية تلك المحاولة لصدام، لأنها كانت تعد لذلك الذي حدث في ٢٠٠٣ فلم تكن ترغب في تغيير صدام إلا بيدها لا بيد أحد آخر. وأعدم صدام ما يقرب من أربعمئة ضابط في آخر محاولة انقلابية كانت لديها بعض فرص النجاح. وقد اتهم كثيرون أن C.I.A قد كشفت هذه المحاولة لصدام بعد اتصال بعض المشاركين فيها بها!! المحقق.

(١) ولد اللواء الركن عبد العزيز العقيلي في مدينة الموصل سنة ١٩١٩. وينتسب إلى عشيرة عربية معروفة باسم (العقيلات). دخل الكلية العسكرية سنة ١٩٣٧ وهو ضمن الدورة نفسها التي ضمت (بكر صدقي) قائد انقلاب ٢٩ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٣٧. دخل كلية الأركان سنة ١٩٤٣ وتخرج فيها سنة ١٩٤٥. عمل العقيلي في الحرس الملكي، وكان برتبة مقدم. انضم إلى حركة الضباط الأحرار سنة ١٩٥٧. وبعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ صدرت قرارات عديدة، وأحيل عدد من الضباط ممن هم أقدم رتبة من الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة. كما صدرت تعيينات جديدة منها أن العميد الركن عبد العزيز العقيلي أصبح قائداً للفرقة الأولى. وفي ١٩٦٠ كان من بين ستة وزراء استقالوا من حكومة قاسم. وقد قرر قاسم إبعاد هؤلاء الضباط واحداً بعد الآخر، فابتدأ بالعقيلي حيث أصدر مرسوماً جمهورياً في الأول من كانون الثاني ١٩٥٩ بتعيينه سفيراً في إيران، لكنه لم يلتحق بسبب قيام حركة الموصل ١٩٥٩. اعتقل قاسم عبد العزيز العقيلي ثم أطلق سراحه وأحاله على التقاعد، وبعد ثورة ٨ شباط ١٩٦٣، عين في ٩ آذار ١٩٦٣ مديراً عاماً للموانئ. ورفض الاشتراك في وزارة البزاز الثانية التي تشكلت في ١٨ نيسان ١٩٦٦. وبعد التغيير السياسي الذي حدث في ١٧ تموز ١٩٦٨، رفض العمل في وزارة الخارجية كسفير، كما رفض التعاون مع السلطة الجديدة لذلك أعتقل وحكم عليه بالإعدام ثم استبدل أيار بالسجن المؤبد وتوفي يوم ٧ مايس/ ١٩٨١. (إبراهيم خليل العلاف، «عبد العزيز العقيلي: سيرة حياة عسكري عراقي، وعبد السلام محمد عارف.. كما رأيته»، (الحلقة الرابعة، ٢٨/٠٢/٢٠٠٨، القدس العربي). المحقق.

- آنذاك - على أن يكون رئيساً للجمهورية ويكون عبد الغني الراوي رئيساً للوزراء أو العكس، كما كانت له علاقة وثيقة بأحمد حسن البكر وحزب البعث وعبد الرزاق النايف.

والحقيقة أنه لم يكن هناك تنظيم عراقي - آنذاك - إلا وحاول كسب بشير الطالب بحكم منصبه الحساس أمر لواء الحرس الجمهوري. وكان هو لا يرد أيأ من هذه التنظيمات لدواعي مختلفة، حتى إنّه وافق «حزب التحرير» على ترشيحه للخلافة!!.

بعد أن خرجنا من مكتب بشير الطالب تركت عبد الغني الراوي ومحمد فرج وذهبت إلى عبد الرزاق النايف، فوجدته في مكتبه يدير كثيراً من التحركات بالهاتف، وخلال الفترة القصيرة التي جلست معه فيها لاحظت أنه قد سيطر برجاله على الحرس الجمهوري ودار الإذاعة ومعسكري الرشيد والوشاش والمطار ومحطة سكك الحديد، مستفيداً من سائر العناصر التي يعرفها ويتصل بها آنذاك، التفت إلي وقال: أين عبد الغني الآن، قلت له: كان معي وذهب إلى بيته، قال اذهب إليه وأبلغه أن ينتظر في البيت لا يغادره لأكون قادراً على الاتصال به عند الحاجة، وقال أما أنت فيحسن أن نظل على تواصل عبر الهاتف وأخبرته بأننا التقينا بشيراً؛ لأنني كنت أتوقع أن بشيراً سيخبره فلم أرد إثارة مخاوفه وقال: أخبرني بشير وأخبرني بما عرضتموه عليه وضحكنا، ثم سألته عن خطته فأخبرني أنها تتلخص في إحضار عبد الرحمن عارف من روسيا وكان قد ذهب قبل الحادث في زيارة رسمية لها، ليشهد جنازة أخيه، وأتي أرى مؤقتاً أنّ النواحي العاطفية وخاصة من مناصري عبد السلام عارف وتنظيم الرمادي سوف تساعد على ترشيحه لرئاسة الجمهورية، وأن نبقي على عبد الرحمن البزاز رئيساً للوزراء إلى أن نجتاز هذه المرحلة الحرجة، وعندئذ سألته عن موقف عبد العزيز العقيلي وتنظيمه وهو وزير الدفاع، قال: بسخرية ليحرب العقيلي أن يحاول مغادرة مكتبه؛ لأنه تحت سيطرة جنودي منذ أن وقع الحادث، فقد أبدلت حرسه

بحرس من عندي وأفهمته بأن ذلك إجراء ضروري في هذه المرحلة، وأوامري لهؤلاء صريحة بأنه لو حاول الخروج من وزارة الدفاع دون علمي فسيقتل، إلا إذا كان خروجه بطلب منا لتهيئة بعض التحضيرات اللازمة، قلت له: ولكن الرجل كما تعلم منذ حياة عبد السلام عارف وهو يتطلع لأن يلعب دوراً سياسياً أساسياً في البلاد، قال: لن يستطيع أن يتحرك وكل شيء تحت السيطرة وستنفذ خطتنا كما وضعناها فودعته وانصرفت.

كان الحوار بين اللواء العقيلي وبين المنظمة العسكرية جارياً قبل ذلك، عبر أحد الأصدقاء المشتركين^(١)، الذي عمل وسيطاً لتقريب وجهات النظر وتوحيد تنظيم العقيلي مع منظمنا، وقد حاولت بعد مقتل عبد السلام أن أجدد تلك الصلات وقد تم ذلك من خلال الدكتور وجيه زين العابدين طبيب العقيلي الخاص والذي كان طبيباً لأسرتي في الوقت ذاته، فدعوته إلى منزلي وذكرت له المفاوضات التي بدأها ولم تكتمل لدمج التنظيمين، وأن الظروف الحالية تقتضي أن ندمج التنظيمين فوراً فيكون عبد العزيز العقيلي رئيساً للجمهورية وعبد الغني الراوي رئيساً للوزراء أو العكس؛ لأن هذا الفراغ إذا لم يملأ هذا اليوم أو غداً فلا ندري ما تأتي به الأيام، وأخبرته بأن العقيلي شبه محاصر وأن هناك قوة لا ترى من مصلحتها أن تتيح له أية فرصة للتحرك، وطلبت منه أن يبلغ ذلك إلى العقيلي ويوافيني برده.

سارع الدكتور وجيه إلى العقيلي ونقل له رسالتي - مع تأييده لوجهة نظري كما أخبرني بذلك - وإذا بالعقيلي يقول له: بأنه اتفق مع قادة الفرق ومجلس الدفاع الأعلى بأن يستخدم أسلوباً ديمقراطياً لاختيار الرئيس، وأنه يتوقع بأن يكون رئيساً منتخباً من مجلس الدفاع الأعلى ومجلس الوزراء، وأنه لا يرى ما يدعو لقبول العرض الذي عرضناه، وأن دعوى محاصرته غير مقبولة وأن ضباط الحرس الكبار والاستخبارات على صلة دائمة به ويأتمرون

(١) هو السيد عبد الحميد عبد اللطيف الكبيسي. المحقق.

بأوامره باعتباره وزيراً للدفاع. ولما رد الدكتور وجيه عليّ جوابه شعرت
بذكاء عبد الرزاق الناييف ومن وراءه، وأتته سوف يخدر الجميع ويمضي قدماً
في تطبيق ما ارتآه، وبالفعل استطاع أن يقود هو ومجموعة الحرس (إبراهيم
الداود وسعدون غيدان) والبعض من تنظيم الرمادي المدعومين بشكل خفي
من قيادة حزب البعث برئاسة أحمد حسن البكر عمليّة تنصيب عبد الرحمن
عارف رئيساً للجمهورية. وعلى هذا جلس عبد الغني في منزله كما طلب
الناييف وبقي عبد العزيز العقيلي ينتظر الانتخابات.

وفي تلك الفترة أيضاً حاولنا الاتصال بالدكتور عبد الرحمن البزاز وكان
أخي محمد - يرحمه الله - يعرفه معرفة بسيطة فطلبت منه أن يذهب إليه
ويضعه في الصورة، وأن يخبره أن قضية الانتخابات هذه ليست سوى لعبة
لتمرير مخطط يأتي بعبد الرحمن عارف رئيساً للجمهورية ليحكم الناييف
باسمه البلاد، إلا أن عبد الرحمن البزاز رغم كونه أستاذاً وسياسياً مدنياً وذا
خبرة وتجربة قد خدع أيضاً بفكرة الانتخابات، وقال لأخيه وصديقه الوسيط
قريب البزاز: إن عدد الوزراء يفوق عدد أعضاء مجلس الدفاع؛ ولذلك فإن
فوزه في تلك الانتخابات المحدودة محتم، فالوزراء سينتخبونه وهم
الأكثرية، وسيصبح رئيساً للجمهورية. وبذلك ينتقل الحكم إلى المدنيين
وتجرى انتخابات حرة.

وبالفعل انتظر الجميع حتى انتهوا من تشييع جثمان عبد السلام عارف
ودفنه، وكان اللولب الذي أدار معركة نقل السلطة إلى عبد الرحمن عارف
ذلك الشاب الذي يقبع في إدارة الاستخبارات في وزارة الدفاع ألا وهو عبد
الرزاق الناييف، ولما عقد الاجتماع في القصر الجمهوري بين الوزراء
ومجلس الدفاع جاء بإبراهيم الداود وبعض الضباط الآخرين ليقفوا حول
المجتمعين بأسلحتهم - مرددين ما قاله شاعر معاوية وهو يرشح يزيد لخلافته
«أمير المؤمنين بعد أمير المؤمنين هذا» وأشار إلى يزيد فمن أبى فهذا وأشار
إلى السيف - ولما انتهت تلك الانتخابات العجيبة بالفعل كان عبد الرحمن

البزاز الأكثر أصواتاً، على حين كسب عبد العزيز العقيلي صوته وصوتاً آخر، وحصد عبد الرحمن عارف بقية أصوات العسكريين، وتم إقناع عبد الرحمن البزاز بضرورة أن يتنازل بأصواته لعبد الرحمن عارف؛ ليكون رئيساً للجمهورية، على أن يتولى البزاز منصب رئيس الحكومة نظراً لأنّ الجيش لن يقبل في هذه المرحلة أن يكون رئيس الجمهورية من خارج الجيش، وهكذا تم تنصيب عبد الرحمن عارف رئيساً في ١٦ نيسان / أبريل عام ١٩٦٦ وأسقط في أيدي الآخرين، وانتصر عبد الرزاق النايف وصار في المرحلة الأولى بمثابة المحرك للأحداث بما يوحيه إلى عبد الرحمن عارف، الذي كان يدرك أن من جاء به إلى السلطة إنما هم هؤلاء، أي عبد الرزاق النايف ومن معه من الضباط فلم يكن يخالف لهم رأياً ولا يعصي لهم أمراً.

ثم تتابعت الأحداث وأقيل عبد الرحمن البزاز، وشكلت وزارة موسعة جديدة في آب عام ١٩٦٦. وأعيد البعثيون المنفيون خارج البلاد إلى العراق، وعين لرئيس الجمهورية أربعة نواب لرئيس الوزراء منهم عبد الغني الراوي وطاهر يحيى، ثم تتابعت الأحداث وبدأت الأزمة بين مصر وإسرائيل تتفاقم، وأرسل عبد الناصر زكريا محيي الدين لإطلاع القيادة العراقية على الموقف، وقد سئل السيد زكريا محيي الدين عمّا إذا كان يريد قوات عراقية تشارك في القتال ضد إسرائيل إذا وقع، فأفاد - في محاضر رسمية لذلك اللقاء نحن لا نتوقع قتالاً فهي مجرد عمليات تهديد وضغط سياسي، ولو حصل واختارت إسرائيل سبيل الحرب فإنّ الجيش المصري وحده قادر على إلقائها في البحر، وأردف قائلاً: لكن إذا أردتم أن تستفيدوا سياسياً من الموقف فابعثوا بقوات رمزية تشارك في أية مناوشات قد تحدث، وبالفعل قررت الحكومة العراقية إرسال فوج واحد، ورأى عبد الرحمن أن يكسب شرفاً أكثر فأمر بأن يكون ابنه قيس وأخو زوجته من بين الضباط الشباب الذين سيغادرون إلى مصر للمشاركة في شرف النصر واحتفالاته ضمن ذلك الفوج.

وأرسل الفوج في نهاية مايو (١٩٦٧) ورابط بالقرب من قناة السويس، وجاء عبد الغني الراوي بوصفه نائباً لرئيس الوزراء على رأس وفد حكومي عراقي لزيارة الفوج والاطلاع على ما يجري على الجبهة المصرية، وبدأت حرب الأيام الستة وعبد الغني الراوي وطاهر يحيى من نواب رئيس الوزراء في مصر، وكانوا في طائرة مصاحبة تقرر أن تذهب مع طائرة المشير عامر لتفقد الجبهة، ولكن الله نجاهما من إسقاط محتمل لطائرتهما وعادا إلى المطار قبل أن يشتد القصف الإسرائيلي على المطارات المصريّة، ثم عادا إلى العراق وبقي ذلك الفوج في مصر عدة أشهر إلى أن تم سحبه.

ورغم هزيمة حزيران التي أظهرت كثيراً من عورات النظم العسكرية فإنّ محاولات التغيير من داخل المؤسسة العسكرية استمرت، ووجد البعثيون في ذلك فرصة لمضاعفة نشاطهم في العراق وتهيئة أنفسهم للعودة إلى السلطة والإمساك بها من جديد، خاصّة وقد أزيحت أهم عقبة من أمامهم هي عقبة عبد السلام عارف الرجل الشجاع إلى حد التهور والقادر على المواجهة، وهمش كثيرون مثل عبد العزيز العقيلي وعبد الهادي الراوي^(١) وعبد الغني

(١) اتهم بمحاولة انقلابية فاشلة ضد حزب البعث وحكومته بعد انقلاب ٨ شباط سنة ١٩٦٣ نتيجة التجاوزات (الحرس القومي) والمضايقات والملاحقات التي تعرض لها (القوميون) ... وتسربت إلى الاسماع عن قيام (تكتلات عسكرية) في الجيش العراقي وكل تكتل اسم احد الضباط وبرز اسم عبد الهادي الراوي كرئيس لأحد هذه التكتلات العسكرية واستطاع أن يقيم علاقة ما مع (حركة القوميين العرب) خاصة بعد ان ساءت العلاقة بين حكومة البعث والتيار القومي وأعلن ذات يوم عن اكتشاف (مؤامرة) انقلابية بطلها عبد الهادي الراوي بالتعاون مع حركة القوميين العرب واعتقل الراوي وكذلك (سلام أحمد) المسؤول الأول يومئذ عن الحركة وعناصر قيادية أخرى عوملوا معاملة سيئة وتعرضوا إلى التعذيب من أجل انتزاع الاعترافات.. وكان عضو الصندوق العربي، للقوميين العرب في العراق. وبعد خروجه من المعتقل أصبح وزيراً للزراعة في حكومة (طاهر يحيى) سنة ١٩٦٥. وكان جريئاً في طرح إرائه. ثم أصبح وزيراً للشباب في وزارة (طاهر يحيى) أيضاً بعد نكسة خمسة حزيران سنة ١٩٦٧. قام حزب البعث بحركته الانقلابية في ١٧/٧/١٩٦٨ ووضع العراق تحت مجهر المراقبة ومنها القوميين العرب =

الراوي وآخرين، وفي تلك الفترة جمع عارف عبد الرزاق البقية الباقية من أفضل العناصر القوميّة المنتمية إلى الجيش، وزج بهم في محاولة انقلابية فشلت وأدت إلى تفرغ الجيش من كثير من العناصر القوميّة والناصرية والمستقلة النظيفّة، ليكون في مقدور البعثيين التحرك بحريّة أكبر وإظهار إخلاصهم لعبد الرحمن عارف ونظامه، وقد فشلت تلك المحاولة فأردفها عارف عبد الرزاق بمحاولة أخرى لم تكن أقل خطورة على نظام عبد الرحمن عارف والنايف والمجموعة من الأولى لكنهم استطاعوا إفشالها.

وكان دور المنظمة العسكريّة انتظار الفرصة المواتية لإحداث تغيير يجعل المنظمة قادرة على أن تحكم بنفسها، وتضع قياداتها عبد الغني الراوي ومحمد فرج وجابر حسن حداد والآخرين في موضع القيادة والسلطة. ولما رأت المنظمة أن نجاح القوميّين الناصرين بقيادة عارف عبد الرزاق سوف يقطع الطريق عليها وربما يؤدي إلى تفتيتها فقد سارعت لتأييد عبد الرحمن عارف، وأرسلت بعبد الغني الراوي وبعض الضباط المنتمين إليها إلى القصر الجمهوري لتأييد عبد الرحمن، ومساعدته وأعوانه في إحباط

= قد اعتقل عبدالهادي وصبحى مدحت السعود وبعض أعضاء الجمعية بتهمة (التآمر) لأحداث انقلاب عسكري ضد الحكومة . ووضع قي (سجن رقم واحد) في معسكر الرشيد لمدة سبع سنوات. بعد خروجه من السجن سافر إلى لبنان. وحصل أحد العراقيين المقيمين في بيروت على خطة التصفية فسربها إلى احد أصدقاء الراوي في القاهرة فأدركه هذا قبيل أن يسافر إلى بيروت وفشلت الخطة. وعندما قامت الثورة الإسلامية في إيران لم يستقبلها الراوي بقبول حسن رغم توجهه الإسلامي ولكنة لم يتخذ منها موقفاً معادياً ... ولكن وعند اندلاع الحرب العراقية الايرانية سنة ١٩٨٠ انحاز تماماً إلى جانب نظام صدام ... إذ راح يفتش عن ضباط مصريين متقاعدین وإغرائهم من أجل العمل في صفوف الجيش العراقي واختيارهم من أصناف معينة يحتاج إليها الجيش العراقي. وتوثقت علاقته بالسفارة العراقية وكثر تردده عليها حيث تبرم بحضوره العقود والصفقات الضباط المسافرين إلى بغداد. (أنظر : أحمد الحبوبي «أشخاص كما عرفتهم : العميد عبد الهادي الراوي - صفحة جديدة»

المحقق. (www.alkomi.org/habobi5.htm)

محاولة عارف عبد الرزاق ومن معه، لكن لو حدث وقتل عبد الرحمن أو اغتيال فيجب أن يحل الراوي محله فوراً، وعلى المنظمة أن تسيطر من خلال وجود ضباطها في وحدات الحرس ووزارة الدفاع ومعسكرات بغداد، وتفرض نفسها وتعمل على إقامة النظام الإسلامي الذي نذرت نفسها لإقامته!! فعلت ذلك في الحركتين اللتين قام بهما عارف عبد الرزاق ضد عبد الرحمن عارف ولم تحصل على شيء في الاثنتين. وكان دور عبد الرزاق الناييف تخذلياً ومريباً في الحركتين بالنسبة لنا ولسائر القوى الأخرى غير البعثية، وكان الثمن الذي دفع لقيادة المنظمة هو تعيين عبد الغني الراوي نائباً لرئيس الوزراء فقط لا غير.

وصف الحالة في بغداد بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ حتى انقلاب السابع عشر من تموز (١٩٦٨).

الاشهر الاخيرة قبل انقلاب ١٩٦٨ :

رغم نشاطي الذي ذكرته في عهد عبد السلام عارف وظهر لي فيما بعد أنّ عبد السلام كان على علم به أو ببعضه على الأقل لكن لم يحدث من عبد السلام ضدي رد فعل أكثر من إصدار أمر بنقلي من الكلية العسكرية إلى منصورية الجبل. كان أمر الكلية - آنذاك - العميد الركن عدنان عبد الجليل، وكان يعرفني حيث عملت معه في التدريب العسكري وبيننا صداقة ومودة وتعاون فرفض تنفيذ النقل وكتب يطلب إبقائي للتدريس في الكلية حتى يجدوا مدرساً كفوّاً يستطيع تدريس الدراسات الإسلامية يحل محلي. فبقيت مدرساً في الكلية العسكرية حتى مغادرة العراق في (٢٦/٦/١٩٦٩م). وقد حدثني الأخ عبد الرحمن الإرحيم وكان عبد السلام يزوره في بيته مرة في الأسبوع، فكلمه في موضوع نقلي من الكلية العسكرية ورجاه إلغاء أمر النقل فضحك عبد السلام وقال له: «أنت تعرف أنّي أقدره، وأنسب عمل يقوم به هو التدريس في الكلية العسكرية، ولكنه يعمل للتخصير لانقلاب ضدي ليأتي بعبد الغني الراوي رئيساً؛ لأنه يصلي عنده على الدوام فظنّ أنّه أدين

مَنِّي وأنتقي، وأنه مَنْ سوف يطبق الإسلام؛ لأنه لا يعرف عن سلوكيات عبد الغني شيئاً فلعلكم تنصحونه بالابتعاد عنه فإنني لا أحب أن أؤذيه. وأنا مستعد لأن ألقاه وقتما يشاء وأناقش معه الأمر لثقتي بأنه مخدوع». ولو أنني استقبلت من أمري ما استدبرت وعدت لمقاييس تلك المرحلة لوجدت أن تأييد الرئيس عبد السلام كان أولى وأنفع للبلاد من تجربتي مع عبد الغني الراوي الذي أثبتت الأيام بعد ذلك أنه غير مؤهل للموقع الذي حاولنا وضعه فيه، وخاصة العقلي والنفسي^(١) وما أبرئ نفسي فربما سَوَّلت نفسي ووسوس لي الشيطان بأنَّ عبد الغني رجل أنا مَنْ صَدَّره ورشحه للتطلع إلى الرئاسة، وكان يلقبني مثل مَنْ يعرفوننا من الناس بأنني عقله المفكر، وعرض عليّ

(١) يقول نجل عبدالرزاق الناييف أن الراوي «كان شخصاً متسرعاً ومتهوراً ما سهل للسلطة اختراق الحركة، وهو ما أدركه والدي. وثق الراوي بالشخص الذي زرعه السلطة وهو كاكا أحمد وأعطاه اسماً الضباط. وتردد أن كاكا أحمد سجّل لقاءات عقدها مع الراوي. والدي كان حذراً». ويصف عبدالرزاق الناييف في مذكراته عبدالغني الراوي بهذه العبارات القاسية «إنسان غريب عجيب يدعي شيئاً وفي بطانته شيء آخر... من دون سابق انذار وصل إلى دار الضيافة الذي كنا نقيم فيه ضيفاً على الحكومة الإيرانية شخص عراقي كردي الأصل اسمه كاكا أحمد يعمل مقولاً في العراق ويدعي أنه تسلل من الحدود وجاء لمقابلة غبي الراوي بمهمة خاصة. من دون أي شك علمت ان الموماً اليه أرسله رئيس عصاة البعث بواجب خاص، ومكث يومين مع الراوي وبعدها غادر إلى العراق مدعياً أنه سيتسلل أيضاً من الحدود. لا أدري كيف اقتنع الإيرانيون بهذا العذر، وكيف صدقه الغبي عبدالغني» (أنظر: «الحياة» إنقثت عائلة رئيس الوزراء العراقي الراحل، «الحياة، الكاتب: غسان شربل، ٣ / ١١ / ٢٠٠٣، رقم العدد ١٤٨٣٣ : - تحقيقات ١٥ ، ويصفه الآخرون بكونه «إنسان اناني انتهازي غريب الأطوار، ميال إلى العنف والذبح ، ... وكثيراً ما يتبجح بها علنا ويدعي البطولة المزيفه ..» عربي الخميس. الحوار المتمدن - العدد: ٢٣٣٨ - ١٠ / ٧ / ٢٠٠٨، المحور: دراسات وأبحاث في التاريخ والترات واللغات). ويقول رضا شبيب في مذكرا ته كان للراوي «استعداد للمقاومة. فكنا نحذر منه... ولأنه يأمن الكثير ممن لا يجب أن يكونوا موضع الاهتمام والائتمان على الاسرار فضلاً عن تسرعه المعروف في وضع الخطط وتنفيذه دون دراستها ودون اداء واتقان كامل..» علي كريم سعيد ، عراق ٨ شباط ١٩٦٣ ، ص ٧٣ - ٧٤).المحقق.

الزواج من إحدى ابنتيه، ولما أخبرته بأنني حريص على المحافظة على العلاقة بين أبي وعمي، وذلك يقتضي أن أتزوج بابنة عمي، فأكد بأنّ علاقتنا أولى بالتوثيق والمحافظة، وأنه تشاور مع زوجته الفاضلة أم السعد وأيدت الفكرة فأقنعت به بأنّ رابطتنا الآن أقوى من المصاهرة، ولن تزيد المصاهرة شيئاً. إنّ الشيطان قد سوّل إليّ بأنّ عبد الغني إذا جاء إلى الرئاسة فسأكون الموجه له، فهو لا يقطع أمراً آنذاك - فيما كان يبدو لي - دوني وإن أثبتت التجربة مع إيران غير ذلك، فكنت أظن أنّني وهو مثل البكر وصادم في بداية انقلاب الثلاثين من تموز وسنوات حكم البكر. الآن أحمد الله وأشكره أنّ ذلك لم يحدث ولم تنجح محاولتنا في الوصول إلى السلطة. ولو حدث لتلوّثت ولفقدت طهري وآخرتي، ولابتليت بدماء لا بد أن تجرف من يُبتلى بها إلى النار. فالحمد لله فلولا حفظه وتدييره لربما حدث ما ذكرت، وتحوّلت إلى قاتل تحت ضغط تلك الظروف.

الفصل الرابع

العراق وإيران: الطريق إلى طهران

العلاقة بين إيران والعراق ودول الخليج علاقة لا انفصام لها، يفرضها التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والأمن والدين والتقاليد وسائر الروابط التي لا تسمح بأن تقوم بين هذه البلدان علاقة أقل من علاقة التضامن وحسن الجوار، وهذه الروابط تجعل من عمليات الاحتراب والتعادي أو الفرقة بين هذه البلدان عملية تحمل بذور انتحار سياسي، بقطع النظر عن الطرف المعتدي والطرف المعتدى عليه. ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون الاضطراب أو الخلل في العلاقة بين هذه البلدان في مصلحة أي طرف من هذه الأطراف بل العكس هو الصحيح، والمرجح أن العوامل الخارجية هي التي توجد أجواء التناقض والصراع بين هذه البلدان.

تاريخ العلاقة وأسسها الحاكمة

العلاقات العربية الإيرانية لها تاريخ طويل، فعلماء العرب عندما كانوا يعارضون الحكام الأمويين والعباسيين من بعدهم كانوا يلجأون في الغالب

إلى بلاد فارس، وكثيرون منهم حملوا أسماء نسبة للبلدان التي سكنوها، فهناك العلماء العرب المراززة الذين يحملون لقب مروزي، وهناك الرازيون الذين ينسبون إلى الري والشهرستانيون والأصفهانيون وغيرهم.

والحقيقة أنّ رجال العهد الملكي كانوا واعين بهذه الحقائق مدركين لها ولذلك لم يسمحوا بتأزيم المواقف وإيصالها إلى مرحلة الانفجار. صحيح أنّ هناك قضايا عالقة كثيرة على مستوى الحدود وعلى مستوى شط العرب بالنسبة للعراق وعلى مستوى المياه وضم عربستان الغنية بالبتروول إلى إيران، وهي إمارة عربية تسكنها قبائل ظلت حتى العشرينيات من القرن الماضي تخضع لشيوخ عرب، ومن ضمنها إمارة أو مشيخة المحمّرة التي يحكمها شيخ قبيلة الخزاعل، وهم ذوو صلات وثيقة بالعراق، ولكن السياسات المختلفة في المنطقة كانت تعمل على احتواء أي اختلاف، والوصول إلى تفاهات ومصالحات مهما كانت هشّة أو ضعيفة، لكنها في سائر الأحوال تنتهي باحتواء الأزمات وتنفيها ومنع التصعيد في سائر الأحوال.

وحين تأزمت قضايا الحدود بين إيران والعراق في مرحلة من مراحل العهد الملكي؛ ذهب نوري السعيد إلى طهران في عهد الشاه رضا بهلوي (١٩٤١م) ومعه خارطة العراق، وبمجرد أن أدخل على الشاه رضا بهلوي بسط خارطة العراق بين يديه، وقال له: «يا جلالة الشاه هذا قلمي وتستطيع أن تخط على ما تريد من هذه الخارطة بيدك ولن نخالف لك رغبة، فلا حدود بين العراق وإيران؛ لأننا نؤمن بأنهما بلد واحد، ولن تجد منا اعتراضاً أو مخالفة فنحن نعتبرك ملكاً لنا كما أنك ملك لإيران»؛ فضحك الشاه ورد القلم إلى نوري، وقال له: «لقد هيأت - كلاماً كثيراً ومطالب عديدة، ولكن لا يسعني الآن إلا أن أقول إنّ البلدين بلد واحد، ولا ينبغي أن نشير مشكلات حول الحدود وعلينا أن نسعى لتدعيم العلاقات بين البلدين والمصالح المشتركة ونتجاهل الشكليات».^(١)

(١) مصدر هذه المعلومات هو خليل كنة الذي بدوره ينقل عن نوري السعيد هذا التصور، وقد =

وهكذا سارت الأمور وحين انتصرت حركة مصدق^(١) فر الشاه محمد

= نجد إشارة لهذه المعلومات في كتاب المميز وهو من الكتب المفقودة، بعنوان (الإيرانيين كما عرفتهم) والمؤلف كان أول سفير للنظام الملكي العراقي في طهران. ونقل لي مثله السيد خالد النقشبندي عضو مجلس السيادة، حيث كان يصلي الجمعة معي في جامع الحاجة حسبية الباجيجي، ونجلس للحديث بعد الصلاة جلسات مطولة، تمتد في بعض الأحيان لساعة أو أكثر، وقال لي: بأنه حين كان مسؤولاً عن جانب من الحدود العراقية الإيرانية كضابط في الجيش أنه حدثت له وقائع من دخول رعاة إيرانيين إلى الأراضي العراقية وعكسها وفي إحدى المرات كادت تقوم حرب موضعية بين الطرفين، يقول فدعوت إلى اجتماع عاجل مع مسؤول الحدود الإيراني، وجلسنا نتفاوض فسألت المسؤول الإيراني عن حجم القوات الإيرانية الموجودة على الحدود بين العراق وإيران، وكانت نفوس إيران آنذاك لا تتجاوز ثلاثة ملايين، وجيشها كله لا يعدو الثلاثين ألفاً إلى أربعين في أكثر التقديرات، لكنني حين سألته قال لي: سبعمائة وخمسين ألفاً، فضحكت لأنني أعرف أنه قد كذب ولكنه ذكر هذا الرقم ليخيفني من المواجهة، فالتفت إلي المسؤول الإيراني وسألني كم عدد القوات العراقية على هذه الحدود فقلت له مليون ونصف، وكانت نفوس العراق آنذاك لا تتجاوز مليون ونصف، ففقر المسؤول الإيراني من كرسيه وقال للشيخ خالد هذا مستحيل، فقلت له نزل أنت وأنزل أنا، وضحكنا، وبعد ذلك قرنا معاً أن نتسامح في دخول الرعاة من الطرفين لساعات محدودة بحثاً على الكأالمواشيهم، على أن لا يزيد توغلهم عن ثلاثة كيلو مترات. المؤلف.

(١) محمد مصدق (١٨٨٢ - ١٩٦٧م) شغل منصب رئيس الوزراء الإيراني في الفترة من (١٩٥١ - ١٩٥٣م) ويوصف بأنه بطل قومي إيراني حيث قام بتأميم النفط الإيراني وقام بالإطاحة بالشاه محمد رضا بهلوي الذي أعيد إلى إيران في عام ١٩٥٣ بعملية عسكرية أمريكية بريطانية مشتركة. عانت إيران من اضطرابات سياسية بعد الحرب العالمية الثانية، أدت برئيس الوزراء الإيراني محمد مصدق إلى إرغام الشاه محمد رضا بهلوي على مغادرة إيران، حيث احتدم الصراع بين الشاه ومصدق بداية شهر أغسطس ١٩٥٣، فتدهور الوضع السياسي تدهوراً لم يعرف من قبل، فالتجأ الشاه إلى بغداد أغسطس ١٩٥٣ بصحبته زوجته الملكة ثريا ومرافقه الخاص بطائرته الخاصة. واستقبل بحفاوة بالرغم من استنكار حكومة مصدق، وبعد أداء مراسم الزيارة في الكاظمية وكربلاء والنجف غادر متوجهاً إلى إيطاليا، وقبل أن يغادر وقع قرارين: الأول يعزل مصدق والثاني يعين الجنرال فضل الله زاهدي محله، لكنه عاد إلى إيران بانقلاب مضاد لانقلاب رئيس الوزراء بمساعدة المخابرات الأمريكية والبريطانية، وأقال مصدق من منصبه، واستعاد عرش إيران، وكان ذلك عام ١٩٥٣.

رضا بهلوي والتجأ إلى العراق؛ فأواه العراق وفتح له أبوابه وظل ضيفاً معزراً إلى حين مغادرته إلى إيطاليا. ومن الطرائف أن «الشهبانو ثريا» حين وصلت بغداد افتقدت كلبها الذي نسيته في طهران فطلبت من الحكومة العراقية إحضار الكلب، فأرسلت الحكومة طائرة خاصة إلى طهران، ورجت الدكتور مصدق بأن يأمر بالبحث عن كلب «الشاه بانو» ويرسله إلى بغداد؛ وقد فعل الرجل، وكانت نكات العراقيين كثيرة حول كلب «الشاه بانو»، ما زال جيلي يذكر بعضها.

والإيرانيون ينظرون إلى العراق نظرة كل المسلمين إلى الحرمين في مكة والمدينة، فالعراق بلد العتبات المقدسة عند شيعة العالم في الكاظمية وسامراء وكربلاء والنجف، وحين كانت الأمور تتأزم بين الدولتين الصفوية والعثمانية ويصعب نقل موتى الإيرانيين إلى مقبرة النجف، كان الإيرانيون يعمدون إلى تهريب جثث ذويهم بعد تقطيعها وحفظها بطرق مختلفة لإرسالها إلى مقبرة النجف؛ لاعتقادهم أنهم أول من يبعثون من قبورهم يوم القيامة^(١). وقد اعتبرت الدولة العثمانية ذلك نقطة ضعف لدى الإيرانيين عمدت إلى استغلاله في بعض الأحيان، وذلك حين منحت مقبرة النجف بطريق «اللزمة» لأحد اليهود، فكان يتعسف في أجور الدفن وما يتقاضاه من أموال حينما يأتي الإيرانيون لدفن موتاهم. وللأسف فإن العهد الذي تلت لم تستطع أن تحرز نجاحاً يذكر في هذا المضمار، ولم تبني على ما أسسه العهد الملكي، وظل الأمر يتدهور حتى بلغ حد إسقاط العراق، وتفكيكه وجعله من جديد ساحة للصراع الدولي والإقليمي.

وكذلك كان للحوزات العلمية في النجف وكربلاء مكانتها الرفيعة لدى الإيرانيين، فلم يكن يعترف بعلم عالم أو اجتهاد مجتهد أو بلوغ درجة آية

(١) لمعرفة المزيد عن أهمية النجف في عقائد الشيعة الإمامية انظر، محمد باقر بن محمد تقي مجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٥، طبعة إيران، ١٨٨٣.

الله إذا لم يجاور فترة في النجف الأشرف. وقد قام الشاه في مرحلة صدامه مع الإمام الخميني ومؤيديه من الأئمة الشيعة بنقل المرجعية الدينية من إيران إلى العراق ممثلاً في شخص السيد محسن الحكيم (ت ١٩٧٠م).

وكان على العراقيين أن يحسنوا توظيف هذه العوامل في بناء علاقاتهم مع إيران وألا يسمحوا باضطراب هذه العلاقة. وقد كان ذلك ممكناً، وإن كانت هناك خلفيات تاريخية معقدة. فالعراق كان من أهم ساحات الصراع بين العثمانيين والصفويين، فمرة يقع تحت سيطرة الصفويين فتعلو فيه كلمة التشيع، ومرة يقع تحت تصرف العثمانيين فتعلو فيه كلمة أهل السنة، وقد أثر ذلك تأثيراً كبيراً على المزاج العام للشيعة والسنة في العراق، وعلى نظرة كل من تركيا وإيران إليه باعتباره ساحة من ساحات الصراع بين الدولتين.

إن وجود سياسة حكيمة متوازنة قادرة على استلهام الدروس والعبر من التاريخ، والإفادة من الموقع الاستراتيجي كان يمكن أن تجعل من العراق لاعباً مهماً يطلب الجميع وده، وقد نجح العهد الملكي إلى حد بعيد في ذلك. فحين بلغ المد القومي مداه في العراق بعد ثورة القسام في فلسطين ١٩٣٦م، كان رجال العهد الملكي في العراق مع عروبتهم وعنايتهم بالاتجاهات القومية التي انتموا إليها في ظل الدولة العثمانية، ومساندتهم للشريف حسين في ثورته العربية مدركين أن وضع العراق لا يسمح له بتبني القومية العربية من دون تحفظات أو قيود، فكانوا يتحفظون على الامتدادات السياسية، ويحاولون أن يوازنوا بين التطلعات القومية لعرب العراق والحساسيات التي يمكن أن تترتب على ذلك لدى إيران ولدى قسم من شيعة العراق ذوي الجذور الإيرانية، كما كانوا يعملون على إحداث التوازن بين تطلعات الأكراد من جانب، والمدى الذي يحتمله شيعة العراق من الاتصال بالعمق العربي، بشكل يمكن أن يشكل تهديداً يضر بهم أو يؤثر في نسبتهم ويجعل منهم أقلية غير مؤثرة من جانب آخر، وقد كان رجال العهد الملكي يتحملون لوماً من الجماهير العربية والأحزاب القومية وربما بعض الدول العربية - نتيجة محافظتهم على تلك التوازنات.

كل ذلك كان من الممكن أن يؤدي إلى قيام علاقات متميزة يمكن
توظيفها لصالح البلدين، ولكن السياسات الاستعلائية لشاه إيران محمد رضا
بهلوي أدت إلى تآزيم العلاقات بينه وبين جيرانه العرب، وصار مجرد القول
بالخليج العربي أو استعماله في المنطقة كافياً لوضع الإنسان سياسياً كان أو
صحفياً أو أكاديمياً على القوائم السوداء، كما عمل على تنقية اللغة الفارسيّة
من المفردات العربيّة، وهي تبلغ أربعين بالمائة منها أو تزيد خاصّة في
الفارسيّة الإسلاميّة التي يستعملها العلماء والأكاديميون والصوفيون والشعراء
والأدباء الإيرانيون، وافتعل الخلافات السياسية مع العرب، حتى أن المملكة
العربيّة السعوديّة التي عرفت بحكمة قيادتها - في عهد فيصل خاصّة - لم تنج
من غطرسته، وافتعل معها أزمات عديدة على الجرف القاري السعودي،
حتى بات يلقب بـ«شرطي المنطقة» فكان المسؤول عن تأديب معارضي الغرب
ومن يشكلون خطراً على إسرائيل. إلى أن استنفذ الشاه أغراضه وصار عبئاً
على أصدقائه الغربيين وغيرهم، وأمام الزخم الثوري وبعد فشل محاولة
إقناعه بسلوك مسلك ديمقراطي يخفف من قبضة الأجهزة الأمنية بدأ حلفاءه
يشعرون بشيء من الخجل من حمايته، وصار للمعارضة الإيرانيّة في الخارج
صوت مسموع، كما أنّ الداخل بدوره قد تحرك وحدثت انتفاضات قادها
علماء ومفكرون مسلمون أبرزهم الإمام الراحل الخميني (ت ١٩٨٩م)،
ووجدت أمريكا أنّه لا بد من إفساح الطريق أمام التنفيس عن الغضب الشعبي
على أمل ترويضه فيما بعد. كانت الحسابات آنذاك مختلفة فأن صحت في
موقع فلا تصح في سائر المواقع، وانتهت بهروب الشاه وتركه يهيم على
وجهه لا يجد بلداً يؤويه من تلك البلدان الصديقة التي كانت تتطلع إلى
رضاه، فإذا بها تتخلى عنه رغم مرضه المتقدم بالسرطان وكون حالته
الصحيّة والشخصيّة تستدعي الشفقة، فلم يجد إلا الرئيس المصري أنور
السادات يرحب به ويمنحه ملجأ في مصر البلد المضيف، حيث توفي وقُبر
«بتكريم» في القاهرة.

وقد تسلم قيادة إيران في أعقاب هروب الشاه الإمام الراحل الخميني الذي تهيأت إيران لاستقباله عائداً من منافيه في النجف واستانبول وباريس بطائرة فرنسية. وافتتحت صفحة جديدة في العلاقات يقودها علماء الدين وبعض التكنوقراط بقيادة «الولي الفقيه» الذي حاول أن يفتح على العالم العربي والإسلامي بطريقة جديدة هي طريقة الداعية، الذي يريد من الآخرين أن يتغيروا ويستجيبوا لدعوته ويقبلوا توجيهه وإرشاده، فكان رد الفعل عنيفاً، ومع كل ما حاولته قيادة الثورة الإسلامية للتقرب من العرب من غلق سفارة إسرائيل وتسليم مقرها لياسر عرفات (ت ٢٠٠٤م) ومنظمة التحرير، وإعلان التضامن مع كثير من القضايا العربيّة المطروحة لكن تلك المحاولات لم تجد صدى من العرب بسبب الاعتقاد أنّ النظام الإيراني الجديد يريد أن يثور البلدان الأخرى ويصدر الثورة إليها، هكذا بدأت صفحة جديدة من العلاقات التي لا يمكن وصفها بالود بين العرب وإيران التي تجاهلت كل غرور الشاه واستعلائه، وركزت على أمر واحد هو أنّ النظام الجديد سيعمل على تغيير أنظمتها وحكامها وخوارطها الاجتماعيّة، وزاد في تلك المخاوف التأييد الشعبي اللامحدود الذي حظيت به الثورة الإيرانيّة في العالم الإسلامي.

أثناء هذه الأحداث كنت قد وصلتُ من خلال تحليل للوضع أنّ هذه الثورة الشعبيّة الإسلاميّة يخشى الغرب أن تنتقل إلى العالم العربيّ والإسلاميّ الذي يعاني حالة اختناق تجعله عرضة للانفجار في أكثر من مكان.

هذا الانفجار كان المرشح له مصر بالدرجة الأولى، واندونيسيا بالدرجة الثانية، وإيران بالدرجة الثالثة، وكان الرئيس الأمريكي جيمي كارتر (١٩٧٦ - ١٩٨٠م) سبق له قبل نجاح الثورة الإيرانيّة أن أعطى إشارات أنّ على الغرب حماية مصالحه من خلال زرع مد شعبي في البلدان السنيّة؛ لاتخاذ وسيلة لإثارة الصراع الطائفيّ، وسنّي في المناطق الشيعيّة، وبالفعل شرعت

إيران في نشر التشيع^(١)، وفي نفس الوقت اثرت النعرات المذهبية بين السنة في إيران، وكان هناك تخوف من تصدير الثورة إلى مصر تحديداً؛ لأنَّ فيها تياراً إسلامياً قوياً له قيادة أتت في أعقاب انهيار زعامة تاريخية هي زعامة عبد الناصر فكانت إيران تبدو ضعيفة عقب الثورة رغم قوتها، فكان لا بد للغرب من القيام بعمل ما يوقف تصدير الثورة إلى بلاد أخرى، ويسحب الصفة الإسلامية من الثورة، ويحاصرها باعتبارها ثورة فارسية وطائفية لا ينبغي للعرب والسنة التأثر بها وقد تحقق له ذلك من خلال إثارة قضية «عربستان» التي حركها صدام، وإثارة قضية «الأكراد» في داخل إيران، فإذا تم منح الأكراد بعضاً من حقوقهم فلا بد من منح التركمان بعض الامتيازات فنكون بذلك أمام سيناريو خطير فيما أن تنفتت إيران وإما أن تقدم على قتال الأقليات فتتهم بالفارسية وبالتالي تنتفي عنها الصفة الإسلامية ويتعذر عليها التمدد خارج حدودها^(٢). كانت هذه قراءتي لتطور مجريات الثورة

(١) فإن انتشار التشيع في ماليزيا وإندونيسيا جرت مناقشته في بعض اجتماعاتنا في ماليزيا مع السيد أنور إبراهيم، وأشار إلى تلك المحاولات الإيرانية المستقلة لتجنيد بعض الشباب الماليزي وإدخال المذهب الشيعي إلى إندونيسيا وماليزيا، وحين زرت قم للمشاركة في مجمع التقريب قبل حوالي خمسة عشر عاماً استضافني معهد باسم المعهد العالمي للفكر والدراسات الإسلامية في قم، وكان فيه حوالي عشرة آلاف طالب معظمهم من السنة، قدمت إليهم منح سخية، في ذات الوقت الذي قلصت فيه المملكة العربية السعودية المنح الدراسية للطلاب المسلمين الذين كانوا يذهبون إلى السعودية للالتحاق بالجامعة الإسلامية في المدينة وجامعة الإمام محمد بن سعود وغيرهما، ولذلك بدأ المذهب الشيعي ينتشر في كثير من البلدان الأفريقية والأمريكتين بعد تخرج أعداد من أولئك الطلاب الذين أتقنوا دراسة المذهب الشيعي في هذا المعهد، وهو أضخم معهد رأيت في الشرق أو الغرب في مبانيه، ومطاعمه، وملاعبه، والحياة المرفهة التي يستطيع الطالب أن يحياها فيه، وقد أعدت فيه مساكن للطلاب المتزوجين، عبارة عن شقق جميلة جداً، مبنية بالطراز الفارسي القديم، ومساكن للعزاب، وملاعب، ويتقاضى الطالب مرتباً يعد سخياً في تلك المرحلة، ورئيس جزر القمر السابق تخرج هناك، وهو اليوم يحمل لقب آية الله. المؤلف.

(٢) يقول جيمي كارتر في مذكراته عقدنا العزم على القضاء على الثورة من خلال انقلاب عسكري=

ومحاولات تطويقها وقد أثبتت الحوادث بعدها دقة تلك القراءة.

ويبدو أن صدام حسين قد تطوع لتنفيذ المخطط الغربي عبر حرب ضد إيران استدرج إليها بوسائل مختلفة منها التأييد والدعم السياسي والمالي الخليجيّ والتشجيع الغربي ورغبته في أن يلعب دور شاه إيران كشرطي للمنطقة كلها، وفي الوقت نفسه يحقق انتصاراً قومياً يكرس قيادته وزعامته لدى العرب.

والواقع أن صداماً لا يتحمل - وحده - تبعة تلك الحرب الضروس التي كادت تأتي على البلدين؛ فالأوضاع الإيرانية الداخليّة تتحمل جزءاً من المسؤولية في ذلك فكثير من المشكلات قد تركت على ما هي عليه، فلم تشرك الأقليات في إيران في إدارة البلاد على نحو ينزع فتيل التدمير أو الاستعداد للتهيج؛ كما أن الاستدراج لقضايا الاختلافات المذهبيّة، وتحريك دول الجوار نتيجة أخطاء في معالجة قضايا حدود أو مشكلات إقليمية أخرى هي مشكلات لم تكن القيادة الإيرانية بمعالجتها وفقاً لأساليب عصرية تتسم بالمرونة في التعامل مع الأقليات تعاملاً شفافاً يمكن أن يؤدي إلى تنفيس حالات الكبت والاحتقان الطائفيّ والعرقّيّ.

أما قضية كون الخليج فارسياً أو عربياً، فقد كان المتوقع من القيادة الإيرانية الإسلاميّة أن تنهي هذه المشكلة ببساطة شديدة، وذلك بتسمية الخليج «الخليج الإسلامي»، فإذا كانت الثورة الإسلاميّة قد غيرت أسماء كثيرة في مقدمتها اسم الدولة فقد كان الأجدر أن تغير اسم الخليج، وتطلق عليه تسمية محايدة لا تسمح برميها بالعنصريّة الفارسيّة ما دام جيرانها العرب

= إذا أمكن أو احتوائه وحصره ضمن الحدود الإيرانية وجاءت الحرب العراقية - الإيرانية لخدمة هذه السياسة. (لمعرفة المزيد عن عقيدة كارتر للشرق الأوسط انظر مذكرات كارتر

(Keeping Faith: Memoirs of a President , by Jimmy Carter Bantam Books (Mm)
المحقق. (October 1982).

حساسين للأمر. كما كان يرجى أن تعالج القيادة الإسلامية في إيران جميع القضايا مع العراق ودول (الخليج الإسلامي) بالروح ذاتها، ووفقاً لاجتهاد فقهيّ جديد يحول بين أعداء الأمة واستغلال هذه المواقف، وحتى ما يتعلق بقضايا الدعاة كان من الممكن بدلاً من تركيز بعض الدعاة على عملية التحول المذهبيّ كان يجب تعليمهم العمل على إيجاد فرق دعاة مشتركة تتفق على الكلمة السواء، وتخرج إلى دول وبلدان ما تزال على الوثنيّة والبدائيّة لتبلغها الأمانة وتؤدي إليها الرسالة وتدعوها إلى التوحيد فتعيد إنسانيّتها إليها وتتجاهل تلك الاختلافات الداخليّة حول الموقف من الصحابة أو من الخلافة، ف: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤] كما يعلمنا القرآن الكريم.

العلاقات العراقية الإيرانية في العهد الملكي

كانت المنطقة العربيّة مقسمة بعد اتفاق سايكس بيكو بين ثلاثة أسر حاكمة هي: الأسرة السعوديّة، والأسرة الهاشميّة، وأسرة محمد علي، على تفاوت في تلك القسمة، أمّا الأسرة السعوديّة فلقد دخلت حروباً مع الأسرة الهاشميّة لتأخذ منها الحجاز وتضمه إليها، ومن المعروف أنّ جدة لم تضم إلى السعوديّة إلا سنة ١٩٢٨ بعد أن طرد آخر ملك هاشميّ عليها هو الملك علي ابن الحسين، وقد تولى الهاشميون حكم العراق حيث تولى الملك فيصل ابن الحسين عرش العراق بتشجيع بريطاني بعد أن أطاح به الفرنسيون من عرش سوريا. وقد بذل فيصل كل جهده وطاقته ليجعل من العراق أقوى مملكة في المنطقة وأكثرها ازدهاراً، حتى يستطيع أن يباهي به الأسرة السعوديّة في الحجاز وأسرة محمد علي في مصر، وظل منذ تسلّمه السلطة - حتى اغتياله بالسّم^(١) كما هو الراجح في سويسرا - يكافح من أجل ذلك.

(١) سافر الملك فيصل الأول إلى بيرن في سويسرا في ١ أيلول / سبتمبر ١٩٣٣، لرحلة علاج وإجراء فحوص دورية ولكن بعد سبعة أيام أعلن عن وفاته في ٨ أيلول / سبتمبر ١٩٣٣ أثر =

ولا شك أنه حقق الكثير وصار العراق بعد ثلاث عقود يلقب بـ بروسيا العرب، ويحتضن كل القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين، ويدعم تحرير بلدان الخليج وسوريا ولبنان ويؤيد القوى الوطنية في البلدان المغاربية. وبعد اكتشاف الثروة البترولية صار العراق قوة يحسب حسابها، وقد استفاد الهاشميون من الثروة البترولية المكتشفة في إعمار العراق وإيجاد البنى التحتية الضرورية لدولته الناشئة.

وعلى صعيد العلاقات السياسية مع دول الجوار أقام العراق علاقات متوازنة مع جيرانه، بل حاول أن يطمئن مخاوفهم وقد بذل نوري السعيد - ثعلب السياسة العراقية آنذاك - كل جهد ممكن لإزالة كل أسباب البغض والخوف من العراق، حتى قيل إنه حاول أن يزوج الملك فيصل الثاني من إحدى كريمات الملك سعود بن عبد العزيز لينهي النزاع المستمر والخوف المتبادل بين الأسرتين ويعيد الوئام بينهما، وقد زار الملك سعود العراق سنة ١٩٥٧م وقوبل بحفاوة بالغة، وبدأت الأمور تأخذ مجريات أخرى، أما أسرة محمد علي فمعروف أنّ نفوذها قد انتهى في مصر مع ثورة يوليو/ تموز

= أزمة قلبية ألمت به. وقيل وقتها بأن للممرضة التي كانت تشرف على علاجه علاقة بموته حيث شيع بأنها قد سمته بدس السم في الإبرة التي أوصى الطبيب بها. وقد نشرت صحف المعارضة العراقية أن الوفاة لم تكن طبيعية، وشككت في دور بريطانيا في القضاء عليه، ودس السم في شرابه أو في الحقن الطبية التي كانت يحقن بها. وكانت تقارير الأطباء السويسريين قبل وفاته بيومين تؤكد أنه بصحة جيدة ولا يعاني من أمراض خطيرة، ولكن تقرير الوفاة ذكر أن سبب الوفاة هو تصلب الشرايين. وترجع الممرضة البريطانية التي كانت ترافق الملك سبب الوفاة إلى التسمم بالزرنيخ الذي أذيب في الشاي الذي شربه قبل وفاته بست ساعات، وبخاصة أن الأعراض التي ظهرت على الملك فيصل في الاحتضار هي أعراض التسمم بالزرنيخ. كما منعت السلطات السويسرية بتوصية من الحكومة البريطانية من إقامة التشريح الطبي له. حُنطت جثته وأُرسلت إلى إيطاليا ومنها إلى ميناء حيفا ومنه إلى عكا ومنها إلى مدينة الرطبة العراقية عن طريق الجو، حيث وصلت بغداد في ١٥ أيلول / سبتمبر ١٩٣٣ ودُفن في المقبرة الملكية في منطقة الأعظمية في بغداد. المؤلف

١٩٥٢، وكان نوري السعيد قد تقرب من رجال الثورة المصريّة وعمل على كسب ودهم وقد استمر منذ بداية الثورة وحتى شتاء عام ١٩٥٤ بمثابة المستشار السياسي للرئيس عبد الناصر ورفاقه، فقد زار القاهرة عدة مرات واجتمع بضباط الثورة وقدم لهم نصائحه في طرق التعامل مع القوى العظمى وما إلى ذلك، مما جعله يشعر بأنهم أبناؤه الذين لا يتوقع منهم التمرد عليه وأظنه أخطأ التقدير في ذلك.

في هذه الأثناء كان نوري قد تقدمت به السن وبدأ يتعصب لآرائه ويتشبّث بها، فكان يعتقد أنّ أفضل السبل لدرء الخطر الشيوعي وامتداده وتحجيمها، أن يقيم حلفاً إقليمياً يضم إليه إضافة إلى البلاد العربيّة تركيا وإيران والباكستان، وهذا الحلف لا بد أن يسعى لضم الولايات المتحدة وبريطانيا ليجعل منهما جزءاً لا يتجزأ من حزام أمن المنطقة، والدفاع عنها في وجه الخطر السوفيتي الأحمر، وتلك هي الحجة الظاهرة وأمّا الحجة الباطنة التي كان نوري يحرص على كتمانها فهي تحجيم إسرائيل، وعدم إعطائها فرصة لإقناع الغرب بأنّها الحارس الأمين المسؤول عن المصالح الغربيّة في المنطقة. فذلك في نظره سوف يقلل من اعتماد الغرب عليها واهتمامه بها وبأمنها، وقد نجح في ذلك إلى حد كبير، وجعل أمريكا وبريطانيا يقتنعان بأنّ خط الدفاع الأول عن المصالح الغربيّة يبدأ بتركيا وإيران، وأنّ الجيش الأحمر لو أراد التقدم باتجاه قناة السويس ومنها إلى أوروبا فلا بد أن يمر بعدة خطوط دفاعية عربية وإسلامية تعرقل سيره إلى أن يحشد الغرب ما يستطيع لمواجهته قبل الوصول إلى أوروبا، فاقترح أن يكون خط الدفاع الأول تركيا وكانوا قد قدّروا لها أن تصمد بوجه الجيش الأحمر لمدة أسبوعين فإذا أراد الجيش الأحمر أن يخترق إيران فيفترض أن تعرقل إيران مسيره لأسبوعين آخرين وذلك شهر، أمّا خط الدفاع الثاني فيكون في كركوك في العراق، وفي كركوك يفترض أن تكون هناك قوات عراقية تستطيع الصمود لأسبوعين، إذا سقط ذلك الخط وانطلق الجيش الأحمر إلى قناة

السويس فذلك يعني أنّ الغرب قد اكتسب شهرين أمكنه خلالهما أن يعرف نوايا الجيش الأحمر وإلى أين يريد الوصول، وما الذي يريد تحقيقه؟ وبالتالي يكون أقدر على مواجهته وهزيمته عند خط الدفاع الثالث المؤلف من قناة السويس والصحراء^(١).

وبذلك استطاع نوري أن يحمّل بريطانيا وأمريكا مسؤولية تسليح الجيش العراقي تسليحاً كاملاً من دون أن يغرم العراق فلساً واحداً، وقد تحملت أمريكا وبريطانيا تلك المسؤولية كاملة، ولما كان تسليح الجيش العراقي تسليحاً بريطانياً فقد كانت الولايات المتحدة تشتري الأسلحة من بريطانيا لتسلح بها الجيش العراقي وتقوم بتدريب الطيارين العراقيين والأطقم العراقية المختلفة، وقد قدمت للجيش العراقي آليات وأسلحة خفيفة وثقيلة غطت احتياجاته كلها باعتبارها الجيش المسؤول عن خط الدفاع الثاني، ولعل حكّام اليوم يستطيعون أن يروا الفارق الكبير بين نوري وطريقة تفكيره، حين قال للقادة الغربيين: «أنا ليس لي مشكلة مع الاتحاد السوفيتي، كل الذي يريده الجيش الأحمر أن يمر من أراضيّ مروراً ليقاتلكم في موقع آخر، فإذا لم أعرقل سيره ولم اعترض طريقه فلن تكون لديّ حاجة لأي سلاح، لكنكم أصحاب مصلحة في عرقلة سيره وتأخير وصوله إلى نقاط التماس بينكم وبينه؛ ولدي جدار من طين تحبون أن تجعلوه من الحجارة فأنفقوا عليه وأقيموه بأنفسكم وبأموالكم لا بأموالي»،^(٢) وبذلك حقق ما لم يحققه أي حاكم جاء بعده.

(١) للمزيد عن هذا الحلف انظر (نوري السعيد ودوره في حلف بغداد واثره في العلاقات العراقية - العربية حتى عام ١٩٥٨) مكتبة اليقظة العربية (بغداد) / مكتبة الفكر العربي (البصرة)، (٢٠٠٢). المحقق.

(٢) نقل رفيق عارف، آخر رئيس أركان جيش في العهد الملكي، هذا القول وقالها لي حين بدأ يتردد على جامع الحاجة حسبية ويقضي معي ساعات طوال يتحدث عن ذكرياته في الجيش العراقي وأوضاع العراق آنذاك، وذكرت ذلك للسيد خليل كنة، وجميل عبد الوهاب وزير العدل في حكومات نوري السعيد المتعاقبة، فأكدوا لي صحة ما ذكره رفيق عارف. المؤلف.

العلاقات العراقية الإيرانية في العهد الجمهوري: دوري في المحاولة الانقلابية ١٩٧٠

لم تكن إيران راضية طيلة العهد الملكي عن علاقاتها بالعراق، ولكنها كانت تقبل بها على مضض، فإن نوري السعيد استطاع بحنكته وسياسته أن يأخذ من إيران أكثر مما أعطاهما في الحدود وفي شط العرب وفي غيرها.

ولكن بعد أن انتهى الحكم الملكي وجاءت الثورة وحكم العسكريون تغيّر الحال، فالبرامج العسكرية التي يدرسها طلاب الكليات العسكرية في العراق بنيت على أساس أن الاعتداء على العراق المتوقع لا بد أن يمر بإيران، بقطع النظر عن كونه اعتداءً إيرانياً أم اعتداءً سوفيتياً وهي الجبهة الخطرة التي استقر في أذهان العسكريين أنها مصدر الخطر على بلادهم، كذلك فإن موقف شاه إيران قد تغيّر بعد أن فقد في العراق النظام الذي كان يتقن التفاهم معه، ويعرف كيف يتبادل المصالح ويرسم حدود التعاون المختلفة، ثم بدأت مشاكل الحدود تتعاظم، وبرز الدور الإيراني الشاهنشاهي في دعم ثورة الملا مصطفى البارزاني عندما اختلف الأخير مع عبد الكريم قاسم وعاد إلى حمل السلاح، وحين اختلف عبد الكريم مع شركات النفط، وهدد باحتلال الكويت وطالب بضمها إلى العراق باعتبارها قضاءً عراقياً سلبياً تمايزت المواقف وبرز موقف الشاه المعادي إلى حد ما للنظام الجديد.

خلف عبد الكريم قاسم في حكم العراق نظام حزب البعث بقيادة عبد السلام عارف وكان المتوقع بعد أن صرح علي صالح السعدي - أمين سر قيادة الحزب القطرية آنذاك - بأن حزب البعث قد ركب إلى الحكم قطاراً أمريكياً^(١) أن تتغيّر العلاقة، وأن تهيب أمريكا الأجواء لإعادة العلاقات الودية

(١) حول العامل الدولي في انقلاب ٨ شباط، يستشهد المحذثون والكتاب بمقولة وردت على لسان علي السعدي زعيم الحزب والمساهم في حركة ٨ شباط ونائب رئيس الوزراء آنذاك: =

بين العراق وكلّ من إيران وتركيا والباكستان، لكنّ النظام البعثيّ الأول لم يستقر وانهار في انقلاب تشرين - كما ذكرنا ليعقبه نظام الأخوين عبد السلام عارف ثم أخيه عبد الرحمن عارف. ونظام عبد السلام عارف بالرغم من سلبياته إلا أنّ تلاحمه مع عمقه العربي قد منحه شيئاً من القوة، كما أنّ شخصيّة عبد السلام وطرائقه في استقطاب من يريد استقطابهم جعلته يبدو نظاماً قوياً أو لديه قابلية لأن يكون قوياً، إلى أن فقد قواعده - كلّها - بعد محاولات انقلاب الناصريين المتكررة ضده ومنهم رئيس وزرائه عارف عبد الرزاق وبقية المجموعة القوميّة الناصريّة التي لجأ جُل أفرادها إلى القاهرة

= (أنا جئنا إلى السلطة بقطار أمريكي). يقول حسن علوي حدثني هاني الفكيكي، عضو القيادة القطرية وعضو المجلس الوطني لقيادة الثورة التي أطاحت بحكومة عبد الكريم قاسم، قائلاً وبحضور عدد من الأصدقاء في شهر شباط ١٩٨٧، أن عضواً في حزب البعث وقد (ذكر اسمه) سأله قبل أيام عن حقيقة ما ينقل عن لسان صديقه السعودي، وهل ممكن توضيح فكرة اللرد بها على منتقدي ثورة ١٤ رمضان؟ فأجاب الفكيكي: نعم سمعته كذلك أكثر من مرة. وينقل الناصري عن علي كريم سعيد قوله: روى لي شاعر العراق مظفر النواب في برلين: إن علي صالح السعودي بعد عودته من المنفى عبّر عن رغبته بإقامة علاقة طيبة مع مظفر، و...طالبه السعودي بأهمية أن يصدق ما يلي: أولاً أنه (أي السعودي) والخط القريب منه لم يكونوا إطلاقاً على صلة بأية جهة أجنبية. وألح على ضرورة إبلاغ ممثلي الأطراف الوطنية شيوعيين وحركيين وأكرد وبعثيين يساريين بذلك (هذا اعتراف ضمني بوجود علاقة للجناح الآخر بالقوى الأجنبية - الناصري... وثانياً، قال أنه وبعد دقائق من ثورة رمضان اكتشف أنه وجماعته يسيرون دون إرادتهم بقطار ماكنته أمريكية... ثالثاً، قال عن قيادة ١٧ تموز ١٩٦٨، كلهم عندهم علاقة مع السفارة البريطانية - ما عدى البكر الذي لا أعرف عنه شيئاً. ويكمل د. علي كريم القول بصدد الموضوع [...] وفي هذا السياق أخبرني يونس الطائي، أن السعودي أخبره في عام ١٩٦٧ بالقاهرة وكرر في بغداد أنهم جاؤوا دون قصد بقطار ماكنته أمريكية» (أنظر، عقيل الناصري، من خفايا انقلاب شباط الدموي ١٩٦٣ حول القطر الامريكى، ملاحق جريدة المدى اليومية «الأخبار» الملاحق «ذاكرة عراقية»، ٢، ٢، ٢٠١٣، <http://almadasupplements.com/news.php?action=viewid=6607> المحقق.

بعد محاولة فاشلة^(١). وبقي عبد السلام عارف حاكماً فرداً يعتمد على أفراد وقوى صغيرة حتى اغتياله في حادث الطائرة الذي سبق ذكره.

وبعد سقوط عبد السلام جرت تلك العمليّات التي قادها عبد الرزاق النايف التي أتت بعبد الرحمن عارف رئيساً للجمهورية خلفاً لأخيه. وفي هذه الأثناء زار عبد الرحمن عارف شمال العراق والتقى الملا مصطفى البارزاني وتم توقيع اتفاق مع الأكراد، كما قام بزيارة الشاه الذي احتفى بزيارته حفاوة بالغة. وبفضل هذه التحركات الإيجابية تحسنت علاقات العراق بإيران وبتركيا وبالسعودية بعض الشيء، لكن الجميع كانوا يدركون أنه شخصية ضعيفة وأنه مسير من عبد الرزاق النايف ومجموعته ومن وراءهم حزب البعث، وأن

(١) إن الانقلابات التي قادها القوميون كانت متعددة أغلبها بقيادة اللواء الطيار الركن عارف عبد الرزاق قائد القوة الجوية، ثم رئيس الوزراء كانت أولاها في ١٦ أيلول/سبتمبر عام ١٩٦٥، انقلاب حسبته الصحافة الغربية بينها جريدة التايمس اللندنية الأغرّب في التاريخ (History The Oddest Coup in)، حيث فشل السريع على الرغم من أن قائده يقوم بمهام رئيس الجمهورية نيابة عن الرئيس الذي يحضر مؤتمر قمة عربية في المغرب، وهو في الأصل رئيس الوزراء ووزير الدفاع وقائد القوة الجوية عملياً. ومعه العميد الركن صبحي عبد الحميد وزير الخارجية، والعميد الركن عبد الكريم فرحان وزير الارشاد، والعقيد الركن عدنان أيوب صبري سكرتير رئيس أركان الجيش، والعميد الركن محمد مجيد أمر كلية الأركان، والعميد نهاد الفخري مدير المخابرات، والعقيد الركن هادي خماس مدير الاستخبارات العسكرية، هذا ويعزوا غالبية المتابعين والمؤرخين الفضل إلى عارف عبد الرزاق، الذي لم يقبل حصول قتال بين الوحدات العسكرية أو بين المدنيين في الشارع، قد يؤدي إلى خسائر كبيرة، لذا كانت الخطة مرتبكة وغير واضحة، ومسألة الجزم في تنفيذها مفقود. كذلك خطأ بمفاتحة ضباط محسوبين على عبد السلام، مثل العميد سعيد صليبي الذي سارع بتهيئة قوات موالية له وللرئيس عارف أسهمت في إحراج عارف عبد الرزاق شخصياً، وإرغامه على مغادرة العراق بطائرة عسكرية إلى القاهرة، ليحل لاجئاً سياسياً هناك. لكنه عاد سراً إلى العراق بعد تسنم عبد الرحمن عارف رئاسة الجمهورية، ليقوم بمحاولته الثانية في ٣٠ حزيران ١٩٦٦ ضد عبد الرحمن. (الهدم البنوي في الانقلاب العسكري العراقي. (سعد العبيدي، الحوار المتمدن، العدد: ٣٨٠٧ - ٢٠١٢ / ٨ / ٢ - ١). المحقق.

الأحداث المتوقعة في المنطقة خاصّة رغبة الغرب في توقيع اتفاقيات سلام بين العرب وإسرائيل بعد انتصار خاطف في مثل حرب الأيام أو الساعات الستة، يقتضي أن يكون في العراق حاكم قويّ قادر على تنفيذ تلك المخططات.

وكان الناس يتناقلون بأنّ أحمد حسن البكر والقيادة اليمينيّة لحزب البعث هي المؤهلة لقيادة العراق وكانت قيادة حزب البعث بعد أن أُنقذ عبد الرزاق النايف عبد الرحمن عارف بضرورة العفو عن الهاربين منهم والسماح لهم بمزاولة نشاطهم قد ضغطت من أجل العفو عن الجميع والسماح لهم بمزاولة نشاطهم بقدر من الحرّيّة. وقد أدى ذلك إلى أن يتصل حزب البعث جناح أحمد حسن البكر بالحركة الكرديّة والقيادات الشيعيّة وقيادات الأحزاب والفئات المختلفة، وأخذوا ينظمون المظاهرات التي استهدفت استعراض قوتهم حتى بات مؤكداً للجميع أنّهم عائدون إلى السلطة، وقد لعب السيد مهدي^(١) الحكيم دوراً في إقناع القيادات الشيعية بأنّ هذا الجناح اليمينيّ

(١) ولد السيد مهدي الحكيم عام ١٩٣٥ في النجف الأشرف ونشأ في أحضان والده الإمام السيد محسن الحكيم حيث العلم والتقوى والصلاح، ودرس في مدينة النجف الأشرف على يد أكابر العلماء. في بداية شبابه عرف عنه اهتمامه المبكر بالعمل الإسلامي، والدعوة للإسلام. وقد مارس في سبيل ذلك الكثير من النشاطات الاجتماعية واتصل في هذا المجال مع الكثير من الشخصيات الفكرية والمهتمين بالتحرك الإسلامي وعلى رأسهم السيد محمد باقر الصدر (الذي بارك جميع خطواته الإسلامية في المجال الحركي) وقبل انطلاق الحركة الإسلامية كان مهدي الحكيم قد سافر والتقى بعدة شخصيات إسلامية من أجل الوصول إلى بلورة الفكر الإسلامي الوحدوي في العراق. وفي أوائل عام ١٩٦٤ مثل والدّه الإمام الحكيم في بغداد وقد مارس العمل التبليغي والحركي. إلى أن وجه نظام البكر وصدام اتهام للسيد مهدي عبر الإذاعة في حزيران/يونيو ١٩٦٩، ومن بعدها أعلن من تلفزيون بغداد، عن كشف مؤامرة، اشترك بها السيد مهدي الحكيم، غايتها قلب نظام الحكم، رُبطت أيضاً بخليّة تجسس لصالح أمريكا وإسرائيل، أصدر النظام فيما بعد الحكم بإعدامه ومصادرة أمواله المنقولة وغير المنقولة.. (FO 248/1669, British Embassy . Baghdad, June 14, 1969) حتى استطاع من اغتياله في كانون الثاني في السودان عام ١٩٨٨. المحقق.

بزعامة البكر برئ مما ارتكبه البعثيون المتطرفون اليساريون في السابق؛ ولذلك فإنّ التعاون معهم يعد مصلحة وطنية، فهو الذي يجمع الكلمة ويبقي على وحدة العراق، والمعروف أن بريطانيا استبقت ذلك بالتشاور مع التيارات الأخرى من أجل إقناعهم بأنّ البعثيين هم الأفضل لقيادة العراق في هذه المرحلة.

ويبدو أنّ تلك المحاولات قد مهدت الساحة أمام حزب البعث، لكن ذلك لم يكن كافياً لتسلمه السلطة؛ ولذلك لجأ أحمد حسن البكر بدهائه إلى استغلال طموح عبد الرزاق النايف فلقبه بـ«نوري السعيد الثاني» الذي يستطيع أن يعيد بناء العراق وقوته وانخدع نايف بتلك الأقاويل فانضم سراً إلى حزب البعث على أمل أن يكون خليفة للبكر في قيادة البعث^(١).

وفي أعقاب انضمام النايف إلى حزب البعث شرع البعثيون في الاتصال ببعض الجهات الداخلية وبدول الجوار: إيران والمملكة السعودية والكويت

(١) حول مسألة الخلافة هذه روى لي عبد الرزاق النايف شخصياً بعدما توثقت علاقتنا أثناء إقامتنا في طهران أن البكر قد قام بدعوة قيادات حزب البعث ممثلة في حردان التكريتي وصادق حسين وصالح مهدي عماش لاجتماع ووجه الدعوة إلى النايف، وفي الاجتماع تحدث البكر عن أنه تقدم في العمر ولم يعد قادراً على النهوض بمسؤولية الحزب وأنه يفكر في أن يسلم هذه المسؤولية لشخص آخر، وأردف أن قادة الحزب ليس فيهم من يمكن أن يعهد إليه بذلك فصالح عماش متهم بالتخابر لصالح الولايات المتحدة الأمريكية ولا يصلح خلفاً، أما حردان التكريتي فمتهم بأمور تتعلق بالذمة المالية على حين يتمتع صدام حسين بشخصية متهورة، وهنا توجه البكر نحو النايف وأبلغه أنه يعهد إليه بقيادة حزب البعث وعلل ذلك بأنه من أذكى الشباب العراقي ولديه من المؤهلات والإخلاص ما يجعله يطمئن على مستقبل الحزب تحت قيادته، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أن البكر عرض أن يسلم القيادة في التو إلى نايف غير أنه ذهب إلى أن ذلك أمر يتعذر حصوله في التو نظراً لأن النايف ليس عضواً في الحزب، وعلى هذا اقترح أن ينضم نايف للحزب ويمنح عضوية فورية ثم يُطلب من القيادات الحزبية أن ترفع تقاريرها الاستخبارية إليه على أن يدفع لكل منهم مبلغ خمسة وعشرون ديناراً عراقياً شهرياً، ويعهد بتسليحهم ببنادق آلية. المؤلف.

وغيرها، لإقناعهم بأنّ البعثيين هم الأقدر على قيادة العراق وتأمين استقراره بالتركيبة التي كانت مطروحة، وهي تركيبة يدخل فيها عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداود كعنصرين أساسيين، وعلى هذا أوكل أحمد حسن البكر إلى حردان التكريتي مهمة التواصل مع السيد مهدي الحكيم لنيل موافقة الشيعة وإيران، كذلك تم الاتصال بالملا البارزاني من أجل الحصول على تأييد الأكراد، كما شرع عبد الرزاق النايف بإجراء اتصالات مع الدوائر السعودية الرسمية وتم ذلك من خلال السيد «برهان الدين باش أعيان»^(١) - الذي كان وزيراً لخارجية العراق في العهد الملكي، والذي أصبح مستشاراً للأمير سلطان بن عبد العزيز - وزير الدفاع السعودي آنذاك - الذي أبلغ السعوديين بأنّ النايف يتعاون مع مجموعة قويّة في الجيش العراقي قادرة على إحداث

(١) ولد برهان الدين باشا أعيان في عام ١٩١٥ وقضى معظم حياته بين النيابة والوزارة وعمل الشيخ «برهان» دبلوماسياً في عدّة مفوضيات وبعثات دبلو ماسية وقنصليات وسفارات عراقية في الخارج خلال الفترة بين عامي ١٩٣٨ و ١٩٤٦، بما فيها المفوضيات والبعثات الدبلوماسية والقنصليات والسفارات العراقية في كل من «مصر» و«بريطانيا» و«إيران» و«تركيا» و«فلسطين»، ثمّ ترشح نائباً مستقلاً عن لواء (أي محافظة) «البصرة»، ونائباً عن حزب الجبهة الشعبية المتحدة، في البرلمان العراقي، وهو الحزب الذي كان الشيخ «برهان» من كبار مؤسسيه، والذي كان فرع «البصرة» بالذات من الحزب المذكور من تأسيس الشيخ «برهان» نفسه، أيضاً، وذلك خلال الفترة بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٥٤. وخلال الفترة بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٨، عيّن وزيراً للخارجية والإعلام، في عدة حكومات خلال العهد الملكي في العراق، من بينها الحكومات التي ترأسها نوري السعيد، وعبد الوهاب مرجان وأحمد مختار بابان. وقد حكم على عدد من المتهمين بأحكام متفاوتة، بين السجن القصير الأمد والسجن الطويل الأمد، بما في ذلك السجن المؤبد. وبعد ثورة ١٤ تموز. كان برهان الدين من بين الذين حكم عليهم بالإعدام، قبل أن يُخفّف العقوبة عنه، وبعد أن قضى فترة ٣ أعوام في السجن، أطلق سراحه، وانتقل مع أسرته للسكن في بيروت مطلع عام ١٩٦٢، ومن ثم، في أواخر عام ١٩٦٣، انتقل إلى المملكة العربية السعودية، حيث عمل مستشاراً قانونياً لدى حكومتها حتى وفاته في أواخر عام ١٩٧٥ [للمزيد أنظر: أحمد برهان الدين باش أعيان، برهان الدين باش أعيان، حياته وعصره (لندن: دار الساقى، ٢٠١٣)]. المحقق.

التغيير المطلوب وأنهم يرجون موافقة السعودية على ذلك ويأملون في الحصول على بعض الدعم المالي الذي قدر آنذاك بنحو ستين ألف دينار عراقيّ تدفع للنايف والداود لتنفيذ تلك المهمة. وعلى خلفيّة هذا الاتفاق شرع السفير السعودي - محمد الشبيلي المكنى أبو سليمان - في لقاء عدد من العسكريين العراقيين وإبلاغهم بأنّ أفضل من يحكم العراق هو الجناح اليمينيّ من حزب البعث بما له من خبرة وانتشار في الجيش والشارع وما إلى ذلك.

والحقيقة أنّ كلاً من إيران والسعودية كانت تدعم قيام حكم بعثيّ قويّ في العراق ممثلاً في الجناح اليمينيّ للحزب أملاً في حرمان الناصريين من السيطرة على العراق، الأمر الذي كان يخشى معه أن ينعش النفوذ الناصريّ، ويبث فيه الحياة مرة أخرى، والحقيقة أنّ علاقات الدولتين مع عبد الناصر كانت قد تدهورت في ذلك الوقت فعبد الناصر لم يكن محبوباً لا من شاه إيران ولا من الملك فيصل بن عبدالعزيز بعد أن استدرج السعودية إلى خوض حرب اليمن.

وبفضل هذا الدعم الخارجيّ والتشاور مع الفئات العراقية في الداخل أصبحت الظروف مهية لأن يتسلم حزب البعث السلطة وينفرد بها في ظل تعرض التنظيمات الأخرى - ومن بينها المنظمة العسكرية الإسلامية - لعملية خداع كبرى أسهم فيها النايف بنصيب وافر، - إلى أن فوجئت في السابع عشر من تموز / يوليو ١٩٦٨ بانقلاب حزب البعث بقيادة عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداوود، الذين أدخلوا البكر ومجموعته إلى القصر الجمهوري وتم اعتقال عبد الرحمن عارف وترحيله إلى تركيا، وحين نجح ذلك الانقلاب وأعلن عن تعيين أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية، وگردان التكريتي نائباً له وصالح عماش نائباً آخر، وعبد الرزاق النايف رئيساً للوزراء وإبراهيم الداوود وزيراً للدفاع.

ولم يكد يمر أسبوعان حتى وجه حسن البكر دعوة لعبد الرزاق النايف

لتناول طعام الغداء معه في القصر الجمهوري وتم إلقاء القبض عليه وأصدر البكر قراراً بتعيينه سفيراً لدى المغرب إلا أنَّ الملك الحسن الثاني اعتذر عن استقباله متعللاً بأنَّ المغرب لا يقبل في بلاطه سفراء تتهمهم بلدانهم بالعمالة، وقد تم تسفير النايف بشكل مهين فقد قام صدام حسين بتهديده بالمسدس واقتاده ومعه ناظم كزار إلى مطار الرشيد العسكري ليركبه طائرة عسكرية نقلته إلى المغرب أولاً ثم استقر به المقام في بريطانيا، أما إبراهيم الداوود الذي انخدع بترقيته إلى رتبة الفريق فقد أُرسِل إلى الجبهة الغربية في الأردن وهناك سمع بإقالتة ومعها أمر بأن يتوجه مباشرة إلى أسبانيا لكي يكون سفيراً للعراق، فاقتاده حسن النقيب إلى طائرة حملته إلى مدريد.

وفي أعقاب استقراره في بريطانيا شرع النايف في الاتصال ببعض الأثرياء العراقيين المقيمين هناك، وتلقى منهم أموالاً وتعهد بإعادتها مضاعفة بعد أن يطيح بحزب البعث، وكان في مقدمة هؤلاء آل الجلبي الذين قاموا بترشيحه إلى الدوائر الإيرانية كي تتعاون معه على إسقاط نظام (البكر/ صدام)، وعلى هذا توجه النايف إلى طهران وأقام بها مدة وشرع في الاتصال ببعض أصدقائه من داخل الجيش تمهيداً للقيام بانقلاب عسكري روعي أن تشترك فيه بعض العناصر الكردية والشيعية وذلك بعد التنسيق مع القيادتين الشيعية والكردية.

وكانت وجهة نظري آنذاك أنَّ الملا مصطفى البارزاني والأكراد هما الأمل الوحيد المتبقي لإنقاذ العراق من نظام (البكر/ صدام) فقد كنت أمل أن يحدث تحرك في الشمال ويستدرج الجيش العراقي إلى هناك ونستطيع نحن في بغداد أن نسيطر على الوضع، ولكن يبدو أن البعثيين قد تحسبوا لذلك وقاموا بتشتيت المعارضين ولم يستبقوا في بغداد وما حولها إلا العناصر الموالية لهم.

التعاون مع إيران لإسقاط حزب البعث

كنت في ذلك الوقت ما أزال في العراق وذات يوم أبلغت بأن السفير الإيراني في سويسرا ويدعى علي بيراستا قد وصل بغداد، وأنه يريد أن يلتقي معي ومع السيد الراوي في منزل الأخير في الوزيريّة، وجاء بيراستا وذكر أن إيران قد أخذت على عاتقها بالتفاهم مع دول غربيّة وعربيّة مهمة الإطاحة بنظام حزب البعث؛ لأنه لم يعد قادراً أن ينفذ بمفرده ما تم الاتفاق عليه مع الناييف، وأضاف أن طرد البعثيين للنايف لا يشير إلى أنهم سيحافظون على ما اتفق عليه من تفاهمات سابقة، وأضاف أن التحرك المطلوب ينبغي أن يتخذ شكل ثورة شاملة بحيث يشترك فيها الشعب إلى جوار الجيش يتمخض عنها نظام ديمقراطي مستقر يستطيع مواجهة التحديات التي تهدد المنطقة وأن يضطلع بدوره فيها، وبالتالي فهم لا يحبذون فكرة القيام بانقلاب عسكري تقوم به فئة صغيرة، وذكر السفير أن الشاه قلق على حياة السيد الراوي ومن معه، ويرى ضرورة التحاقهم بإيران أو بالمالا مصطفى البارزاني في شمال العراق لئلا يوقع بهم البعثيون عندما تعلن الثورة في الشمال، وحتى يكونوا قادرين على القيام بأدوار إيجابية فاعلة تمهد لنجاح الثورة، وأنهم ينتظرون ممّا أن نحدّد موعداً لمغادرة العراق، واختيار الجهة التي تغادر العراق منها. وما إذا كنا نفضل أن نغادر مباشرة عبر الحدود - وهو ما استشعرت أنّهم يفضلونه - أم نبحث عن طريقة أخرى من خلال العروج على الملا البارزاني. وقد أبلغه الراوي أننا نحتاج وقتاً للإجابة على ذلك وأنفق على أن يكون هناك ضابط اتصال إيراني يدعى السيد طاهري يعمل على التنسيق بيننا وبين القيادة الإيرانيّة.

لم نكن ندري - آنذاك - شيئاً عن مشكلات إيران مع العراق، خاصّة مشكلة شط العرب والمشكلات الحدوديّة الأخرى، كما لم نكن نعرف شيئاً عن اتفاق وقع عام ١٩٦٧ بين المرجعيّة الشيعيّة بقيادة السيد الحكيم، وقيادة الثورة الكردية يقضي بأن يتعاون الفريقان؛ لتحرير العراق من النظام القائم،

الذي هو حلقة في سلسلة نظم دكتاتورية حزبية وعسكرية جُلّ المنتميين إليها من الطائفة السنية، وقد ظل هذا الاتفاق يحكم علاقات الطرفين إلى أن تغير الأمر بعض الشيء عندما وجدنا أنفسنا جميعاً في إيران.

لقد أدركت بعد أسابيع من وصولي طهران بأننا كنا سدجاً بدرجة كبيرة عندما كنا نتحرك داخل العراق ونؤسس تنظيمات ونفكك أخرى، ونظن أننا على شيء، وأننا أحرار في تصرفات كنا نظنّها منبثقة عن إرادتنا الحرة.

وهذا هو ما أدركه الراحل الملا مصطفى البارزاني فهماً وهدساً، ولكنّه كان شريكاً فاعلاً، وذا قوة ضاربة، ولديه أجهزة، وكلّهم في حاجة إليه، ولكنّه حين أدرك أن إيران تريد أن تسخر الثورة الكردية لإخضاع النظام في بغداد، وجعله يُسلم بمطالبها في شط العرب والحدود وفي الوقت نفسه لتكون الثورة الكردية وسيلة وأداة لتعزيز مواقع الشيعة العراقيين في الحكم، وتقليص مواقع العرب السنة وتغيير الخارطة العراقية تغييراً كاملاً من دون أن تعطيه ما كان يريد، بدأ يبحث عن البدائل.

والمعلوم أن الملا مصطفى البارزاني قد سبق له أن زار طهران^(١) والتقى بالقيادات العراقية الموجودة هناك وفي مقدمتهم عبد الغني الراوي وعبد الرزاق النايف وآخرين، وأوضح لهم قلقه من تغير الموقف الإيراني الذي كان يظن أنه سوف يتحسن بوجودهم هناك، كما التقى شاه إيران وعناصر من المخابرات الإيرانية وشكى للجميع من تدنى الأوضاع المعيشية لقوات البشمركة والتي لم يزد راتب أي جندي من أفرادها على دينار ونصف

(١) يقول الأستاذ مسعود البرزاني أن والده قبل أن يوقع بيان آذار لعام ١٩٧٠ كانون الأول ١٩٧٠ والتقى ضمن وفد كردي بينهم بابا علي الشيخ محمود الذي استقبله الشاه بحفاوة ووعدته بتقديم كل المساعدات للثورة الكردية من ضمنها الدفاع عن الثورة ضد كل الاحتمالات. ولكن البرزاني كان غير واثق من وعود الشاه وما قدمته السلطات العراقية له مقابل وقف اطلاق نار كان صعباً عليه رفضها ونصحها بابا علي بأن يعمل ما يرى فيه مصلحة الكرد. (الحركة التحررية الكردية، ج٣. أبريل: آراس للانتشارات، ص ٢٣٦).المحقق.

دينار عراقّي وتساءل كيف يتوقع لجنود مثل هؤلاء أن يقوموا بالانقلاب على الدولة. وقد تضامن معه في شكواه كل من الراوي والنايف اللذان لم يعلما بوجود ذلك التفاهم بين الشاه والمرجعية الشيعية، ويبدو أنّ الملا قد أدرك من خلال لقاءاته أنّ الموقف الإيراني لن يتغير، وأنّه لن يحصل على ما يريد من حكومة الشاه، وأنّ النزعة الطائفية صارت متحكمة في السياسة الإيرانية تجاهه؛ وعلى هذا سارع فور عودته إلى شمال العراق إلى الاتصال بالقيادة البعثية في بغداد وانقلب على الإيرانيين، وبذلك أسقط في يدي الشاه والمرجعية الشيعية العراقية. وصاروا يركضون نادمين وراء الملا لاسترضائه من جديد والاستفادة من علاقاته وأرض شمال العراق وقوات البشمير(كيغاة) في تحركاتهم، ولكنّ الأمر كان قد مضى ووقع البارزاني اتفاقه مع بغداد مما أغضب الشاه. الذي انتقم منه بعد ذلك بتوقيع اتفاقية الجزائر بين صدام والشاه في آذار عام ١٩٧٥، فانهارت الحركة الكردية - آنذاك - في ظرف أسبوعين، ولجأ البارزاني وكثير من القيادات الكردية إلى أمريكا، وبقي فيها حتى توفي ودفن في المنطقة الكردية (١٩٧٩)^(١).

(١) كنت قد التقيت الملا مصطفى البرزاني قبل وفاته في واشنطن حيث نزلت ضيفاً عليه وعلى ولده السيد مسعود، وكان حديثنا مزيجاً من مرارات الماضي وآمال المستقبل، لكن لم يكن هناك تصور واضح عن المستقبل. وكنت أحمل رسالة له - أيضاً - من المرحوم رشيد محسن (عسكري عراقي كبير ومدير الأمن العام في عهد عبدالسلام عارف) يدعوها لأنها تضع يده من جديد بأيدينا - نحن العراقيين جميعاً - لتتجاوز ما حدث في إيران ونعبر الماضي كلّهُ. فأبدى الرجل استعداده لفتح صفحة جديدة والتعاون مع جميع القوى العراقية لبناء عراق جديد متآخٍ ديمقراطي، وأكد لي أنّه حين يحدث هذا فإنّ الأكراد لن تكون لهم مطالب خاصة يتميزون بها عن أيّ من الفصائل العراقية ولم يفته أن يقول: كاكاه أنا عربيّ عباسي!! فقلت له: كاكاه اخفض صوتك لئلا يسمعك الأكراد فتفقد زعامتك لهم!! يؤكد مسعود البرزاني في كتابه رواية الشيخ طه عن أصل البارزانيين المنسوب إلى الملا مصطفى بعباسية البرزانيين الذين كانوا أمراء إمارة العمادية (أنظر، مسعود البرزاني، البرزاني والحركة التحررية الكردية - انتفاضة برزان الاولى ١٩٣١ - ١٩٣٢، بغداد: ١٩٨٦، ص ٤٦ - ٨). ولكن هناك جدل =

وللإنصاف لا بد أن نسجل أنّ الملا مصطفى البارزاني لم يفعل ذلك الاتفاق مع بغداد إلا بعد أن مارس السيدان الحكيم ومرضى العسكري ممثلاً المرجعية الشيعية العراقية ضغوطاً على الشاه لمنعه من تقديم أية مساعدات مالية أو عسكرية للثورة الكردية إلا بعد اطلاعهما وموافقتهما، مستهدفين من وراء ذلك توظيف الملا والحركة الكردية لتصبح جزءاً من الأدوات التي ترجح كفة الشيعة في حكم العراق مستقبلاً، وهكذا حاولت المرجعية الشيعية أنّ تستغل علاقاتها بالنظام الشاهنشاهي الذي قلد السيد الحكيم - كما ذكرنا - مرجعاً دينياً ليحصل الشيعة العراقيون على مكاسب إضافية تجعل منهم القوة المتحكمة في العراق في المستقبل.

وبالعودة إلى لقائنا بالسيد بيراستا السفير الإيراني في سويسرا، فقد استمر طاهري يتردد على السيد الراوي، وفي جميع هذه اللقاءات كان يحمل رسالة واحدة هي أنّ كل شيء في شمال العراق معد ومهيأ، في انتظار وصول السيد الراوي ليقود من هناك الحركة التي ستطرح بحزب البعث.

والذي يعرف السيد الراوي يستطيع أن يدرك مدى تأثير هذه الرسالة على نفسه، فمجرد التلويح له بأنّ هناك من ينتظره بصفته قائداً كفيل بأن يجعله مستعداً للمغادرة في أية لحظة ودون تفكير ويبدو - أنّ عبد الرزاق النايف قد شرح للإيرانيين الكثير عن نفسية عبد الغني الراوي وتطلعاته للزعامة، وقد استفاد الإيرانيون من تلك المعلومات وبنوا عليها إستراتيجيتهم للتعامل معه فقد أخبروه بأنهم يعرفون تاريخ أسرته، وأنّ أسرته كانت مسؤولة عن ضريح الإمام موسى الكاظم، وأنّ اختيارهم له إنّما هو اختيار مدروس فهو يجمع بين السنية

= بين المؤرخين عن مدى صحة انتماء أمراء البهدينان إلى العباسيين. ومهما يكون أصل البرزاني من الناحية الإثنية فمكانته بين القوميين الكرد هي كمكانة بسمارك بين المان وغاريالدي بين الإيطاليين ومصطفى كمال أتاتورك بين الترك.

والشيعة من جهة، وبين المؤهلات العسكرية والخبرات السياسية من جهة أخرى، فصار الراوي لا هم له إلا سرعة المغادرة.

وفي تلك الآونة تشاورت مع الأخوة في المنظمة العسكرية الإسلامية في كيفية المغادرة إلى طهران، وهل يرون ضرورة السفر بالطريقة التي يقترحها الإيرانيون عن طريق الحدود، أو عن طريق آخر يؤدي إلى وصول السيد عبد الغني ومرافقيه إلى المنطقة الكردية في داخل العراق، ففضلت الأكثرية السفر عن طريق شمال العراق والبقاء في كردستان مع الأخوة الأكراد ريثما يتم التوصل إلى اتفاق تفصيلي مع إيران، وبناء على ذلك فقد تقرر أن يسافر السيد الراوي بصحبة الأخ عبد الغني شندالة إلى كركوك؛ لمعرفة أفضل وسيلة يمكن أن يصل السيد الراوي ومرافقوه بها إلى المنطقة الكردية، بحيث تتاح لهم الفرصة للقاء الملا البارزاني والتفاهم معه حول الاستعدادات المتخذة في شمال العراق لإعلان الثورة بعد وصول السيد الراوي ومرافقيه.

وبالفعل غادر السيدان عبد الغني الراوي وعبد الغني شندالة إلى كركوك، والتقى السيد الرائد الركن الشهيد عبد الستار العبودي أحد المقربين من الملا البارزاني وولديه في منزل في كركوك، وتداولوا في الأمر، فأكد لهما أنّ الأمر ممكن وإن كان فيه مخاطرة، وأنه ينبغي وضع خطة يتم إطلاع قيادات البشمركة عليها.

وفي هذه الأثناء اقترح ضابط الاتصال الإيراني طاهري أن يكون سفرنا عبر الحدود المشتركة بين البلدين بمساندة بعض الأشخاص المتعاونين مع الإيرانيين، وفي ذات الوقت اتصل الإيرانيون بالسيد البارزاني وأبلغوه رغبتهم في أن يساعدنا في عملية السفر، وبناء عليه أرسل البارزاني نقيباً كردياً متقاعداً بصحبة أحد شيوخ القبائل للقاء السيد الراوي، واقترحا عليه تقديم العون إلى الراوي ومرافقيه بتوصيلهم إلى أقرب الأماكن التي تسيطر عليها قوات البشمركة تمهيداً لنقلهم للقاء البارزاني وبدء تنفيذ خطة الثورة.

وقد أصر الراوي على أن اصطحبه في سفره، ورشّحت المهندس عبد الغني شنداله لمصاحبته بدلاً عتيّ ولكّته رفض، ويبدو أن إلحاحه في ذلك كان بناء على تعليمات الإيرانيين، الذين كانوا يخشون أن أفضي بمعلومات قد تصل إلى البعثيين في حال تعرضي للاعتقال وممارسة ضغوط قوية عليّ ووفقاً لهذا غادرت مع السيد الراوي وكان معنا مرافقاه مطر الدليمي وصابر الراوي، وبقينا في ضيافة شيخ القبيلة عبد الكريم أبلّاح في مدينة اليرموك ثلاثة أيام من دون أن تتهيأ لهم فرصة لإخراجنا كما أخبرونا، فقررت أن أعود إلى عملي، فقد كنت ضابطاً في الكلية العسكرية، وإن اكتشف غيابي فإنّ ذلك قد يكون مدعاة لكشف الأمر كلّه، خاصّة وأنّ البعثيين في الكلية لم يكونوا راضين عني ويتشككون في إخلاصي ويرصدون حركاتي بكثير من الريبة، فتركت الراوي ومرافقيه وعدت إلى منزلي وذهبت إلى الكلية حيث لم يلحظ غيابي لأنّه كان في يوم جمعة ولم يزد الأمر عن يومين بعدها قدمت طلباً لاعتبارهما إجازة.

وبعد أسبوع كامل من عودتي غادر السيد الراوي ومرافقاه إلى الحدود الإيرانية بالتعاون مع بعض المهريين المتعاونين مع السلطات الإيرانية، وأبلغني طاهري بوصولهم إلى طهران سالمين، وفي أعقاب ذلك بدأت ضغوط طاهري تشتد عليّ، فأخذ يبعث إليّ برسائل شفوية من السيد الراوي ومن معه بضرورة السفر فوراً، وأنّ وجودي في بغداد يعتبر من عوامل تأخير انطلاق الثورة، وأحياناً يكون الضغط بزعم أنني موضوع تحت المراقبة البعثية وأنّه يتوقع أن يتم القبض عليّ في أية لحظة، فأكدت لطاهري أنني لن أغادر العراق بطريق غير مشروع يتعذر معه العودة إلى العراق، وقد قررت أن أقدم طلباً إلى العقيد داوود الجنابي أمر الكلية العسكرية، وكنت صديقا لبعض أفراد أسرته، فأخبرتهم بأنّه ينبغي عليّ التوجه إلى القاهرة، وأنّ حصولي على الماجستير يتوقف على سفري بضعة أيام لاستكمال بعض إجراءات التخرج، وكل ما أريده هو أن تمهدوا الأمر وتقنعوا السيد الأمر

بمنحي إجازة لمدة أسبوع أو عشرة أيام؛ لأنهي هذا الموضوع، وحين التقيته وافق الرجل على منحي الإجازة، ولكنه حاول أن يرجئ السفر إلى ما بعد احتفالات الرابع عشر من تموز بحجة أنّ اسمي قد أدرج في كشوف الترقية إلى رتبة النقيب وينبغي أن أحضر الاحتفال بنفسي، فأخبرته بأنني سأبذل جهدي لأن أعادر إلى القاهرة وأعود قبيل الاحتفالات فرحب بالأمر، ويبدو أنّ الرجل كانت لديه معلومات بأنني على قوائم المطلوبين للقبض عليهم فلم يشأ أن يثير قلقي، وفور خروجي من مكتبه شرعت في استخراج جواز سفري فتوجهت مباشرة إلى دائرة الجوازات والجنسية وأنهيت جميع متطلبات الحصول على جواز سفري قبل نهاية الدوام، ووعدني ضابط الجوازات بأن أتسلم جواز سفري في صبيحة الغد، وبالفعل تسلمته في اليوم التالي وبعدها توجهت مباشرة إلى أقرب مكتب طيران وحجزت رحلة مسائية إلى القاهرة تغادر في مساء ١٩٦٩/٦/٢٦م.

وبعد أن حصلت على الجواز والتذكرة عدت إلى الكلية، وألقيت المحاضرات الأربعة التي كان عليّ تقديمها في ذلك اليوم من دون أن يبدو عليّ - بفضل الله - أي قلق أو انشغال بال، في تلك المحاضرات وجهت أكثر من عبارة نقد صريحة لحزب البعث وحذرت طلابي من أن يكونوا انتهازيين، وأن يتجاوزوا النظم والتقاليد العسكرية وحذرتهم من الانضمام إلى حزب البعث أو غيره من الأحزاب. وبين دهشة واستغراب بعض الطلاب وإعجاب البعض الآخر بشجاعة هذا الذي يحذر من الانضمام إلى حزب البعث الذي أصبح هو الدولة، لملمت أوراقني وذهبت إلى مكتبي في مختبرات الكلية، وقمت بتصحيح نصف أوراق الاختبارات وكثا في موسم الامتحانات، واضطرت أن أجمع الباقي وأضعه في مظروف وكتبت الإجابة المقترحة ووضعتها مع الدفاتر الامتحانية، وكتبت رسالة إلى أمر الكلية بأن بمقدوره أن يكل تصحيح ما بقي من دفاتر طلابي إلى أي زميل من الضباط المعلمين، وسيجد الأسئلة مع إجاباتها المقترحة في الظرف نفسه.

لم يكن السبب في تعجيل سفري ضغوط طاهري، ولا الرسائل الشفهية المتكررة من عبد الغني الراوي، ولكن خوفي على إخواني أعضاء المنظمة والذين لا يعرفهم غيري بشكل كامل من أن أعرض لتعذيب لا أحتمله، فاضطر إلى الإفضاء بأسمائهم. وكان هناك دافع آخر وهو تحذير أحد أقاربي، وكان في الوقت نفسه من طلابي في الكلية العسكرية وكان بعثياً تخرج برتبة ملازم في ذلك العام، فأخبرني بأنه نوقشت أسماء معينة في اجتماع اللجنة العسكرية للحزب برئاسة طه ياسين رمضان الجزراوي، وأنه تقرر إعدام بعضهم أو حسب التعبير الحزبي تصنيفتهم جسدياً، وأن اسمي من ضمنهم، وأنهم مصممون على تصنيفتي خلال بضعة أيام قد لا تريد عن ثلاثة أو أربعة أيام؛ ولذلك فقد عرض عليّ أن يقوم بتهريبي بسيارته إلى سوريا وأن يبقى معي لبعض الوقت، فشكرته وأخبرته أنني سأحاول تدبير أمري خلال يومين، فإن عجزت لن أتردد في طلب مساعدته.

ولما يسر الله لي الحصول على موافقة رسمية بالسفر اعتبرتها نعمة من الله، وإنفاذاً منه - جل شأنه - لي ربما لصالح والدي، أو كرامة لصاحب الرسالة التي أوّمن بها وأحملها، وكانت مغادرتي مساء السادس والعشرين من يونيو/ حزيران عام تسعة وستين وتسعمائة وألف، غادرت ولم يكن معي من المال في ذلك الوقت أكثر من راتب ذلك الشهر الذي أخذته في نفس اليوم، ومن الطريف أنّ هناك بعض المفارقات قد حصلت قبيل سفري بدا فيها لطف الله - تبارك وتعالى - ظاهراً، فقد دعوت أخي الأكبر محمد - يرحمه الله - وأخبرته بقراري، وطلبت منه أن يصطحب زوجتي وأولادي إلى بيت الوالد بعد عودته من المطار حيث طلبت منه أن يرافقني إلى المطار، وأخبرته أنني سأقود سيارتي بنفسني دفعاً للشكوك، وبالفعل خرجت من المنزل بصحبة أخي، ولم أكن أحمل حقيبة ملابس أو ما شابه وإنما كانت معي حقيبة صغيرة بها بعض المصورات الدراسية المتعلقة برسالتني للدكتوراة، ودخلت مطار بغداد وكأني أودع أو أستقبل أحداً ولم يبدو عليّ أنني مسافر، وتقدمت إلى

ضابط الجوازات وقدمت له جواز سفري والتذكرة؛ ولكنه استوقفني وطلب مني ما يثبت موافقة مجلس الثورة على السفر وذلك لأن المجلس كان قد أصدر قراراً بذلك يمنع سفر أي من أعضاء القوات المسلحة إلا بعد موافقة المجلس، فأخبرته أن الجواز يحمل تاريخ يوم صدور القرار وذلك يعني أنني مأذون من مجلس قيادة الثورة بالسفر وإلا لما أصدروا لي جواز السفر في هذا اليوم، فأبى إلا أن يدعوني إلى مقابلة ضابط الاستخبارات في المطار، فذهبتنا إليه حيث اتصل هاتفياً بضابط الاستخبارات الخفر في مقر وزارة الدفاع المسؤول عن قضايا السفر وكان عبد الجواد ذا النون صديقاً لي وزميلاً في هيئة التدريس في الكلية العسكرية وهو الذي عاونني في استخراج جواز سفري، وجاء بموافقة رئيس أركان الجيش في اليوم نفسه؛ فأجاب ضابط استخبارات المطار بأنني مأذون لي بالسفر.

وفي تلك الأثناء التقيت بمجموعة من الضباط البعثيين المسؤولين عن المطار وكلهم كانوا من تلامذتي الذين درست لهم في الكلية العسكرية، فحين رأوني تقدموا وأخذوا التحية العسكرية وسألوني عن سبب وجودي، فذكرت لهم أنني مسافر إلى القاهرة لدواعي تتعلق بامتحان الماجستير، فأخذوني ووضعوني بينهم واصطحبوني إلى باب الطائرة، ولم يفارقوني إلا بعد أن أجلسوني على مقعد الطائرة، وفيما أنا متجه إلى الطائرة لمحت وجه طاهري بين المودعين في شرفة المطار، كان يبتسم باستغراب وهو يراني محاطاً بكل أولئك، وربما نبّه أسياده في طهران إلى ذلك!! غادرت بغداد ولم تكتحل عيناى برؤية العراق حتى هذه اللحظة في ١٥/٢/٢٠١٥م.

وما إن أقلعت الطائرة حتى تنفست الصعداء ونطقت بالشهادتين، وأيقنت أن من يكتب الله له النجاة فلن يستطيع أحد أن يضره بشي، وتساءلت في نفسي كيف سهل الله لي السفر بهذا اللطف الخفي، فلم ألجأ إلى التخفي كما فعل السيد الراوي ومن معه، والحقيقة أنني كنت أتوقع أن تعاد الطائرة إلى بغداد للقبض علي وهي في الجو، ولم أطمئن إلى أن ذلك

لن يحدث إلا بعد أن وصلت مطار القاهرة، وخرجت منه لأذهب إلى أحد فنادق العاصمة المصرية؛ «جراند هوتيل» في شارع فؤاد.

ولم يكد يمر سوى يومين فقط حتى أرسلوا من يبحث عني في الكلية لاعتقالي، ولم يكن أمر الكلية يعلم أنني سافرت، إذ كان يتوقع أن أنتظر حتى احتفالات الرابع عشر من تموز؛ لنيل رتبة النقيب، ولما ذهبوا إلى المختبرات حيث مكتبي وجدوا الدفاتر المصححة والتي لم تصحح على المكتب، وقرأوا الرسالة، وأدركوا أنني قد أفلت من أيديهم، فسارعوا إلى إرسال بعض عناصر من الاستخبارات لملاحقتي في القاهرة، وذهبوا إلى كلية الشريعة التي لم أكن ذهبت إليها بعد، وسألوا عني وعما إذا كان لي عنوان متاح في مصر، فأخبرهم الموظف المختص بأنني مقيم في العراق وليس لدي عنوان في مصر، وذلك صحيح، ولما ذهبت إلى الكلية بعدها في نهاية الأسبوع أخبرني الرجل بأن هناك ثلاثة أشخاص سألوا عني بالحاح، وظلوا يراجعون الكلية أربعة أيام بحثاً عني، وأنهم لم يتمكنوا من الحصول على معلومات بشأن سكني أو مكان وجودي.

وخلال إقامتي في القاهرة قمت بالاتصال بعبد الرحمن الإرحيم أخي وصديقي الذي كان مقيماً في لبنان، فطلب مني أن أسافر للقائه فتوجهت من القاهرة إلى بيروت، وجلست معه حوالي أسبوع وهناك اقترح هو والسيد بشير الجراح أن أذهب إلى فيينا للقاء السيد خليل كنة الذي كان يقيم هناك معه والتداول قبيل التوجه إلى طهران وهكذا غادرت إلى فيينا وقضيت يومين مع خليل كنة وكان الرجل يتمتع برؤية وفهم لكثير مما يجري ربما لخبرته الطويلة في العمل السياسي في العهد الملكي فقد عمل وزيراً للمعارف في العهد الملكي لعدة مرات وشغل وزارات أخرى وكان أقوى المرشحين لخلافة نوري السعيد. وكانت وجهة نظره أن أذهب إلى طهران واستطلع الأمور في طهران، فإذا وجدت أن الأمور سائرة في الاتجاه الصحيح ففي مقدوري أن أدعوه للالتحاق بنا.

وعلى هذا وصلت طهران في الرابع عشر من تموز ١٩٦٩، وذلك يعني أنني قد قضيت ثمانية عشر يوماً بين القاهرة وبيروت وفيينا ثم وصلت طهران، وفي الليلة نفسها علمت أنّ البيت الذي أقمت فيه كان يشاركني السكن فيه عبد الغني الراوي وعبد الرزاق النايف وسعد صالح جبر وهلال بلاسم الياسين، إضافة إلى مرافقي السيد الراوي، وهذا المنزل كان قصراً من قصور الحكومة القديمة يطلق عليه «الباش كاه». وعلمت بعد ذلك أن السيد مهدي الحكيم يقطن منزلاً آخر وأن السيد مرتضى العسكري يقطن منزلاً ثالثاً في طهران بارس^(١).

وفور وصولي التقيت السيد الراوي وذكر لي أنّ الإيرانيين لم يستدعوا النايف إلى طهران إلا بعد أن طمأنوه أنه لم يأت ليزاحمه على القيادة بل ليكون مساعداً له وطلبوا منه أن يكتب بنفسه رسالة لعبد الرزاق النايف، يدعوه فيها للالتحاق به والتعاون للتخلص من حكم حزب البعث، وذكر لي أنه حرص في رسالته أن يدعوه للتعاون معنا في تصحيح الخطأ الذي ارتكبه وأن نتخلص سوياً من حكم حزب البعث، وبعد أن استمعت إلى الراوي عبر ليلة كاملة شعرت بانقباض شديد، وبدأت أتحمس أنّ وراء الأكمة ما وراءها، ولكنني لم أكن أدري شيئاً حينئذ.

وفي صبيحة اليوم التالي خلوت بعبد الرزاق النايف، ولم أخفه أنه قد تسبب في تسليط هؤلاء الدمويين على أبناء البلاد بطمعه في المناصب، وأوضح له أنه لم يستطع أن يكون مثل عبد السلام عارف الذي استطاع بمكره ودهائه أن ينفذ انقلاباً ناجحاً ضد البعثيين، وأن عليه الآن أن يعي الدرس جيداً ويتعاون مخلصاً من أجل تطهير العراق منهم فوعد خيراً، لكنّه تشكى من تعامل الراوي معه، وأنّه بذلك يضعف موقفنا جميعاً أمام الإيرانيين، وطلب مني أن أقنعه بتجاوز إرث الماضي وأن نفتح صفحة

(١) منطقة سكنية في شمال طهران العاصمة. المحقق.

جديدة للتعاون المثمر، لعلنا بذلك يمكن أن نصل إلى النجاح أو نقرب منه. وتحقيقاً لتلك الرغبة قمت بجمعهما في لقاء وتحدثت إليهما وحاولت إقناعهما بتجاوز الماضي؛ فأبدى النايف استعداداً للتعاون بصدق وإخلاص، وأكد أنه ليس بحاجة إلى من يعتب عليه فيكفي ما يعانیه من الندم وتأنيب الضمير.

وبعد يومين من وصولي إلى طهران دعيت المجموعة كلها لاستقبال الفريق نصيري رئيس السافاك ومعاونيه في الملف العراقي، وهما اللواء منصور بور وهو كردي الأصل، والعقيد علي أكبر فرازيان وهو فارسي متعصب لإيران وأمجادها واستدعى الأمر حضور مترجمين، وفي ذلك الاجتماع كنت أتوهم أننا أنداد، فكنت أوجه كثيراً من الأسئلة لنصيري الذي عرفوني برتبته وبأنه رئيس السافاك، لكنني لم أكن أعلم أنه يعد اليد اليمنى للشاه، وربما هو الوحيد في إيران في تلك المرحلة الذي كان يستطيع أن يتحدث باسمه، ويبدو أنّ الرجل قد استاء من كثرة أسئلتني ولذلك التقى منصور بور بالراوي بعد ذلك في لقاء خاص وطلب منه ألا يدعوني لحضور الاجتماعات إلا بعد الحصول على موافقتهم، وبرر ذلك بأنني من الناحية العسكرية ذو رتبة صغيرة لا يصح أن أجلس إلى الفريق نصيري أو أحد معاونيه في ذلك الملف، كما طلب منه ألا يبلغني ما يدور من مناقشات، وحسب ما أخبرني الراوي فإنه رفض ولكنه لم يفلح في إقناعهم، فطمأنته بأن هذه لا ينبغي أن تكون مشكلة، وطلبت منه أن يخبرهم أنني أود السفر إلى بيروت لمعاونة عبد الرحمن الإرحيم، وحينما يبدأ الزحف نحو بغداد من شمال العراق فيمكننا أن نلحق به هناك، لكنهم اعتذروا عن السماح لي بالسفر وأجابوا الراوي بأنني ينبغي أن أظل في طهران، وحين التقيت النايف وأخبرته باستبعادي من الاجتماعات فسر ذلك بأنهم اكتشفوا شخصية عبد الغني الضعيفة والنزقة، ولا يريدونك بجواره فإنهم يودون الانفراد به، وعرض علي أنه في حال سفره فإنه سيقترح أن أعاد معي، وهكذا بات

واضحاً أن النايف صار يتودد إليّ و ربما يطمئن إليّ حتى أنه صارحني بأنّ الإيرانيين لديهم مطامع في العراق يريدون تحقيقها وأنّ مصير العراق في ورطة، ولكننا مضطرون لمسايرتهم حتى نتمكن من التخلص من البعث، وبعد ذلك يكون لكل حادث حديث.

وبعدها بأيام جاءني عبد الرزاق النايف وأخبرني بأنّ الإيرانيين يدعون بأنهم قد استمالوا العميد الركن محمد علي سعيد قائد اللواء العاشر في بغداد وأنه يتشكك في ذلك بقوة واستدل بأنه طلب مبلغاً من المال ليطلب من قواته دعم الثورة وما طلبه في الحقيقة يعد مبلغاً زهيداً حيث طلب مبلغ خمسين ألف دينار فقط وهو لا يفي بهذا الدور، وأضاف أن الإيرانيين طلبوا منه - أي: من النايف - أن يتوجه إلى لندن للقاءه ووضع خطة يمكن أن تيسر سبل الاستفادة من لوائه العاشر، وبعد أن أنهى استعداداته للسفر، أخبرني أنّ الإيرانيين رفضوا طلبه بأن أسافر معه وأن عليّ أن أظل مقيماً في طهران.

النايف في لندن

غادر النايف إلى لندن وانقطع التواصل بيننا مؤقتاً وما هي إلا بضعة أيام حتى فوجئت بأن الدكتور حسن الجلبي^(١) وأخوه د. أحمد الجلبي حضرا يتوسطان لدى طهران لفهم موقف عبد الرزاق النايف، وعدم قطع العلاقات معه، وعلمت من حسن الجلبي أنّ هناك سوء تفاهم بين ممثلي الإيرانيين

(١) عبد الهادي الجلبي شغل مناصب حكومية ووزارية وكان له علاقات وطيدة مع ملوك العراق وكان رئيس مجلس الأعيان في عهد الملكي. وهو أب الأستاذين حسن وأحمد الجلبي. وكثيراً ما كان الملك فيصل يزور الجلبي في بستانه في ساحة عدن ومقابل مطحنته المعروفة باسمه والتي لم يطالب بها الدكتور أحمد الجلبي بعد السقوط، استقر عبد الهادي الجلبي في لبنان وهناك تزوج من لبنانية هي خالة أياد علاوي حيث أم الاخير لبنانية. (انظر، قصاصة ورق... احمد الجلبي، www.aliraqtimes.com/ar/print/17526.html المحقق).

وبين عبد الرزاق الناييف حول موضوع محمد علي سعيد، وأنّ عبد الرزاق قد قرر عدم العودة إلى طهران، وأنه سوف يبذل كل جهده لإثراء الناييف عن عزمه محاولاً إزالة سوء التفاهم بينهما وإعادة العلاقات إلى مجراها السابق، غير أن هذه الوساطة باءت بالفشل وقرر الناييف البقاء في لندن؛ وعندئذ أتى الإيرانيون ليجتمعوا بالسيد الراوي ويخبروه باضطراب موقف الناييف، وأنهم قرروا أن يقصروا تعاونهم عليه، وأنه هو الذي ينبغي أن يقود العراق في المرحلة القادمة، وأكدوا له أنّ الشاه طلب منهم أن يكونوا تحت تصرفه، وصدّق الراوي ما قيل له، وظن أنّهم قد أزاحوا من أمامه عقبة كئوداً بإطاحتهم بعبد الرزاق الناييف، وبعدها دعاني الفريق منصور بور لأن اجتمع معه إلى جوار الراوي بعد أن شعروا بأنّه لم يعد أمامهم إلا هو.

وتتالت اللقاءات وعجزت عن إقناع الراوي بأن تخليهم عن الناييف يعني أنهم سيتخلون عنك في المستقبل إذا رأوا ما لا يعجبهم منك، وأنه ينبغي الحذر والاحتياط، فالإيرانيون قد كذبوا في كل ما أخبروا عنه سابقاً من أن كل شيء جاهز للانطلاق، وها قد مرت شهور من دون أن يحدث شيء، والأخذ والرد مستمر، كما عجزت عن إقناعه بضرورة أن يكون لنا مقر دائم في شمال العراق، وأن نغادر إيران إليه لنقل من ضغوطها علينا، ولكنه كان قد بنى لنفسه حياة جديدة في طهران، فهو يقضي معظم وقته متجولاً في فنادقها الفاخرة، يخرج من أول النهار ويعود في وقت متأخر من الليل، وقد أبلغني مرافقاه أنّ نصيري قد وضع في طريقه عدداً من الفتيات يعجبه قضاء وقته معهن فتشككت في الأمر فما كان منهما إلا أن أطلعاني على صور له التقطت بصحبة بعضهن، وقد تعجبت من ذلك فقد كان الراوي يحرص على صوم الاثنين والخميس من كل أسبوع^(١)، وفي تلك الفترة الحالكة وجدنتي

(١) فقد التقيت بالراوي بعد ذلك، وذكرت له ما أبلغوني به، وقلت له كل ابن آدم خطأ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأرجو أن لا يكون تهديدهم له بهذه الصور مصدراً لخضوعه لهم، والسماح لهم بابتزازه، فيكون أنذاك قد أجرم مرتين، مرة بحق ربه ونفسه، وأخرى بحق ربه=

أقول شعراً، فقلت قصيدة أنسيتهما لكنني أذكر منها قولي:

لَعَمْرِي لَقَدْ طَالَتْ بِطَهْرَانَ لَيْلَتِي وَأَطْوَلَ مِنْهَا لَوْ عَلِمْتَ نَهَارِي
مَضَتْ أَشْهُرٌ وَاللَّيْلُ دَاجٌ كَأَنَّهُ سَوَادٌ هُمُومِي أَوْ مَشَاكِلُ جَارِي^(١)

وتطرقت في قصيدة أخرى إلى معظم الموجودين في طهران، فقلت:

ثوار طهران الذين عهدتهم صدام قد فرغوا من الثورات
باتوا جميعاً في سبات ناعم سكرى بآب جو وآب نبات
أما زعيمهم فبات مدنفاً يشكوا الغرام مساءه لغداه
يقضي الزعيم نهاره متفقداً تلك الربايا من جسوم بنات
أما الحكيم ففي الرجيم ولوعه ليزيل عنه فائض الشحومات

وبينما كان الأخوة يحيون حياة رغدة في طهران كنت قد اتخذت قراراً حاسماً بعدم تلقي أية أموال من الحكومة الإيرانية حتى أنني اقترضت ثمن بدلة شتوية من سعد صالح جبر آنذاك، وكان يكفيني أنهم يقدمون لنا الطعام والشراب في المنزل الذي أقمنا فيه، وهذه المسألة كانت مثار رفض من قبل أصدقائي العراقيين إذ رأى بعضهم أنني أظلم نفسي بذلك وقد حاول البعض الاستفادة من ذلك فقد علمت بعد ذلك بطلب السيد الراوي من الحكومة الإيرانية أن تسلمه أية مستحقات مالية خاصة بي وأنه سوف يرسلها إلى العراق لدعم الإعداد للإنتقال. أما السيد مهدي الحكيم فقد ناقشني في هذه المسألة وحاول أن يجد لها تخريجاً فقهياً صافياً فاقترح أن يقوم باستلام مخصصاتي المالية من الإيرانيين ثم يقوم بتسليمها لي بنفسه، وكانت وجهة

= ونفسه وأتمته ووطنه، فتمتم وهو مرتبك بأنه لم يكن يظن أن تصل بهم الندالة إلى حد أن يغروه بالفسق ليبتزوه بالصور بعد ذلك، غفر الله لنا وله، ونجانا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن. (المؤلف). ويحتمل أن تكون المعلومات التي أعطيت للشيخ العلواني مفبركة للايقاع بين الشخصين وذلك لحاجة في نفس المسؤولين الإيرانيين. المحقق.

(١) أفصد بجاري عبد الغني الراوي. المؤلف

نظره أنّ الشيعة الإمامية يعتقدون أنّ الأموال جميعها ملك للإمام الغائب وأن نائب الإمام يجوز له أن يقوم بإنفاقها في مصارفها وتوزيعها على مستحقيها فإن تسلمتها منه - وكان والده آية الله العظمى آنذاك - فهي هبة من الإمام، وقد اعتقد بذلك أنه قد أوجد لي مخرجاً شرعياً من هذه الأزمة لكنني تمسكت بموقفي ورجوته إغلاق هذا الموضوع نهائياً، فأغلقت.

استمرت الأحوال في طهران على هذا المنوال إلى أن فوجئنا في يناير / كانون الثاني ١٩٧٠ بأن إذاعة بغداد قد أعلنت أن كشف مؤامرة تديرها طهران لقلب نظام الحكم في العراق^(١)، وأن مجلس قيادة الثورة قد شكل محكمة لمحاكمة جميع المتهمين برئاسة طه ياسين رمضان وقد أصدرت المحكمة أحكاماً بالإعدام بحق حوالي مائتي شخص من المتهمين تم إعدامهم على يومين أو ثلاثة، وكان من بينهم محمد فرج الجاسم وجابر حسن حداد وعبد الستار العبودي و صفوگ راکان وعبدالغني شندالة وكمال الراوي وآخرين^(٢)، كما كشفت النقاب عن بعض الوثائق وغالبيتها رسائل

(١) انظر الملحق رقم ٢.

(٢) ولم يعرف إلى الآن على سبيل الدقة من الذي قدم أسماء المشاركين في محاولة الانقلاب ووردت في ذلك أقاويل عدة، فقد ذكر جواد هاشم وزير التخطيط الأسبق أن حسن الخفاف وهو ابن خالته قد اعترف له بأن مؤامرة لقلب نظام الحكم تعقد في داره في مدينة المنصور، فأخبر أحمد حسن البكر بذلك، واعتقد الخفاف أنه بذلك قد أمن نفسه إلا أنه سرعان ما أعدمه النظام البعثي. (انظر، أحمد الحبوبى «ليلة الهرير في قصر النهاية» الخميس، ١٦ أيلول / سبتمبر، ٢٠١٠. http://saddamscrueity.blogspot.com/2010_09_01_archive.html) ويقال أيضاً أن معلومات قد سربت حول هذا الموضوع من الاتحاد السوفيتي إلى الحزب الشيوعي العراقي. فقد ذكر بهاء الدين نوري في مذكراته أن مكرم الطالباني أرسل موفداً من الحزب الشيوعي إلى حكومة البعث حاملاً معه معلومات تفصيلية حول المحاولة ووعد الرئيس أحمد حسن بكر بأنه لن ينسى هذا الفضل مدى الحياة. [انظر: مذكرات بهاء الدين نوري (لندن: دار الحكومة)، ص ٤٠٢ - ٤٠٣]. وقيل إن الأسماء عرفت عن طريق الإيرانيين أنفسهم حين أعطوا الأسماء للواء محمد علي سعيد الذي أوهمهم أنه معهم. أما عباس آزرمي، القنصل =

موجهة من عبدالغني الراوي إلى الضباط العراقيين في الداخل قام الإيرانيون

= الإيراني العام في بغداد، فقد ذهب إلى القول أن عبد الرزاق النايف هو من أرسلها من لندن إلى أحمد حسن البكر، على حين يتهم النايف الراوي بأنه يقف وراء تسليم السلطات العراقية أسماء الضباط المتعاونين معهم. (أنظر: (نبراس الذاكرة ، تاريخ النشر ١٦/٠٨/٢٠١٢. <http://nbraas.com/inp/view.asp?ID=220>) اتهمت إيران آنذاك ملا مصطفى البرزاني، أيضاً بأنه هو من كشف أسرار تلك المحاولة للحكومة البعثية لكن الحكومة البعثية أعلنت أن اكتشاف ذلك قد تم عن طريق المجموعة المخبرانية التي دسوها عليهم بقيادة (محمد علي سعيد) الذي كان مدير الحركات العسكرية في العراق، و(فاضل الناهي)، والملحق العسكري في طهران (فاروق صبري). فالفضل لهم في كشف المؤامرة وتفصيلها وإبلاغ بغداد بكل شيء، وكان مندوب السفارة الإيرانية (ناهد طاهري) يتسلم رسائل (عبد الغني الراوي) التي يرسلها بواسطة (السافاك) الإيراني إلى السفارة الإيرانية فيسلمها طاهري إلى رائد شيعي اسمه (أحمد عبد الله) يقوم بتصويرها وإعطاء نسخة منها إلى فاضل الناهي، ثم يرسل الأصل إلى صاحبه من المتصلين بعبد الغني الراوي مثل: (صفوگ راکان)، و(كمال الراوي) وآخرين. ويقول تقرير سري للسفارة البريطانية في بغداد أن هناك الكثير من المصادقية في الرواية الرسمية الحكومية ولا تؤكد رواية النايف بل أن المخابرات العراقية بواسطة محمد علي سعيد هي التي كشفت المحاولة في مهدها وتتفق مع رواية صاحب السيرة. (وثيقة رقم FCO 17/1240 ، هينج كلف، قسم دائرة الشرق الأدنى، موضع المحاولة الانقلابية في العراق، تأريخ: ٣١/١/١٩٧٠). وبالتالي فإن من الصعب من أن يحمل (الملا مصطفى البرزاني) مسؤولية انكشاف تلك المؤامرة أما المشاركة في الإعداد لها فقد كان شريكاً كاملاً في ذلك، لكن التنفيذ استبد به رجال الفريق نصيري قائد السفاك في عهد (شاه إيران)، والله أعلم. (رسالة من صاحب السيرة للمحقق في تاريخ ٢٥/٧/٢٠١٤). يقول صاحب السيرة «وإزاء هذه الأقاويل والتكهنات لا يستطيع المرء أن يحدد من هي الجهة التي سربت الأسماء على وجه الدقة. وإن كانت كل تلك الجهات مسؤولة في الحقيقة عما حدث.» ولكن يبدو أن الاحتمال المرجح أن النظام عرف عن الخيوط الرئيسية للمؤامرة من حسن الخفاف واسماء الضباط الذين أعدموا من الراوي. علما أن الراوي حاول وبطريقة غير مباشرة اتهام صاحب السيرة أيضا في هذا المجال وهذا ما أستبعده وذلك لمعرفتي الجيدة بشخصية الشيخ العلواني التي صقلتها الاحداث السياسية وبمعرفة الشيخ بطبيعة النظام البوليسي البعثي في العراق. المحقق.

بنقلها. وحين علمت بإعدام هؤلاء واجهت الراوي وعاتبته أنه سلم أسماء هؤلاء وبياناتهم كافة إلى إيران فلم يخف أنه أراد بذلك أن يقنعهم بأنه أقوى من النايف وأن بمقدورهم الاعتماد عليه من دون سواه لتحقيق الثورة. وقد حاول الإيرانيون التخفيف من تأثيرات ذلك الانكشاف فحضر بعض قياداتهم إلى المنزل الذي كنا فيه لتقديم واجب العزاء مع تقديم شيء من الاعتذار المستبطن عن بعض أخطائهم التي أدت إلى انكشاف المحاولة، ورغم ذلك فقد حاولوا أن يضعوا المسؤولية على عاتق الملا البارزاني وادعوا أنه ربما قد تنبه إلى تلك الأسماء؛ لأنها طرحت أمامه في بعض اللقاءات السابقة من قبل الراوي والنايف والسيد الحكيم، ولم يترددوا كذلك في إلقاء بعض المسؤولية على عبدالغني الراوي الذي كان متسرعاً، ويبدو أنّ بعض من أعطى أسماءهم لم يكونوا على وفاق مع الآخرين مثل: صفوگ والسيد كمال الراوي والسيد جعفر.

والحقيقة أنّ حزب البعث بعد أن أحيط علماً بأنه يتم الإعداد لإنقلاب كبير تشترك فيها دول إقليميّة عربيّة كبرى مع إيران والولايات المتحدة؛ قرر أن يضع شباكاً لاصطياد المخططين في الداخل، فأوعز إلى المخابرات العراقيّة أنّ تشكل تنظيمًا بترأسه اللواء نافع سليمان مدير الشرطة العامّة، وأحد كبار الضباط من مدينة الموصل، وأضيف إليه مجموعة كبيرة من الضباط من مختلف الرتب؛ الذين تظاهروا أنهم متدمرون، ويريدون الانقلاب على النظام البعثي، وأنهم يحظون بمباركة المرجعيّة الشيعيّة والقيادة الكرديّة.

وكان نافع سليمان صديقاً لعبد الرحمن الإرحيم، وفي إطار التحضير لذلك الانقلاب كلف بزيارة بيروت في تشرين الأول للالتقاء ببعض الإنقلابيين، وحين وصل بيروت استغل فرصة وجوده هناك فالتقى بالأخ عبد الرحمن وطلب منه تحذير كل من يعرف من الانخداع بذكر اسمه؛ لأنّ الاستخبارات سوف تستخدمه لتجنيد البعض واستدراجهم، وأخبره بأنه

والحكومة العراقية يعرفون أنّ الراوي في طهران، وهناك محاولات للاتصال بأطراف عديدة رافضة للنظام، وأنه يرجو ألا ينخدع أحد في هذا. وقد كتب عبد الرحمن رسالة إليّ بهذا المعنى وأرسلها عن طريق مسؤول ثقافيّ إيراني في بيروت - كنت قد رشحته ليكون وسيلة للتواصل بيننا بناء على تزكية د.حسن الجلبّي ولم أكن أدري أنه يعمل مع السافاك - ، ولكن المخابرات الإيرانية اطلعت على الرسالة ورفضت توصيلها واحتفظت بها، ولو أنّ هذا التحذير قد وصلنا لربما استطعنا أن نخفف من الكارثة أو نحمي بعض الأشخاص، أو استطعنا أن نوقف عمليات التعاون المكشوف المفتوح بين الراوي وبين الأجهزة الإيرانية أو أدخلنا تعديلاً أو تغييراً ما، خاصة وأنّ رسالة نافع سليمان قد حذرت أيضاً من أنّ المقدم الركن فاروق صبري وهو ضابط قومي ناصري استطاع البعثيون كسبه وتعيينه ملحقاً عسكرياً في طهران، وقد وضعت تحت يديه إمكانات مادية هائلة؛ ليتتبع تحركات الموجودين في طهران، واستطاع فاروق صبري أن يتصل بالسيد الراوي والتقي به في فندق هلتون طهران مرتين على الأقل.

وقد أخفى عني الراوي أمر اللقاء الأول ولكنه بعد اللقاء الثاني أخبرني أنه التقاه صدفة وأن حديثاً دار بينهما - وأن الراوي الذي عمل أستاذاً له - قد سأله عن أخبار النظام في بغداد، وماذا يرى من نقاط قوته ونقاط ضعفه، وأن فاروقاً أفضى له بمعلومات كثيرة سيأخذها في الاعتبار وأنه ترك له رقم هاتفه الخاص، وكان الراوي يظن أنّ تلك فرصة يستطيع من خلالها أن يبعث برسائل مضملة إلى النظام البعثي بطريق ملحقهم العسكري. والحقيقة أنّني تشككت كثيراً فيما ذكره الراوي فمعرفتي بفاروق تجعلني أوقن أنه أكثر ذكاء من الراوي فهو ضابط استخبارات منذ شبابه ولديه خبرة وتجربة، ويعرف موقف الراوي ودعمه لعبد الرحمن عارف ومساهمته في إفشال تحرك القوميين وعارف عبد الرزاق، وكان فاروق صبري ينتمي إليهم، فكانت تلك فرصة له لأن يُوقع بالراوي، ولم يكن بمقدور الراوي أن يدرك ذلك أبداً.

لم يكن اختراق عملية الانقلاب من قبل المخابرات البعثية هو الخطأ الوحيد الذي ارتكب آنذاك، فهناك خطأ آخر لا يقل فداحة وهو اقتناع الإيرانيين بأنه يمكن تنفيذ الانقلاب اعتماداً على الشيعة من دون غيرهم، وعلى هذا عقد فرازيان، أحد أعضاء الملف العراقي في السافاك، اجتماعاً في الكويت ضم بعض القيادات الشيعية في تشرين الأول عام ١٩٦٩ حضره القائم بالأعمال الإيراني في الكويت شيخ الإسلام، ونقل فيه فرازيان إلى الحاضرين إمكانية استكمال الاستعدادات لانطلاق الثورة من دون حاجة إلى إشراك الأكراد والسنة في هذه المرحلة، وشدد على أن الشاه قد أمر بوضع جميع إمكانات إيران لتحقيق هذا الغرض، وأن إيران ليست وحدها لكن هناك دولة عربية كبرى إقليميّة تشاركها هذه المحاولة إضافة إلى الدعم البريطاني - الأمريكي^(١) الذي سيتمثل في إعلان تأييدهما للانقلاب فور إذاعة البيان الأول، واحتياطاً يمكن تسليح بعض العناصر المدنيّة الشيعيّة في

(١) أطلعنا على قدر لا بأس بها من مراسلات السفارة البريطانية في بغداد وتقارير وزارة الخارجية وارشفيف الرئيس الأمريكي وتقارير الكونغرس للأعوام عام ١٩٦٩ و ١٩٧٠ فلم نجد أية إشارة حول التورط البريطاني أو الأمريكي في المحاولة الانقلابية. وهذا يعني في تصورنا ثلاثة أشياء: أولاً، لم تطلق سراح تلك التقارير بعد وذلك لمقتضيات الأمن القومي البريطاني. ثانياً، ومن الممكن جداً أن الغرب قد أوكل شاه إيران كلياً القيام بالمهمة وليس لهم يد ضالع بالمؤامرة مباشرة. ثالثاً، وهو الاحتمال الأكثر، أن المبادرة كانت كلياً مبادرة إيرانية. ولكن التقارير التي أطلعنا عليها تشير إلى استياء السفير البريطاني من التغطية الكبيرة التي حظي بها الحدث في الصحافة البريطانية. وتقول تلك التقارير بأن الإيرانيين متورطين فيها من أخصم القدم حتى قمة الرأس، ولكن النظام العراقي حاول استغلال الحدث بتكوين انطباع أمام الرأي العام العربي والعراقي بكونه ضحية مؤامرة غريبة. ويقول السفير البريطاني بأنه قدم احتجاجاً شديد اللهجة إلى الخارجية العراقية حول تلك الاتهامات. وأن المسؤولين العراقيين ينكرون اتهامنا في المحادثات الخاصة ولكنهم يقولون شيئاً آخر للعراقيين. (وثيقة رقم FCO/17/1240 كتاب من دائرة قسم شرق الأوسط إلى السفارة بريطانية في بغداد، رقم الكتاب ١/ الانقلاب الفاشل في العراق، ٢٤، كانون الثاني ١٩٧٠). المحقق.

المناطق المحيطة ببغداد لإرباك قوات البعث لو أرادت التصدي والمقاومة، وأن قيادة هذه المحاولة ستكون لجبهة الوفاق الوطني^(١) بقيادة العميد المتقاعد الشيعي محمد رشيد الجنابي، وأنه تم اللقاء معه في بيروت وأنه استطاع أن يكتسب تأييد كثير من رجال العهد الملكي المقيمين في لبنان، وفي مقدمتهم آل الجلبي وبعض السياسيين القدامى.

ويبدو أن لقاء الكويت قد تمخض عن بعض المطالب في المال والسلاح، وعد علي أكبر فرازيان بتلبيتها، وابتلع الإيرانيون ومن وراءهم الطعم من دون أن يشعروا بأن لقاءاتهم وتحركاتهم ومراسلاتهم كانت تجري

(١) حركة الوفاق: في بدايتها كانت حركة شيعية أسسها العميد رشيد الجنابي من الشيعة، كان يرأس التنظيم الشيعي العسكري والعشائري في إطار مستشاري السيد آية الله محسن الحكيم، وكانوا أربعة وعشرين من مختلف التخصصات، يشكلون مجلساً استشارياً للسيد الحكيم، وبعد فترة قررت الاستخبارات العراقية الاندساس بينهم بعد أن انكشف أمرهم للمخابرات العراقية البعثية، فأرسلت المخابرات بفاضل الناهي واللواء نافع سليمان وآخرين من البعثيين الشيعة وبعض السنة العسكريين للانضمام إلى هذه الحركة، وصار اسم جميع المنتمين إليها من العناصر الأساسية والعناصر التي دستها الحكومة حركة الوفاق، وقدمها السيد مهدي الحكيم إلى الإيرانيين باعتبارها التنظيم العسكري الشيعي، وعلى إثر ذلك حاول عبد الرزاق الناييف أن يقنع الإيرانيين بأن لا يتعاونوا مع حركة الوفاق؛ لشكه باندساس عناصر كثيرة من حزب البعث فيها يعملون لصالح المخابرات الإيرانية، ومنهم: العقيد الركن فاروق صبري الذي كان الملحق عسكري في طهران والتقى مرتين بعبد الغني الراوي بفندق هلتون في طهران، لكن الإيرانيين قد عبثوا طائفيًا أعني بذلك الجنرال نصيري، وعلي أكبر فرازيان، ومنصور بور، وأقنعوا بأن الشيعي ما دام شيعياً فلا يمكن أن يخون إمام الشيعة لصالح حزب البعث، فأعطوا توثيقاً عاماً لهذه الجماعة أدى إلى تلك الكارثة التي حدثت في شهر يناير من عام ١٩٧٠، التي أביد بها ذلك العدد الكبير من ضباط الجيش، الذين استدرجتهم المخابرات البعثية وفاضل الناهي ومن إليه للفخ الذي نصبته المخابرات البعثية. المقدم فاضل الناهي من آل ناهي فهو الضابط الذي كلفه برزان التكريتي أن يمثل دور الأمين العام لتنظيم وهمي باسم جبهة الوفاق الوطني لكشف جماعة عبد الغني الراوي [أنظر: برزان التكريتي، محاولات اغتيال الرئيس الرئيس صدام حسين (بغداد: دار العربية، ١٩٨٣)، ص ٤٧ - ٤٩]. المحقق.

تحت مرأى ومسمع مجموعة المخابرات البعثية الذين تواصلوا مع عدد كبير من المجتمعين، وبلغ من سذاجة مسؤولي السافاك أنّ أحد رجال المخابرات العراقيين قد اقترح في اجتماع الكويت أن يرسل إليهم بخطة كاملة للاستيلاء على المواقع الرئيسية، كالقصر الجمهوري ومحطة الإذاعة والتلفزيون والمعسكرات المحيطة ببغداد وما إلى ذلك، واقترح أن يكون المسؤول عن السيطرة على بغداد العميد الركن محمد علي سعيد قائد اللواء العاشر الذي سرعان ما وثق الإيرانيون به لمجرد كونه شيعياً على الرغم من انتمائه لحزب البعث، ومع ذلك فقد قبل الإيرانيون أن يسيطر بقطاعات اللواء العاشر الموجودة - آنذاك - في معسكر الرشيد والقصر الجمهوري على المرافق الأساسية ويقوم بإعدام قيادات حزب البعث، ويلقي القبض على سائر القيادات التي يخشى أن تقوم بعمليات مضادة، أمّا رجل السفارة داوود طاهري - الذي كان يشغل منصب السكرتير الثالث فيها ويبدو أنّه كان رجل السافاك - فقد كان يلتقي بالعقيد الركن فاضل الناهي الذي جنده الاستخبارات العراقيّة، وكان شيعياً، وقد سجل جميع محادثاته مع داوود طاهري، وكان يستلم من داوود طاهري الرسائل التي يرسلها عبد الغني الراوي بالحقيبة الدبلوماسية الإيرانيّة، فيسلمها داوود طاهري لفاضل الناهي الذي يقدم صورة عنها إلى الاستخبارات العراقية، ثم يسلمها إلى أصحابها المرسل إليهم مثل صفوگ وكمال الراوي وسواهما.

وهكذا استطاعت عناصر المخابرات العراقية استدراج حركة الوفاق إلى بعض الأماكن التي كان عليهم أن يسيطروا عليها في بغداد، فذهبت مجموعة للسيطرة على كتبية المنصور وكتبية دبابات الرشيد فقبض عليها كلها، ودخلت مجموعة أخرى إلى القصر الجمهوري، ومنهم العميد رشيد الجنابي وسلمان الدرجازلي وآخرون، وكان بانتظارهم داخل القصر أحمد حسن البكر وأعضاء القيادة القطريّة لحزب البعث وعناصرهم، ولم يكادوا يدخلون القصر حتى وجدوا أنفسهم قد سقطوا في الفخ الذي اقتادتهم إليه مجموعة

المخابرات الهندسة، ولم تمض ساعات قلائل حتى كان جميع قادة المحاولة من رجال الوفاق المتعاونيين مع إيران وبعض من انضم إليهم رهن الاعتقال، وخلال ساعات تم تقديمهم على دفعات إلى المحكمة التي بدأ الحزب يعد لها قبيل أن يوقع بهم فعلياً والتي ترأسها طه الجزراوي وضمت في عضويتها ناظم كزار وعلي رضا، وسرعان ما أعلنت عن إعدام مجموعات كبيرة بحيث لم تقتصر على المشاركين في الانقلاب وإنما ضمت كذلك خصوماً للبعثيين الذين وجدوا في هذه المحاولة الانقلابية فرصة للتخلص منهم^(١)، وبعض هؤلاء قتل حتى قبل أن يصدر بحقه حكم بالإعدام، وقد كانت المحكمة تصر على أن جرائم هؤلاء هي جرائم مخلة بالشرف تحمل معنى الخيانة العظمى، وتصر على مصادرة أموالهم المنقولة وغير المنقولة.

(١) كان من بين من صدرت بحقهم أحكام بالإعدام رشيد مصلح ومحمد رشيد الجنابي وصالح مهدي السامرائي ورافع درج وشفوك راكان ومصطفى أحمد وجابر حسن حداد وسلمان الدرجلي وعباس اللامي وعدنان حسين وصالح خضر ونظام الدين عارف وفاضل مصطفى أحمد وراهي سكر وشكري محمود صالح وسلمان التميمي وعلي عبد خلف وزيدان خلف وخزعل صبري، إضافة إلى محمد فرج الجاسم وعبد الستار العبودي عبدالغني شندالة، ومجموعة كبيرة من الإسلاميين، وقد أعدموا في الوقت نفسه علاء الدين الحشمة وماجد طرقي وأنور الجميلي ووطبان أحمد وحامد منير وحسن الخفاف ومحمد عباس مظلوم وإسماعيل نجم وعبد الوهاب الهيبي «شقيق إبراهيم الداود» ورياض محمد المفتي وأحمد عبد الله وعصام مهدي ورافع الحمامي وخضر حمودي وأكرم أمين وكمال أحمد الراوي وصادم عبد الله وحسين عبد الوهاب الدلال وكمال الراوي، كما حكم بالإعدام على بعض الغائبين مثل عبد الغني الراوي وشامل الحسن ومدحت الحاج سري وسعد شاكر فهمي وعبد الله محمد الخياط وزكي عبد الوهاب والبير نونو ومحمد مطاع الحسامي. (انظر: وثيقة رقم FCO/17 - 1240، السيد إن جي بلفور بول، سعادة السفير، السفارة البريطانية في بغداد ١/٢٤/١٩٧٠ - إلى سيد أي أسلان، قسم دائرة شرق الأوسط في الخارجية البريطانية). المحقق.

جذور المحاصصة الطائفية

وهكذا فشلت محاولة كان يمكن لولا الطائفية السياسية والغرور الشاهنشاهي مضافاً إليه غرور أجهزة السافاك ألا تأخذ هذا الشكل، ولا شك عندي أن هذه المحاولة بالطريقة التي جرت فيها والملابسات التي اشتملت عليها هي التي مهدت لكل ما جرى سنة ٢٠٠٣؛ وعلى ما يبدو في إيران كان مقدراً لها أن تلعب الدور نفسه الذي لعبته القوات الأمريكية فيما بعد. لقد أرادت إيران في عهد الشاه أن تحصل سائر المكاسب من الخليج وبخاصة السعودية والعراق، عن طريق التصدي للحصول على تفويض غربي وإسرائيلي وعربي إقليمي؛ لإحداث التغييرات المطلوبة في العراق، ولبيان هذا تستعيد الذاكرة ما كان قد جرى قبل سفر الناييف إلى لندن، لقد كان الحديث يدور صراحة بين العراقيين الموجودين في طهران وقيادة السافاك حول المحاصصة الطائفية، وضرورة أن يحكم الشيعة العراق وأن تقسم أجهزة الدولة ومؤسساتها بين الطوائف الثلاث الشيعة والأكراد والسنة، وحتى الجيش جرى التفكير في جعله ثلاثة أقسام على أسس طائفية محضة.

ولم أكن أدعى لهذه اللقاءات، لكن الراوي والنايف كثيراً ما طرحوا أمامي بعضاً من هذه الأمور بعد مناقشتها مع قيادات السافاك، وحين سألتهما كيف تقبلون وأنتم عسكريون محترفون بتقسيم الجيش على نحو يشل معه فاعليته وقدراته تماماً، بل وقد تترتب عليه مشكلات وفتن تنذر بمحو الوجود العراقي كله، إذا حدث اقتتال بين جيوش هذه الطوائف؛ فكانت إجابتهما أننا نوافق لأننا لا نملك خياراً آخر الآن لكننا ما إن نعود إلى بغداد فسوف يكون لكل حادث حديث، ولن نسمح أبداً بتنفيذ مثل هذا الاقتراح، فأكدت لهما أن هذا تفكير خاطئ لأنهما يتعاملون مع قوى دولية كبرى لا مع ضباط قد يخدع بعضهم بعضاً، لكنهم أصروا على موقفهم. وما زلت أحتفظ بأوراق بخط الناييف وأخرى بخط الراوي، وهي الأوراق التي تمثل مسودات محاضر اجتماعات طهران التي كان يحضرها أعوان الشاه من

قيادات السافاك نصيري وبور وفرازيان وغيرهم، وإضافة إلى ممثلي الملا البارزاني والسيد مهدي الحكيم ومرافقوه حول المحاصصة الطائفية.

مغادرة طهران وعودتي المؤقتة إليها

لقد قررت أن اغتنم الفرصة لتحرير نفسي من الإقامة الجبرية التي فرضها الإيرانيون عليّ في طهران، وأن أغانر إيران بعد أن فشل كل شيء وبدأ الإيرانيون يشعرون بأنهم قد بالغوا في تقدير ذكائهم ولذلك اعتذروا لي عن احتجاجي طيلة الفترة الماضية وعدم تقديري بالشكل المناسب، وأنه تأكد لديهم صحة كثير من آرائي، وصارحوني بأنه ثبت لهم أنّ الراوي لم يكن مؤهلاً للمهمة الموكلة إليه، وجاءوني بألبوم مصور له مع بعض الفتيات اللواتي يتصل بهن فكان تعليقي أنني لم أنظر إلى الراوي يوماً باعتباره مرجعاً لأقلده فهو ضابط ويصعب على ضباط الجيش في أيّ مكان أن يكون لديهم التزام ديني متين، فتربيتهم العسكرية تجعل لديهم نوعاً من الاستعداد للالتزام الظاهريّ مع قياداتهم بقطع النظر عما يكونونه من مشاعر لأولئك القادة، وبعد أن ينطبع العسكري بهذه السلوكيات ويعيش بها فترة طويلة تصبح سلوكاً عاماً له؛ ولذلك كان للماركسية موقف خاص من هذا النوع من التكوين وللإسلام موقفه كذلك، فليس هناك ما تأخذونه على الراوي إن كان قد مارس هذه السلوكيات، فلا نحن ولا أنتم نريد تعيينه مرجعاً دينياً، والمطلوب منه أن يكون كفاء في مجاله العسكري.

كان الراوي ما يزال - آنذاك - يسكن البيت نفسه الذي أسكنه، وقد فترت علاقتنا بعد أن أيقنت أن تهوره وتعطشه للسلطة أودى بحياة كثيرين من أبنائنا وإخواننا، وعرض البلاد إلى ذلك الخطر الجسيم ولكن ذلك لم يمنعني من أن أخبره «بأنّ الإيرانيين لم يعودوا يرونك الرجل الذي يعتمد عليه، وقد أتوني بصور لك مع بعض الفتيات ليقنعوني بأنك لست متديناً ولا ملتزماً، وأنك منافق فإياك أن يخضعوك ويهددوك. وأرجو أن تكون قوياً

معهم ولا تضعف أمام ذلك، ظناً منك أنك إن فعلت فلن يلوثوا سمعتك»، وأخبرته أنني سوف أعادر إلى السعودية لأداء الحج وأنتي حصلت على موافقتهم وعلمت منهم أنهم سوف يطلبون من السلطات السعودية تأميني خلال أداء المناسك.

وقبيل مغادرتي طهران مباشرة دارت محاولات من الإيرانيين لإقناعي بالعودة إلى طهران مجدداً لنبداً بتصورات جديدة مستفيدين من جميع الأخطاء التي وقعنا فيها، فأكدت لهم أنني أود أن اعتزل كل شيء له علاقة بالسياسة وأنصرف إلى إنهاء رسالتي للدكتوراة، وبعدها أتفرغ للتدريس في الجامعة في أي بلد آخر فقالوا: موقعك هنا، ويمكنك أن تناقش رسالتك في جامعة طهران، وتصبح أستاذاً في الجامعة؛ فتكون قريباً منا نستشيرك عند الحاجة.

شكرت الإيرانيين على عرضهم ثم غادرت إلى الكويت ومنها إلى المملكة العربية السعودية، التي ما إن وطأت قدمي أرض المطار حتى فوجئت برجال المخابرات السعودية يرحبون بي ويأخذوني إلى أحد الفنادق وقد علمت منهم أنني على موعد مع معالي رئيس الاستخبارات عمر شمس في المساء، وبعد سويغات قليلة كنت في ضيافته وقد أحسن الرجل استقبالي ورحب بي بشدة، ثم قال: بأن الإيرانيين قد اتصلوا به وطلبوا منه توفير الحماية اللازمة أثناء إقامتي في المملكة، وفي اللقاء طلب مني تفصيلات كاملة حول أوضاعنا كعراقيين منذ أن وصلنا إلى طهران ولم يخف الرجل أن الإيرانيين قد همشوا دورهم وأنهم ما كانوا يطلبون منهم سوى المساندة المادية وأنهم أخفوا عنهم تفاصيل ما يجري، فذكرت له ما أعرفه وكيف خسر الإيرانيون الملا مصطفى البارازاني،^(١) وكيف ضغطوا على الآخرين

(١) هناك عدة اشارات للأسباب التي أدت إلى قبول البرزاني لعرض الحكومة العراقية في نهاية ١٩٦٩ للمفاوضات. فهناك من أشار إلى وجود حالة الإنهاك عند القوات البرزانية في حربها =

واستدرجتهم طائفيتهم إلى الانخداع بفخاخ رجال مخابرات نظام البكر / صدام، الذين دسوا عليهم مجموعة شيعية كانت منذ أكثر من عام تتابع تفاصيل ما يجري في طهران، وبعد أن استمع بدهشة إلى ما ذكرته أثار مجموعة من الأسئلة وأجبتة عنها، وأخبرني أنه يتوقع أن يطلب جلالة الملك لقائي ليسمع مني تفاصيل ما جرى في طهران، وأقترح أن أعد رسالة مكتوبة وأرفعها لجلالة الملك بما ذكرته حتى يلم جلالته بالصورة كلها، ويكون مهياً لمناقشة التفاصيل كافة، لكنني عدت وطلبت منه أن يُعد بنفسه تقريراً للملك عن لقائنا، وإن شاء عرضه عليّ لأضمنه ما قد يكون فاتته ثم يرفع إليه، فذلك أولى من أن أكتبه بنفسني. والحقيقة أن الرجل كان ولم يكن من النوع المعقد الذي يصر على رأيه، وأشعرتني معاملته الطيبة بالفروق الكبيرة بين المخابرات السعودية وبين الإيرانيين في عهد الشاه.

في أثناء موسم الحج التقيت ببعض من أصدقائي وإخواني وبعض أعضاء المنظمة العسكرية الذين غادروا العراق لأداء فريضة الحج من أولئك الذين لم يقبض عليهم لأن أسمائهم لم ترد في رسائل السيد الراوي وهم عبد الرحمن الإرحيم وخالد النورجي ومحمد الألوسي وفليح السامرائي،

= للقوات الحكومية المدعومة من قوات البيشمه ركة الموالية لجلال الطالباني، وتدخل السوفييت وضغطهم على البرزاني، ورغبة صدام لفترة من الهدنة المؤقتة مع الكرد لتدعيم مركزه في بغداد. (أنظر:

Edmund Ghareeb, *The Kurdish Question in Iraq*, New York: Syracuse University Press, 1981. د. كمال مظهر أحمد، ط ٢ (أربيل: .و.، فؤاد عارف، مذكرات، تقديم وتعليق: د. دار آراس، ٢٠١١)، ومذكرات بهاء الدين نوري المشار إليها أعلاه). ولكن لم يتطرق أحد إلى هذا العامل الذي يشير إليه صاحب السيرة. وهذه مسألة جديرة بالبحث من قبل الباحثين. ولكن ما يؤكده جميع من تطرقوا إلى تفاصيل مفاوضات البرزاني مع صدام هو أن البرزاني لم يكن مقتنعاً بها وإنما أجبر عليها. (أنظر: محسن دزيب، أحداث عاصرتها ج ٢ - ٢، أربيل: عن دار تاراس للطباعة والنشر، ٢٠٠٢). لذلك أن المصادر المقربة من البرزاني تؤكد ما ذهب إليه الشيخ طه جابر من دون الإشارة إلى السبب الذي شخّصه لنا الشيخ. المحقق.

وشرحت لهم كل ما صادفناه واستمعنا لكل ما جرى، وهنا اتفق الأخوة جميعاً على أنه لا بد من عودتي إلى إيران للتفاوض معهم مجدداً حول إمكان إعادة الكرة بطريقة جديدة تتجاوز أخطاء الماضي، على أن يتم التفاهم مجدداً مع الملا مصطفى البارازني^(١). وكانت وجهة نظرهم أنه لا أمل في تغيير الأوضاع إلا بتعاون إيراني كردي مع الفئات العراقية الأخرى التي لا تستطيع وحدها تحقيق ذلك الهدف، وخولوني مهمة التفاوض باسم الحركة الإسلامية العراقية وحركة الأنصار، واتفقنا على مطالب معينة فإن استجاب الإيرانيون لها فيمكنني أن أدعو الآخرين للحضور إلى طهران والتفاهم، وإذا رفضوا أو تلاكأوا فيمكنني أن أغادرها ونفكر بعدها في تدبير آخر، وذهبت إلى الكعبة بكيت بكاء مرأً عند الكعبة قبل أن أعطي موافقتي على العودة؛ لأنني بالفعل شعرت وكأنني أساق إلى الموت وأنا أنظر، وعلى هذا أبلغت عمر شمس بأن عليّ أن أعود فأخبرني وأنا أودعه أنهم سيتابعون الأمر مع الإيرانيين لنشعرهم باهتمامنا بحريتك وسلامتك، ونرجو

(١) يبدي أعضاء السفارة البريطانية في بغداد دهشتهم من عدم قيام النظام العراقي من توجيه التهمة العلنية إلى قيادة البرزاني. رغم أن الأخير وباعتراف جميع الأطراف كان طرفاً رئيسياً في المحاولة. ويعتقد السفير البريطاني أن الحكومة تعرف مدى تورط الحركة الكردية مع الانقلابيين ولكنها لا تنوي الإقرار بأي شيء يؤدي إلى عرقلة الوصول إلى الاتفاق مع قيادة البرزاني. ولكن التقرير يقول أن كشف المحاولة أخرج موقف البرزاني فأصبح بين كماشة الضغط الإيراني المتزايد بعدم التخلي عن المعارضة والوعود المغرية من الشاه، وشعور البرزاني بأن النظام خرج من المحاولة الانقلابية أكثر قوة ولن يتردد لاستعمال قوته الجديدة ضد الكرد. لذلك اضطر البرزاني إلى الوصول إلى التفاهم مع الحكومة (وثيقة رقم FCO/17/1240 - السيد إن جي بلفور بول، سعادة السفير، السفارة البريطانية في بغداد ٢٤/١/١٩٧٠، إلى سيد أي أسلاند، قسم دائرة شرق الأوسط في الخارجية البريطانية). كما لم يتطرق الأستاذ مسعود البرزاني في كتابه عن البرزاني والحركة التحررية إلى هذا الحدث بالتفصيل. ويكتفي بالقول: كان الإيرانيون يراهنون كثيراً على نجاح المحاولة الانقلابية. (مسعود البارزاني، البارزاني والحركة التحررية الكردية، ج ٣، اربيل: كاوا للنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ص ١٣) المحقق .

ألا نحتاج إلى أن نطلب منهم يوماً السماح لك بالسفر؛ لأننا نتوقع ألا يكون موقفهم هذه المرة مماثلاً لما سبق.

كنا في الأول من مارس حينئذ وفيما كنت عائداً بالسيارة من المدينة المنورة إلى جدة إذ فتح السائق الراديو على إذاعة لندن، فاستمعت إلى بيان عراقي يعلن الحكم بالإعدام عليّ وعلى عبد الرزاق النايف^(١). وتبع ذلك بيان آخر من الحكومة العراقية يدعو إلى إلقاء القبض علينا أينما وجدنا، وربما كانوا يظنون أنني ربما أكون في داخل العراق، وقد بلغني بأنّ صوري قد وزعت في أماكن عامّة عديدة للمساعدة على القبض علي، وبعدها أعلن في بغداد عن بيان أذار حول المصالحة بين القيادة الكرديّة بزعامة الملا البارزاني ونظام البعث وتوقفت الاتصالات بين ملا مصطفى والقيادة الإيرانية.

عودة الى طهران

توجهت فور وصولي إلى طهران للقاء مندوب الملا البارزاني بابا علي الشيخ محمود الذي كان لا يزال موجوداً في طهران وتكلمنا في أمر الصلح فألقى الرجل باللائمة على الأخوة الشيعة، وقصر نظر رجال الشاه الإيرانيين الذين حملوا الملا البارزاني على أن يسالم حزب البعث ويصالحه، ولكنّه أبدى قناعة بأنّ هذا الصلح لن يستمر طويلاً، وتوقع أن ينقضه الملا إذا اطمأن أنّ الإيرانيين لن يكرروا أخطاءهم، وأخبرته بما جيئت من أجله، ورجوته أن يتصل بالإيرانيين ويهيئ للقاء بهم؛ لأنّي لا أريد أن أبقى فترة طويلة هنا، وعلى هذا استدعيت للقاء فرازيان أولاً ثم للقاء نصيري ثانياً، وفي لقاءي بفرازيان أخبرته باللقاء الذي تم مع أعضاء المنظمة الإسلاميّة وحركة الأنصار^(٢)، وأنّهم راغبون في التعاون مع طهران على أسس جديدة

(١) انظر الملحق رقم باللغة العربية والإنكليزية.

(٢) تنظيم الأنصار تنظيم قمنا بتأسيسه بناء على اندماج المنظمة العسكرية الإسلاميّة بقيادة الشهيد=

للقيام بعمل مشترك يستهدف إسقاط النظام البعثي الذي صار يمثل تهديداً للمنطقة كلها - في نظرهم - وللمستقبل العراق ووحدته الوطنية كذلك. فرحب بالفكرة من حيث المبدأ، ولكنه أضاف أنهم بحاجة إلى وقت كاف لرصد أخطائهم بدقة ولاستخلاص الدروس منها، وأبدى استعداده لأن أقيم بينهم وقد أكد أنّ إقامتي هذه المرة سوف تكون مختلفة ولن تكون كسابقتها، وأضاف إنهم سوف يوفرّون لي أجواء علميّة في جامعة طهران، تمنحني فرصة للتفاعل مع العلماء والطلبة وأنهم إذا قرروا التعاون مجدداً فإنهم سيتشاورون معي في ذلك، ثم افترقنا على أمل أن يرفع ذلك إلى الفريق نصيري ويبلغونني الرأي الأخير، وبعد أسبوع تقريباً وجهت لي دعوة للقاء الفريق نصيري وكان ذلك بالنسبة إليهم تكريماً لي، وفي اللقاء لم يكن لدي أكثر مما قلته لفرازيان فأخبرته بأنني قادم لأعرض عليهم التعاون مع فئتين أعرفهما وأثق بقيادتهما وأنني حريص على أن أستمع إلى جواب واضح أذهب به إليهم وبعد ذلك أغادر طهران، فأشار الفريق بلهجة لم تخلو من استعلاء بأن نجاح خطتهم كان أمراً مفروغاً منه لولا أنّ الفرقاء العراقيين الموجودين لم يكونوا متفقيين في أهدافهم ومطالبهم، وكل منهم كان يريد مطالب قد لا يوافق عليها الآخرون - وذلك إلى حد ما صحيح - وأضاف نحن لا نرغب في الوقت الحاضر أن نقوم بأيّ نشاط ضد العراق قبل أن

= محمد فرج وعبد الغني الراوي والفقير إليه تعالى بمجموعة الموصل التي كان محورها اللواء عبد الرزاق السيد محمود، والأخ عبد الرحمن الإرحيم، وآخرون، منهم: بشير الطالب، وحسين الزرقي، والصائغ، وعدد آخر من أصدقاء الشخصيات المذكورة، وذلك لتوسيع القاعدة والوفاء بمتطلبات التحرك بعد أن تعقدت الأمور ولم يعد تنظيم المنظمة العسكرية الإسلامية أو تنظيم مجموعة الموصل تحقق أي إنجاز إذا حاول أي طرف من هذين الطرفين لوحده. فبعد لقاءات عديدة تقرر الاندماج وإعادة تشكيل قيادة مشتركة كان فيها عبد الرحمن الإرحيم، وبشير الطالب، وعبد الرزاق السيد محمود، وطه جابر وعبد العزيز توفيق، وعبد الغني الراوي ومحمد فرج الجاسم، وهناك كُراس صدر مطبوعاً بحجم كتب الجيب يشتمل على نظام تلك الحركة المشتركة بعنوان «ميثاق حركة الأنصار». المؤلف.

نعيد النظر في سائر الأمور، وأن نقيم ما جرى جيداً. ولكنه عرض عليّ أن أظل مقيماً في طهران وأعمل أستاذاً جامعياً براتب جيد فشكرته وأخبرته بأنني أفضل العودة لإبلاغ الأخوة بنتيجة المشاورات معه ومع رجاله وبعدها سأسافر إلى القاهرة للحصول على الدكتوراة، وأوضحت له أنني قررت اعتزال العمل السياسي ولن أعود إليه مرة أخرى، فلقد اتضح لي أنني لا أصلح لغير القرباس والقلم، ثم ودعته وانصرفت وذهبت إلى بابا علي^(١) وأبلغته بما دار، وأخبرته برغبتي بالسفر ورجوته أن ييسر لي ذلك معهم؛ لأنني لم أكن مطمئناً أنهم سوف يتركونني أغادر بسهولة، وبعد عدة أيام أخبرني الأستاذ بابا علي بأنهم وافقوا على سفري على أن أعد بالعودة بعد أن أنتهي من الدكتوراه.

هكذا غادرت طهران بعد أن أمضيت فيها خمسة أسابيع هذه المرة لا سبعة أشهر. وقد اعتزمت ألا أعاودها مرة أخرى في عهد الشاه، وتوجهت إلى السعودية وأبلغت الأخوة من حركة الأنصار والمنظمة الإسلامية بنتائج الرحلة، وجرى نقاش طويل بيننا حول تقييم ذلك واتفق الرأي على أن الإيرانيين قد اعتذروا عن التعاون لأنهم لا يرغبون في التعاون مع عناصر

(١) بابا علي هو الابن الثاني للشيخ محمود الحفيد.. ولد في السلیمانية وتوفي في لندن .. أكمل دراساته الابتدائية والإعدادية والعالية في السلیمانية والإسكندرية في مصر وأمريكا. انتخب نائباً عن السلیمانية في البرلمان في دورته الحادية عشرة (١٧ / ٣ / ١٩٤٧ - ١٩٤٨) واستوزر لأول مرة في العهد الملكي في وزارة نوري السعيد التاسعة وبعد ثورة تموز ١٩٥٨ استوزر في وزارة عبد الكريم قاسم التي شكلت بموجب المرسوم الجمهوري الصادر في يوم الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ وأصبح وزير المواصلات والأشغال.. واستوزر بعد ذلك مرة أخرى.. ترك العراق في بداية السبعينيات من القرن الماضي واستقر في لندن. كان رجلاً بعيد النظر لم يكن مرتاحاً من مستقبل البلد وقد وافاه الأجل هناك وخلف نجليه المهندس دارا وكاك أحمد. (وزراء ومسؤولون كورد اختارهم الزعيم عبد الكريم قاسم ليشاركوا في حكومته مجيد اللامي، صحيفة التآخي - وزراء ومسؤولون كورد اختارهم الزعيم عبد الكريم ..

سنيّة، ثم التقيت عمر شمس رئيس الاستخبارات وأخبرته بما حدث. فذكر لي أن جلالة الملك فيصل والسيد كمال أدهم مستشاره وشقيق زوجته أديا رغبتهما في لقائي، وطلب أن أعدّ رسالة عما جرى لترفع إلى جلالة الملك؛ ليكون في مقدورهما تحديد آفاق التعاون في مثل هذه الأمور مع إيران مستقبلاً، ومعرفة طرائق تفكيرهم. وبالفعل كتبت الرسالة^(١) وضمنتها كل ما علمته منذ جرى أول اتصال بيننا وبين الإيرانيين، وأوضحت خلالها أنّ هؤلاء ليسوا جادين في إزاحة النظام البعثي تحقيقاً لمصالح العراق، وإنّما يهتمهم أن يضغطوا على النظام العراقي ليستجيب لمطالبهم، فإذا فعل فيمكنهم أن يتحالفوا معه من دون غضاضة، ولم أخف في تلك الرسالة استغرابي وتعجبي من انضمام السعودية إلى إيران في ذلك الموقف من العراق وقضاياها، وفيما بعد أخبرني عمر شمس بأنّ جلالة الملك قد قرأها بنفسه وأنه ظل ساعة يقرأ فيها وأنه كان متفقاً معي في استنتاجاتي وتحليلاتي، وقد أبدى شيئاً من الأسف لأنّه ظن أنّ الإيرانيين قادرين على تحمل مسؤولية التعامل مع الملف العراقي بما يحقق مصالح العراق.

بعد ذلك دعيت إلى لقاء كمال أدهم في منزله في جدة، وكان الرجل بين حين وآخر يبدي تعقيبات صغيرة تعبر عن انفاقه معي في تحليلاتي،

(١) لا يوجد لهذه الرسالة عندي صورة ولا عند السعوديين. فقد أحرقها الملك فيصل بنفسه حسب رواية عمر شمس رئيس استخباراته الذي قال إن الملك فيصل قبل استشهاده كان يقوم في الثالثة من الليل وكثيراً ما يدعوني لموافاته برسائل بعض الملوك والرؤساء الذين ارتبطوا بالمملكة وكانوا يكتبون للملك رسائل وتقارير وتحليلات لما كان يجري وكان الملك يكافئ الكثيرين منهم على خدماتهم ثم قرر أن يتلف كل تلك الوثائق بنفسه، فكان يقوم في الساعة الثالثة من الليل ويدعو بتلك الوثائق ويقوم بحرقها بنفسه، وبمشهد من رئيس استخباراته، ومن يحتاج مساعدتهم في ذلك، حفظاً لأولئك الأشخاص ولتلك الأسرار من أن تقع في يد سواه، وحين طلبت من عمر شمس صورة أو نسخة مذكرتي للملك حول تلك الفترة وتعاونهم مع إيران للإطاحة بحكم البكر/ صدام، قال لي لقد طلبها مني شخصياً فأعطيته له فأحرقها فيما أحرق من وثائق، فلم يعد لي من تلك الوثيقة إلا ما علق بذاكرتي. المؤلف.

وتعبر عن استنكاره الشديد لإخفاء الإيرانيين تفاصيل مهمة عنهم رغم أنهم أصدقاء وشركاء في هذا الموضوع وصرح بأنه ما كان للسعودية أن تعتمد على إيران اعتماداً مطلقاً في شأن كهذا، واستهجن الرجل أن يكون لدى النظام الإيراني تلك النزعة الطائفية، بحيث يتأثرون في قضية سياسية كبيرة كهذه بالبعد الطائفي، رغم أنه يفترض أنهم علمانيون لا يهتمون بالأمور الدينية بصفة عامة، فكيف بالمذهبية والطائفية.

وبعد ذلك التقيت الملك فيصل وكان ودوداً جداً معي، وصارحني أنه فهم من رسالتي ما كان غامضاً من مواقف الإيرانيين بعد أن قرأ رسالتي، وأبدى اهتماماً بأمني وسلامتي وأخبرني أنه منذ الآن يعدني أحد أبنائه، وعرض أن يقوم بتعييني في أي من جامعات المملكة، فشكرته على مشاعره الطيبة وأخبرته أنه ينبغي علي التوجه إلى القاهرة من أجل نيل درجة الدكتوراه وعندئذ يمكنه أن يعينني أينما شاء، فإنني لا أرغب أن يظن أحد بأنني لست كفء وأنه لولا وساطتك لما تعينت مدرساً في الجامعة. عندئذ طلب مني أن أتيقن من أنني أقيم في مكان آمن لا تصل إليه أيدي البعثيين، فأخبرته بأنني قد أتوجه إلى بيروت أولاً لدراسة الأمر ثم أتوجه بعدها إلى القاهرة، وبعد فترة زودني عمر شمس بوسائل التواصل مع مندوب له في بيروت ومندوب آخر في القاهرة، وأخبرني أنني يمكنني أن أتواصل معهما إن احتجت إلى أي مساعدة فشكرته وودعته وغادرت إلى لبنان. أقمت في لبنان متخفياً حوالي تسعة أشهر اتصلت خلالها بالسيد أمين الحسيني (ت: ١٩٧٥)^(١) وتوثقت صلتي به، وكنت أزوره أسبوعياً فأستمع إلى حكمته

(١) الحاج أمين الحسيني أو المفتي (١٨٩٥ - ٤ يوليو ١٩٧٤): هو المفتي العام للقدس، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى، ورئيس اللجنة العربية العليا، وأحد أبرز الشخصيات الفلسطينية في القرن العشرين، ولد في مدينة القدس عام ١٨٩٥ وتلقى تعليمه الأساسي فيها، وانتقل بعدها لمصر ليدرس في دار الدعوة والإرشاد، أدى فريضة الحج في السادسة عشر من عمره، والتحق بعدها بالكلية الحربية بإسطنبول، ليلتحق بعدها بالجيش العثماني، والتحق بعد ذلك

وخبراته وتجاربه التي كان بعضها يشبه إلى حد ما بعض خبراتي.

وكانت تواجهني آنذاك إشكالية الحصول على جواز سفر غير عراقي حتى يسهل لي التنقل من دون خشية ملاحقة حزب البعث ولم يكن جواز السفر الإيراني الذي حصلت عليه يفني بتلك المهمة^(١)، وحرصاً من السيد أمين الحسيني على أن يساعدي كلف أحد أصدقائه من العاملين في السفارة اليمينية في بيروت، أن يأتينا بجواز سفر يميني فارغ حيث قمنا بتعبئة بياناته في منزله، وهكذا أصبحت للمرة الأولى والأخيرة يمينياً أحمل هوية يمينية، وقد سافرت بجواز السفر ذلك إلى السعودية من دون أن أخبر رجال عمر شمس، وفور وصولي مطار جدة قدمت جوازي اليميني فإذا بضابط الجوازات السعودي يضحك ويقول لي: «أنت من الزيود؟»، فقلت له: «نعم أنا يميني». فقال: «لا أصدق، فلا شكلك ولا لهجتك يدل على أنك من الزيود اليمينيين ومع ذلك فلن أوقفك». وختم على الجواز، وما إن خرجت من المطار إلا وقررت الاتصال بالسيد عمر شمس وإبلاغه بأنني وصلت إلى جدة، ولقيت الرجل في نفس اليوم ورحب بي وأخبرته بقصة جواز السفر وشك ضابط الجوازات بي، فقال لي: «إن الجواز اليميني ليس جواز السفر المناسب الذي تدخل به السعودية، فنحن نعرف اليمينيين أشكالاً ولهجات». ثم اعتمرت وقضيت بعض الأشغال وغادرت المملكة.

= في صفوف الثورة العربية الكبرى. اعتقل الحسيني عام ١٩٢٠، ولكنه استطاع الفرار إلى الأردن، وحكم عليه بالسجن ١٥ عاماً، تولى منصب المفتي العام للقدس بعد وفاة أخيه كامل، وأنشأ المجلس الإسلامي الأعلى، وبعد فشل ثورة القسام عام ١٩٣٦، أنشأ اللجنة العربية العليا، التي ضمت تيارات سياسية مختلفة. أصدر المندوب السامي البريطاني قراراً بإقالة المفتي من منصبه والقبض عليه، وحينها هرب الحسيني إلى لبنان، حيث اعتقلته السلطات الفرنسية، وبعدها استطاع الهروب من لبنان إلى العراق، ثم تركيا، ثم ألمانيا، حيث مكث فيها قرابة ٤ سنوات. فرضت على الحاج أمين الحسيني الإقامة الجبرية بعد النكبة، فهاجر إلى سوريا ومنها إلى لبنان، حيث مكث فيها حتى وفاته. (موضوع: شخصيات فلسطينية تاريخية - الجمعية الدولية للمترجمين ... www.wata.cc ... القضية الفلسطينية). المحقق.

(١) انظر نسخة ضوئية مصورة من جواز سفري الإيراني، ملحق رقم ٣ من ملاحق السيرة. المؤلف.

توجهت بعد ذلك إلى الأردن وهناك استطعت الحصول على جواز سفر باسم أحد الفلسطينيين، والغريب أن هذا تم في مكتب رئيس الوزراء الأردني وصفي التل (ت: ١٩٧١م) الذي وصلت إليه من خلال توصية شخصية إلى شقيقه الدكتور سعيد التل^(١) الذي اصطحبني إلى مكتب شقيقه رئيس الوزراء وقد رحب الرجل بي وعاملني معاملة طيبة حتى أنه عرض علي الإقامة في الأردن وأن أستدعي أسرتي للإقامة معي، وواعد بأنهم سيوفرون لي مسكناً، وحراسة ومرتباً، فشكرته على عرضه الكريم، ثم عدت بعد ذلك إلى بيروت بذلك الجواز الفلسطيني، وفي المطار سمعت من ينادي علي باسم لم أألفه بعد وهو محمد طاهر الفياض، فتذكرت أنه الاسم الذي اختاره لي وصفي التل، فرجعت واستقبلني ضابط وأجلسني في غرفة الشرطة في المطار، وأخذ يدقق في جواز سفري وينظر إلي، وراح يسألني أسئلة غريبة من قبيل ما اسم والدتك، وهل زرت أوروبا من قبل، ومتى كان ذلك وقد أثار أسئلته مخاوفي من أن يكون للمخابرات العراقية علاقة بالأمر، فسألته ما الأمر فأخبرني أن اسمي - المستعار - يشبه اسم أحد المشتبه فيهم بترويج المخدرات المطلوبين من قبل البوليس الدولي وأن بياناتي تتشابه مع هذا الشخص عدا اسم الأم، كما أنه لا يشبهني في شعر رأسي فشعره أشقر وشعري أسود. وبعد عدة اتصالات سريعة أجراها الضابط المختص أخبرني أنهم تأكدوا أنني لست الشخص المطلوب وأطلقوا سراحي وأرسلوا إلى جميع المنافذ الحدودية اللبنانية بما يوضح الأمر لئلا أتعرض مرة أخرى إلى مثل ذلك المأزق.

لقد جعلتني هذه الواقعة اقتنع بأن الشرطة في لبنان بحكم ثقافتها أعلى مستوى من الأجهزة الشرطة في بلدان أخرى، فلو كنت في بلد عربي آخر

(١) تواصلت مع السيد سعيد التل من خلال توصية والد زوجته السيد محمود بابان الذي حملني رسالة شخصية منه تدعوه للاهتمام بأمرى. المؤلف.

لربما اعتقلت وبقيت أسابيع أو شهوراً ريثما يتحققون من هويتي، وربما مكثت في السجن بضع سنين، ولكن ذلك هو الفرق بين من دربوا لكي يتعاملوا مع بشر وبين من دربوا ليتعاملوا مع الأشياء.

وفي لبنان التقيت السيد عبد الهادي الراوي الذي كان يعيش لاجئاً في مصر ثم عدت إلى السعودية مرة أخرى والتقيت السيد إبراهيم الداود ووجدته متحمساً لعمل شيء يكفر به عن خطيئة التعاون مع حزب البكر وزمرته، ورجاني أن أعرفه بخليل كنة الذي كان يقيم - آنذاك - في استانبول، فسافرنا معاً إلى استانبول للقاء الرجل، وعاد هو إلى الرياض وعدت أنا إلى بيروت، بعد أن أقنعت السيد خليل بأنه لا بد لنا من أن نقيم - معاً - في القاهرة، بدلاً من وجوده في استانبول ووجودي في لبنان ووجود الآخرين كل في قطر مغاير للآخر، مهدنا لذلك ثم نفذناه، وهكذا أقمت في القاهرة إلى حين حصولي على الدكتوراه (١٩٧٣م).

إقامتي في السعودية وعلاقتي بالشيخ ابن باز

وبعد أن حصلت على الدكتوراه بقليل انتقلت للإقامة في المملكة السعودية^(١)، ومنذ ذلك الحين أعلنت رغبتني أنني لا أود أن أشارك في أي عمل سياسي، لأنني أدركت أن العمل السياسي الذي كان يجري داخل العراق كان يجري الإعداد له في الخارج، ونحن العراقيين لم نكن نملك من أمرنا شيئاً، فقد كنا مثل الدمى يتم تحريكنا من الخارج، ومن يود صادقاً ومخلصاً أن ينقذ العراق لم يكن يستطيع ذلك لأن هناك معادلات دولية ومصالح. لقد أدركت أن محاولة الإصلاح من خلال الانقلابات أو الأحزاب

(١) على الرغم من أننا سنتناول في القسم الثاني من السيرة بشكل تفصيلي إقامتي في المملكة السعودية إلا أنني قدمت جزءاً من الحديث في هذا الموضوع لارتباطها الوثيق بالرؤى السياسية وبخاصة المتعلقة بالعلاقات العراقية الإيرانية. المؤلف.

أو التنظيمات العسكرية قد أثبتت فشلها وفشلنا معها نحن الإسلاميين في تحقيق أي شيء، ومن هنا كان البحث عن طريق آخر للإصلاح وهذا الطريق هو طريق الإصلاح بتغيير ما في الأنفس والعقول من مدخل الفكر.

على أي حال تقبل الأخوة السعوديون رغبتني في عدم الانخراط في أي عمل سياسي، وشرعت في العمل أستاذاً للفقهاء وأصوله بجامعة الإمام محمد بن سعود، وأقبلت على التعليم والتعلم وصار لي طلبة كثيرون، ولكن ذلك لم يمنعني حين يكون لديّ رؤية ما أو انتقاد معين أن أوجهها بشكل مباشر إلى بعض المسؤولين في السلطة، وخاصة سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز نائب وزير الداخلية آنذاك الذي اعتبرته صديقاً، وهو وزير الداخلية حالياً، أو إلى أخيه سمو الأمير نايف ابن عبد العزيز النائب الثاني ووزير الداخلية، يرحمه الله، وأحياناً كنت أوجه نصيحتي بطريق الشيخ عبد العزيز بن باز - يرحمه الله - لمحبتني له وثقتي فيه، وكان الرجل لا يتردد بأن يحمل النصيحة ويذهب بها إلى الملك أو آخرين.

والحقيقة أنه يتعذر أن يوجد أستاذ في الفقه يقيم في المملكة العربية السعودية في تلك الفترة ولا يسعى إلى أن يلقي عالمها الأكبر الراحل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٩٩٩/١٤٢٠هـ)، فالرجل له شهرته في علمه وسلفيته وإتقانه لعلوم عديدة في مقدمتها علم الحديث، وكذلك غيرته الزائدة على قضايا الإسلام والمسلمين. لقد كان الرجل عالماً ربانياً بحق، محباً للعلم والدين غيوراً على قضايا الأمة مخلصاً لها، يقترب في غيرته وإخلاصه وتحرقه للدفاع عن قضايا الأمة من شيخنا الراحل أمجد الزهاوي - يرحمهما الله تعالى؛ ولذلك لم تمض بضعة أسابيع على وجودي في جامعة الإمام إلا ووجدتني مدعواً من العديد من طلابي وكثير من زملائي إلى زيارة الشيخ ابن باز وتقديم نفسي إليه. ثم جاءني من طلبته من يحمل إليّ تحياته ورغبته في أن يراني، فذهبت إلى الرجل وعرفته بنفسني وباهتماماتي وبخلفيتي العلمية وعملي في الجامعة. وكانت سمعتي قد سبقتني إليه من

بعض الطلاب، فرحب بي ودعاني لتناول الغداء معه وأجلسني إلى جواره، وقبل أن أنصرف إذا به يهمس في أذني - بأدب جم - ليتك يا شيخ تطلق لحيتك، فأنت طالب علم تعرف مكانة اللحية في السنة الشريفة فشكرته ووعدته أن أكرر الزيارة ووعدته وانصرفت. ولكني ما شعرت بأنّ الوقت قد حان لأطلق لحيتي بنية خالصة لله - سبحانه وتعالى - وتقرباً إليه - ، وقد كررت زيارة الرجل، فكان في بعض الأحيان يهمس في أذني شيئاً عن اللحية وأحياناً يتجاوزها، لكنني شعرت بمودة الرجل وإخلاصه ورغبته الشديدة في خدمة الدين والدفاع عن الأمة وقضاياها، فزادت محبتي له واحترامي وتقديري، وشعر هو بذلك فصار يستشيرني بين الحين والآخر في بعض الأمور التي يرى أنني قد أعينه برأي سديد فيها.

وذات يوم دعاني لزيارته في منزله، وكان إذا حزبه أمر وأراد أن يستشير أحداً دعاه إلى منزله، وكذلك لو طلب محدثه الخلوة به، وهكذا فعل في تلك المرة، فقال لي: «إنّ المجاهدين في أفغانستان بينهم بعض الاختلافات، يعز علينا أن تظهر في الوقت الحاضر خشية أن يتنازعوا فيفشلوا وتذهب ريحهم، ويتمكن الروس والشيوعيون من أفغانستان المسلمة، وقد رأيت أن نرسل وفداً يجلس إلى قيادات المجاهدين ويدعوهم إلى وحدة الصف ونبذ الفرقة واتحاد الكلمة وتجنب الاختلاف، وقد اخترت لتكون واحداً من ذلك الوفد»، فشكرته على حسن ظنه وعقبت بأنني لا أشاطره الرأي في قضية أفغانستان؛ فقرار الحرب أو الجهاد لم يكن قراراً أفغانياً في نظري أو إسلامياً، والمجاهدون وقيادة المجاهدين كما يطلق عليهم هم أناس قد استدرجوا إلى الأدوار التي يقومون بها، وأنّ المعركة في حقيقتها ليست معركة الإسلام والشيوعية، وإنما هي صراع بين القوى الدولية الكبرى يستغل فيها الإسلام للإجهاز على الشيوعية، وإنهاء روسيا وإبعادها عن أية وسائل اتصال أو خطوط مواصلات أو مناطق يمكن أن تنتهي بها إلى مناطق نفوذ الغرب في ما يعرف بالمياه الدافئة، واتفاق هؤلاء المجاهدين

واختلافهم وقراراتهم تمر بقنوات شديدة التعقيد شديدة الصعوبة والواضح أن الشيخ قد صدم مما ذكرته وناقشني طويلاً فيما ذكرته، لكنني شعرت بأنه قد قدر لي ذلك بعض الشيء واعتبره رأياً يستحق أن يسمعه حتى لو رفضه، فهو فقيه يتعامل مع القضايا في إطارها الظاهري والبارز ولا تهمة النوايا وبواطن الأمور.

والحقيقة أن الشيخ بن باز كانت له آراء ومواقف بشأن الصراع الدولي تعد مستغربة بعض الشيء، فقد كان يرى أن المسلمين مطالبون بمجاهدة الروس والأمريكان وسائر الأمم غير المسلمة لتبليغها الإسلام وتخيرهم بين الإسلام أو الجزية أو الحرب، فتلك هي السنة في نظره، على حين كنت أرى أن هذه ليست السنة وإنما هي سياسة الفتوحات التي اتبعتها الدولة الأموية بدلاً عن سياسة الدعوة التي سادت في عهد الراشدين.

وحين كنا نناقشه بأن المسلمين أعجز من أن يقفوا في وجه أي من هؤلاء، وأن واقعنا يختلف عن عصر النبوة، كان قد يجيب بالسكوت أحياناً أو يقول بأن المسلمين لا يهزمون من قلة وأن الله ناصرهم، وكأنهم قضاء الله وقدره يؤدب بهم عباده ويخرجهم من الظلمات إلى النور بجهادهم، وهذا صحيح حين تخلص النوايا ويلتزم الناس بالمنهج القرآني في الجهاد ومراتبه ومستوياته.

وأذكر أنني حضرت له مجلساً سئل خلاله: أنه لو وجدت لدى المسلمين قدرات عسكرية كافية فبمن عليهم أن يبدؤوا بالقتال الروس أم الأمريكان أم البلدان الوثنية؟ فلم يتردد - يرحمه الله - بالقول: إن عليهم أن يجتهدوا ليحددوا الجهة الأخطر على الإسلام والمسلمين فيبدأوا بها، ثم قال: وعندي أن الجهة الأخطر على المسلمين هي روسيا؛ لإلحادها ولما فعلته بالإسلام والمسلمين فيما سبق؛ ولذلك فإنني أرى البدء بها!!

وكان لي موقف آخر مع الشيخ بعد أن نجحت الثورة الإسلامية في

إيران عام ١٩٧٩م وتولى الإمام الخميني قيادة إيران باعتباره الولي الفقيه، ثم بدأ صدام الحرب ضد إيران. ولكن قبل أن أعرض له سأتوقف قليلاً لأوضح موقفي من الثورة الإيرانية ومن الحرب التي نشبت بين العراق وإيران آنذاك فالمعلوم أن كثيراً من الخليجيين ساندوا صداماً علناً بالمال والسلاح وذلك لأسباب من أهمها إضعاف القوتين الإقليميتين بضرب بعضهما الآخر، أعني العراق وإيران، الأمر الذي قد يدعم البلدان الخليجية الصغيرة التي قد تكون مطمئناً للقوى الإقليمية، بالإضافة إلى دور بعض الأطراف الخارجية، ولا ننسى كذلك أن صداماً كان يريد أن يلعب دوراً سياسياً في المنطقة يبدو فيه كمدافع عن العروبة وحام للجبهة الشرقية العربية وناصر للتقدم وللحضارة وخصم للرجعية، وكان يظن أن ذلك سيجعل الغرب يرضى عن الحكم البعثي في العراق، ويتخذ منه شرطياً للمنطقة بدلاً من شاه إيران؛ وهكذا فوجئ الكثيرون باجتياحه للحدود الإيرانية. كان لدي إمام بشيء من تاريخ المنطقة، وكنت أعلم جنون العظمة إذا ما داعب مخيلة دكتاتورياً؛ وعلى هذا قد بنيت قناعاتي على أن التركيز على أن إيران تعمل على تصدير ثورتها إلى العالم الإسلامي بغرض تثويره وتدمير المصالح الغربية فيه أو على الأقل تهديدها هو جزء من مخطط متكامل يهدف إلى التخلص من إيران وإسقاط هذا النموذج، أو محاصرته على الأقل، وأن هذا يمكن أن يتم عن طريق تكريس فكرة كون إيران فارسية وأنها تشعر باستعلاء قومي على القوميات الأخرى المجاورة ومنها القومية العربية، وأن إسلامها إسلام قشري مخالف لإسلام الغالبية العظمى من المسلمين، وأن مذهبها الصفوي ينال من أصحاب رسول الله (ختم ص) ومن نسائه ومن كثير من أئمة المسلمين وقادتهم فإذا تم عزلها قومياً ومذهبياً أمكن محاصرتها ودفعها للتفوق داخل حدودها، وعندئذ يسهل تحريك الأقليات والعرقية التي تعيش داخل إيران من عرب وكرد وتركمان واستدراجها إلى معارك داخلية تستنفذ طاقتها وتجعلها آيلة إلى السقوط، ثم تسقط بحرب صدامية أو من دون حرب.

وبدافع من غيرتي الإسلامية وإدراكي لخطورة هذا المخطط على المنطقة كلها، وأنّ هذا الفراغ الذي تتركه إيران والعراق سوف يملأ بإسرائيل أو بقوات غربيّة مباشرة؛ شعرت بأنّ واجبي يحتم علي إيصال رسالة تنبيه وتحذير إلى قادة إيران، سافرت من الرياض إلى جدة، وحين اقتربت من السفارة الإيرانيّة وجدت أنّها أحيطت بحرس شديد وشهب، لا تسمح لمثلي في الوصول إليها، فإن وصلت فسُيعرف ذلك ويُرصد، وسأكون موضع مساءلة من قبل مضيفي السعوديين؛ فعدت إلى الرياض وفتحت صديقاً عزيزاً علي كان علي معرفة طيبة بسفير إيران في الكويت السيد علي شمس أردجاني فذكرت له ما عندي، فتحمس الرجل واقترح أن يصطحبني إلى الكويت وأن يرتب لي لقاء معه من دون أن نلفت الأنظار وبالفعل استطاع أن يجري اتصالاته، وسافرنا والتقينا السفير الإيراني في مكتب السيد وزير الأوقاف الكويتي الشيخ يوسف الحججي، وبدا الأمر وكأنّ السفير جاء لزيارته مصادفة ونحن كذلك، ثم خرجنا ونزلنا إلى مرآب الوزارة وأقلتنا سيارة السفير إلى منزله، وهناك اجتمعنا بالسفير أردجاني بحضور صديقه السيد أحمد المهري الذي وقدموه لي بأنه ابن أخت الإمام الخميني، فذكرت لهم مخاوفي، وأنّني أرجو تنبيه الإمام الخميني إلى أنّه تجري عمليات لاستدراج إيران لتبدو مجرد دولة فارسيّة، لا تختلف في عنصريّتها وعنجهيّيّتها عن عصر الشاه، وأنّه سيتم اتهامها بالتعصب المذهبي تمهيداً لعزلها وضربها^(١).

(١) يقول الرئيس الأمريكي جيمي كارتر بعد أن فشلت سياسة الغرب وحكومته من القضاء على الثورة الإسلامية بقيادة آية الله الخميني تم تطوير سياسة معينة تجاه إيران سميت بـ«سياسة الاحتواء». تهدف هذه السياسة إلى عزل الثورة عن محيطه الشرق الأوسطي ومن ثم العمل على القضاء عليها داخل الحدود الإيرانية. (أنظر :

(KEEPING FAITH: Memoirs of a President. By Jimmy Carter. New York: Bantam Books, 1982 (. pp.46-4. المحقق

وأضفت أنّ صدام حسين أهم المرشحين للقيام بهذا الدور، وأنّ إيران تستطيع أن تتلافى ذلك كله بالألا تستجيب لعمليات الاستدراج، فتفوت على أعداء الإسلام وأعداء إيران والعراق أغراضهم، ويمكن أن تطرح مشروعات ملبية لطموحات الأقلّيات فيها لتحول بينها وبين من يريدون استغلالها. وناقشني السيد المهري واستبعد ما ذكرت بشكل لا يخلو من غرور واستعلاء، ورغم ما أصابني من خيبة الأمل لكنّ ذلك لم يؤثر كثيراً عليّ، وأخبرته أنه قد يكون هو مصيباً لكن هذه رسالة وأمانة أريدها أن تصل إلى الإمام كما ذكرتها، فأنا وصديقي قد جازفنا لكي تصل هذه الرسالة إلى الإمام، ولا أدري حقيقة ما إذا كانت الرسالة قد وصلت الخميني أو أنّ أردجاني والمهري لم يبلغا تلك الرسالة. وعلى أية حال لم تمض إلا أشهر قليلة وإذا بصدام يجتاح المناطق الجنوبيّة من إيران، ويعلن في بياناته الأولى: أنّه إنّما يقود معركة الحضارة ضد التخلف، والتقدميّة ضد الرجعيّة.

ولما طال أمد القتال رغب الملك فهد أن يدعم صداماً بما هو أكثر من السلاح والمال، فعقد مؤتمراً إسلامياً كبيراً برعاية رابطة العالم الإسلامي، ويبدو أنّه كلّف المؤتمر بإصدار بيان يتضمّن أنّ صداماً قد جنح للسلم وطلب الصلح، وأنّ الخميني هو الذي رفض؛ وأراد من وراء ذلك أن يبدو الخميني وكأنّه يمثل الطائفة الباغية، وأنّ على المسلمين والخيرين في العالم كله أن يؤيدوه. وأراد أن يسبق ذلك بأن يطلب من الشيخ عبد العزيز ابن باز أن يرسل برسالة إلى الخميني، يطالبه بقبول ما عرضه صدام من المصالحة وإيقاف القتال. فدعاني الشيخ كعادته لزيارته، وخلقنا في مكتبته وشرح لي الأمر ورجاني أن أكتب مسوودة رسالة باسمه إلى الخميني، أبين له فيها ضرورة الاستجابة إلى الدعوة إلى الصلح وإيقاف القتال وحقن دماء المسلمين. والحقيقة أنني كنت أدرك أنّ من كلفوا الشيخ بكتابة الرسالة يعلمون مسبقاً بأنّ الخميني لن يستجيب لها، وحين يرفض دعوة الشيخ يقتنع

ابن باز والعلماء بأنّ الخميني يقود الفرقة الباغية المعنية بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. وبالتالي فعلى جميع المسلمين أن يوحّدوا صفوفهم لمقاتلته ونصرة صدام عليه باعتباره يمثل الطائفة التي جنحت إلى السلم. ولذلك فقد رأيت أن تكون بدل الرسالة رسالتان إحداهما إلى الخميني والأخرى إلى صدام، وأن يكون الخطاب لكل منهما بما يناسبه، وشرحت للشيخ وجهة نظري فاقتنع بها ثم عكفت على كتابة الرسالتين.

ويؤسفني أنني لم أحتفظ لنفسي بنسخة من كل منهما، لكنني أتذكر أن خطاب الخميني كان خطاباً لعالم من علماء المسلمين، من مرجع مماثل له يحاول أن يستثير غيرته الدينية ويبعث فيه روح العطف على عامة المسلمين، وأن يجنبهم ويلات الحروب وآلمها، وتوفير طاقاتهم لمقاومة أعدائهم الحقيقيين. وأمّا بالنسبة لصدام فقد كانت تبدو رسالة من عالم ناصح، يذكره فيها بأمجاد العراق الإسلاميّة ومدارسه الذي قدم للعالم الإسلامي أئمة في الفقه وفي الحديث وفاتحين ومجاهدين عظام ثم ذكرت ما آل إليه حال العراق وأسفت لما وصلت إليه العلاقة بين العراق وجيرانه في عهده التي ما كان ينبغي أن يسمح لها أن تبلغ حد التحارب والتقاتل ولذلك فإنّه مطالب بأن يعلن خطأ القرار الذي اتخذته بمهاجمة إيران.

وبعد أن أعددت الرسالتين ذهبت بهما للشيخ وقرأتهما فلم يدخل إلاّ تصحيحات طفيفة وأعجب بالرسالتين، وقال: بأنّه سيذهب بهما إلى الملك فهد. فاقترحت عليه إن سألّه جلاله الملك لماذا كتبت رسالتين؟ أن يجيبه أنّه أراد أن يعلم الخميني أنّنا لسنا منحازين ضده وأن يكون وقع رسالتنا في نفسه طيباً.

ثم أضفت إذا أردت إيصال الرسالتين فيمكنك أن تطلب من الدكتور عبد الله نصيف أمين عام رابطة العالم الإسلامي حملهما إلى الرجلين. فأخبرني أنّه ينبغي أن يتم تسليمهما للملك شخصياً فلم أخف عليه أنني

أتوقع عدم وصولهما لأنّ الهدف كان إرسالها للإمام الخميني وحده فلا يجد مناصاً من الاعتذار والحالة هذه، أو عدم الرد، وبالتالي يحرج موقفه عندك، وتُطالبُ بعدها بالإفتاء بأنه هو الرفض للسلم الباغي الميال إلى الحرب الذي ينبغي على المسلمين أن يتصافروا لمواجهته، ولم يمض الأسبوع حتى دعاني لزيارته واصطحبني إلى المكتبة، وأخبرني بأنه أوصل الرسالتين إلى خادم الحرمين، واقترح عليه أن يرسل بهما عبد الله نصيف، ولكن الملك طلب منه أن يترك له الرسالتين ليبحث أمرهما فيما بعد، وسألني الشيخ: «كيف فهمت المراد من وراء الرسالة؟»، فأجبت: «من سياق الأحداث والوقائع الجارية هي التي جعلتني أفهم المطلوب»، فابتسم وتركني.

ثم تجاوزنا الأمر ولم تمض إلا فترة يسيرة - كما ذكرنا - حتى دعت رابطة العالم الإسلامي إلى المؤتمر الكبير لبحث قضية الحرب العراقية الإيرانية، ودعيت لحضور المؤتمر الذي حضره علماء كبار، مثل رئيس مجلس القضاء الأعلى سابقاً الشيخ صالح اللحيدان، والشيخ العبودي، وآخرين. وناقش المؤتمر مسألة لوم الإمام الخميني واعتباره باغياً، بل وذهب بعض العلماء إلى حد الدعوة إلى تكفيره وناقشت هؤلاء المشايخ فيما ذهبوا إليه، وأكدت أنه لا ينبغي لهم ولأهل العلم أن يكونوا أدوات سياسية فإذا كانت مواقف السياسيين تتغير من حين لآخر فلا ينبغي للعلماء أن يقفوا مثل تلك المواقف المتغيرة فإن ذلك يسيء إلى سمعتهم بل يسيء إلى الدين ذاته، وبعد نقاش طويل ممتد، أظهروا الاقتناع بما ذكرت، وقالوا بأنهم سيكتفون بمجرد الدعوة إلى الصلح، لكنني فوجئت في اليوم التالي بوسائل الإعلام تذيع بياناً آخر فيه نبذ للخميني وتحميله مسؤولية استمرار القتال، وأنه بذلك يكون من الباغين، وسباب المسلم فسوق وقتاله كفر، وأن الخميني برفضه دعوات السلام عرض نفسه لتهمة الخروج عن الإسلام. وهو ما أدى إلى زيادة تفاقم المشكلة ولم يسهم في حلها.

في العقود الأخيرة من القرن الماضي تراجعت مفاهيم كثيرة مات بعضها

وضعف البعض الآخر، واختفى البعض فلم يعد متداولاً على ألسن الكتاب والمفكرين ومحاضرات المحاضرين ودروسهم، وغابت بعض المفاهيم المشار إليها عن الندوات بأنواعها، فقد توارت مفاهيم «القومية العربية» و«العودة وعائدون» و«من البحر إلى النهر».

كما تراجعت مفاهيم أخرى وصارت تظهر وتختفي مثل مفهوم الحداثة والتقدم والعلمانية، والاستعمار وبرزت مفاهيم مثل الشفافية، والديمقراطية، وصراع الحضارات، وحوار الحضارات، ووحدة الأديان، وما إلى ذلك. مما يجعل عملية المتابعة لحركة الفكر ولفكر الحركات أمر لا يمكن إغفاله أو الاستغناء عنه أو تجاهله بحال من الأحوال.

سنة التغيير بين الانقلابات والاصلاح الفكري في الامة

إن الممارسات السياسية التي تحدث وحدثت في بلداننا العربية انطلقت من ثقافة مريضة إلى حد ما، تنظر إلى الحاكم وإلى كرسي السلطة على أنها وسيلتا التغيير. فأنظمة الاستبداد والدكتاتورية والاستضعاف والاستحمار قد خلقت في شعوبنا هذه الثقافة، فصارت شعوبنا لا تلد إلا المستبدين والطغاة، بل وتتفنن في صناعتهم، ونسيت مبادئ القرآن التي علّمت البشرية أنّ التغيير والإصلاح والتجديد لا يمكن أن يحدث أي منهم انطلاقاً من السلطة والقوة، بل يحدث ذلك كله انطلاقاً من سنن وضعها الله في هذا الكون هي التي تحدث التغيير وتُوجده، وأهمها أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم. وثقافتنا السياسيّة في العراق اعتمدت على التغيير من فوق، فلم تنجح جميع محاولاتنا عبر تاريخنا في إحداث حالة التجديد والإصلاح، وكانت أنظار شعوبنا كلها تتجه نحو تغيير «الحام الفرد بحام» لا يلبث أن يستبد، وتعلّم جيلي ذلك وأشربه، فظننا أنه لو غيّر نور السعيد فستغير أحوال العراق وستتحقق الأهداف الشريفة القوميّة والإقليميّة؛ ولذلك كان الناس يمارسون محاولات الاغتيال السياسي، وحين لا يجدون تغييراً

في أحوالهم ولا صلاحاً في شؤونهم يسارعون إلى اغتيال مَنْ جاؤوا به في الأُمس ووضعوا ثقتهم فيه لعلهم يأتون بمن هو أحسن. فأذكر أننا في أيام عبد الكريم قاسم كنا جميعاً نرى أنّ إزاحته بالاغتيال أو القتل أو الانقلاب العسكري سوف تضع البلاد على طريق الإصلاح والتجديد الحقيقيين، وذهب عبد الكريم وجاء بعده مَنْ هو أتعس منه، وأكثر استبداداً ودكتاتورية، وبدأ الشعب يعاني تغيّر الأشخاص مثلما كان يعانيه في عهود سابقة، وغير عبد السلام فاجر الأُمس استبدله برقاصة، وما ازدادت الحال إلا سوءاً، وغير البعثيون وحلفاؤهم عبد الرحمن عارف ودخلت البلاد في دوامة من العنف لم تنته حتى يومنا هذا. ومع دراساتي الشرعيّة والدينيّة وتربيتي في المساجد لم أستطع تجاوز تلك الأمراض مثل مرض الاعتقاد بأن التغيّر يبدأ برأس الحكم وبتغيير مَنْ يمسك بزمام القوة، ففكرت في اغتيال عبد الكريم قاسم مثلما فكر الآخرون، ولمّا أدركنا أنّ البعثيين قادمون لمساعدة عبد الرزّاق النايف فكّرنا بضرورة اغتيال أحمد حسن الكر وصدّام حسين وعبد الرزّاق النايف لكي نعرقل مجيئهم إلى السلطة، ولم يتمكن المكلفون بالاغتيال من تنفيذ ذلك إلى أن وقع انقلاب تموز. والآن أتساءل: أين كان ذلك الجيل والأجيال التي جاءت بعده من القرآن الكريم وسنن التغيّر والإصلاح والتجديد التي وردت فيه؟ وكيف تجاوزت ثقافتنا ذلك كلّه وهمّشته لتترك عقول وقلوب أبنائنا جيلاً بعد جيل نهياً للعنف والاغتيال السياسي والتغيّر بالقوة والإكراه؟ وكيف ساهمت تلك الثقافة في إيجاد عقلية عوام وطبيعة قطع ونفسيّة عبيد لدى أجيالنا؟ وصدق شوقي، إذ يقول:

بأيّمانهم نوران؛ ذكر وسنّة فما بالهم في حالك الظلمات

إنّ هذه الثقافة التي تجذّرت الآن ولو بأشكال أخرى في عقول كثير من المنشغلين بالعمل السياسي من الإسلاميين هي ثقافة هجين تحتاج إلى مراجعة وتفسير، وإلى الاهتداء بسنن القرآن الكريم التي اهتدى بها رسول الله (الختم ص) حين حاولت قريش وإغراءه بالتغيّر السهل الذي يعتمد على

السلطة والقوة ويستند إليها فأبى إلا أن يأخذ بالطريق الأشق والأطول؛ ألا وهو طريق تغيير ما بالنفوس وإصلاح ما بالقلوب.

إن الثورات لا بد أن تنبثق عن شعوب لا عن أفراد، وبعد أن تتم عمليات تغيير ما في القلوب والنفوس، لا بمجرد التغيير الشكلي الذي يعتمد على القضايا الفوقية، فلعل أمتنا تدرك ذلك وتدرك كيفية الانطلاق من الوحي لإحداث الإصلاح والتجديد وحكم الله - جلّ شأنه - في إرسال الرسل والأنبياء؛ سواء الذين آتاهم الله الحكيم بعد النبوة والرسالة، أو الذين آتاهم الرسالة والنبوة والهداية ليصلحوا القلوب إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله.

لعلّ ما قدمته قد أثبت الآن أنّ القرآن هو منطلق التغيير ووسيلته وآداته، وأي تفسير يُصنع خارج هذا الكتاب الكريم وبعيداً عن منهجه فإن مآله إلى السقوط والزوال، فيا ليت قومي يعلمون.

حول اعتزال العمل السياسي

لقد كانت تلك الفترة التي مارست فيها العمل السياسي العلنيّ منه والسري، والتي حفلت باللقاءات والإعداد لمحاولة الانقلاب والسفر إلى الخارج بحثاً عن المساندة الخارجية، كافية لأن اكتشف عدداً من الحقائق والأمور التي ما كان يمكن اكتشافها لولا خوضي تلك التجربة.

الأمر الأول: أن أية حكومة مهما كانت ضعيفة أو صغيرة، هي أقوى من الفرد مهما كان ذكياً وعبقرياً، وتستطيع أن تتلاعب به كما تشاء وقتما تريد عندما تقرّر ذلك، فلا ينبغي أن ينخدع فرد بقدراته ويتوهم أنه يستطيع التغلب على حكومات.

الأمر الثاني: أن العراق مثل المرأة الجميلة يطمع فيه الجميع، وأنّ مَنْ حوله من الجيران يقلقهم تقدمه وازدهاره واستقراره، ولعلي لا أكون مبالغاً

إذا قلت: إنهم لا يريدون له خيراً بل إن بعضهم كان يتمنى له ما حدث من هذا التمزق. ولدي أمثلة وبراهين كثيرة وأستطيع أن أدلل على هذا، سواء من تصرفات هؤلاء الجيران أو غيرهم، ولست بذلك منطلقاً من أي منطلق إقليمي فما إلى ذلك قصدت لكن من اضطرته ظروفه إلى مغادرة العراق أو حملته دكتاتورية صدام أو غيره على اللجوء إلى بلدان أخرى يستطيع أن يدرك ما قلت بعمق ولكل من هؤلاء خبراته وتجاربه سواء مع بلدان عربية أو غير عربية في الجوار أو بعيداً عنه، وربما تكون بعض البلدان الأوروبية استثناءً من هذا، وهذا الأمر ليس جديداً فلم يكن العراق محبوباً في ظل النظام الملكي من كل جيرانه كما لم يكن محبوباً في ظل النظم العسكرية المتوالية، وربما يكون السبب وراء ذلك أنهم يرون أن مجرد تمتع العراق بالقوة يجعل منه مصدر تهديد لجيرانه.

الأمر الثالث: أن التغيير لا بد أن يتم من الداخل بأيدي أبناء البلاد وبعيداً عن أي تدخل أجنبي. أو عون خارجي، فالثورات لا بد أن تنضجها الشعوب في داخلها وبجهودها ومعاناتها.

الأمر الرابع: العمل السري لا ترجى منه أية فائدة ولا يمكن أن يحدث إصلاحاً أو تغييراً.

الأمر الخامس: لا ينبغي الفصل بين الوسائل والغايات فإذا كانت الغايات إسلامية ونبيلة، فالوصول إليها لا ينبغي أن يتم بوسائل غير إسلامية.

الأمر السادس: أن القوة العسكرية لا تصلح لأن تكون أداة التغيير، وأن الرؤية الشيوعية للعسكريين على أنهم طبقة برجوازية يمكن أن تكون وطنية، ويمكن أن تتغير ولاءاتها وأن ولاءها للمنظومة العسكرية أكثر من أي شيء آخر، رؤية بها بعض الصحة وتستحق العناية، ولذلك الجندي في الإسلام تختلف عن هذه المنظومة التي أخذناها عن الغرب، فالجندي في الإسلام ربما يقترح على القائد بل ويعترض عليه ولكنه يمثل حين يصدر

إليه تكليف أو أمر ما، وخالد بن الوليد قدم لنا نموذجاً إسلامياً متميزاً حين قبل أن يهبط من قائد عام إلى مجرد جندي قد يستشير القائد العام، وبهذا يتميز نظام الجندية الإسلامية عن غيره من الأنظمة العسكرية.

فالتغيير لا يتم إلا بتغيير ما في العقول، وتغيير ما في القلوب، وتغيير ما في النفوس، ولا يمكن أن يتم هذا بالقوة العسكرية ولا بالقوة الخارجية، من ناحية أخرى فإن أمتنا المسلمة لها خصائص معينة ينبغي أخذها في الاعتبار عند التفكير في عملية التغيير وأهم هذه الخصائص أنها أمة رسالة مسؤولة عن الشهادة على العالمين، ومسؤولة عن بلورة مفهوم الوسطية بكل ما يحمله من معانٍ وقيم، فهي ليست مجرد أمة تجري عليها قوانين التغيير المعتادة لدى الأمم من ثورة وتغيير وانقلاب ونحوها لكن القانون الوحيد الذي يسري فيها هو قانون الإصلاح الذي هو سنة إلهية تأتي مع الأنبياء والرسالات فالأمم المصطفاة لا تتغير إلا وفق قانون الإصلاح الشامل. لقد اصطفى الله بني إسرائيل وفضلهم على العالمين في زمانهم، ومنهم أولئك الذين اضطهدوهم، ثم لما تجاوزوا ما أنزل الله إليهم وأسأؤوا فهمه وحملوه حملاً حمارياً لا إنسانياً وعصوا الله تعالى، تخلى الله عنهم فجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت وقطعهم في الأرض أمماً. والأمة المسلمة أيضاً حينما تقيس نفسها على الآخرين، وتعتبر أن قوانين التغيير القائمة على تغيير الاقتصاد والتنمية هي التي تُحدث التغيير الحقيقي فيها فهذا خطأ، هذا لا يعني أننا نهون من شأن التنمية والتغيير والثقافة، لكن ما هو أولاً وما هو ثانياً، فأولاً انطلاق التغيير من القلوب من سنن التغيير الإلهية وسنن الإصلاح الإلهية هي التي تسري أو تنجح، فالعمل التغييرى لا بد أن يبدأ من الداخل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] والتغيير يشمل الجوانب العقلية والنفسية معاً.

وعندما أدركت هذه الجوانب، قررت أن أتوقف عن ممارسة أي نشاط سياسي، وتساءلت، ترى هل علي أن أتحول إلى داعية يمارس عملاً دعويًا

شأن سائر الدعاة؟ ولكنني لم أكن مقتنعاً بكثير من الوسائل التي يتوسل الدعاة بها؛ لأنَّ فيها ثغرات كبيرة فالدعاة قد غلبت عليهم انتماءاتهم إلى الجماعات القائمة يعبرون عنها بخطابهم ولا يتجاوزونها، والدعاة الذين يمكن وصفهم باستقلالية قليلون جداً وقليل منهم من لم يمر بمرحلة انتماء إلى هذه الحركة أو تلك، ولذلك فإنَّ الخطاب القرآني العام الشامل كان يندر بين هؤلاء الدعاة، كما أنَّ استغلال الآخرين لجهودهم أمر سائد وشائع، مما جعلني أبتعد عن هذا النوع من النشاط الذي أطلق عليه أنه نشاط دعوي، وبدأت رحلة العمل الفكري.

ولذلك لا يعني أن ينعزل الفرد ويقف وحيداً فلا بد أن يستند الفرد إلى الأمة، وإذا لم يستند إلى الأمة، فهو في فراغ حتماً وقد يصبح معرضاً للارتداء في أحضان أي جهة خارجية لا تعمل لصالح الإسلام، والحقيقة أن كل التنظيمات السياسيَّة التي شهدتها لم أرَ فيها خصائص الإسلام بوضوح. وبعد أن فرغت من دراستي وبدأت في التدريس بدأت أبحث عن ثغرات فكرنا السياسي وشغلت في سدها وهذا ما حاولت أن أعبر عنه في كتابي أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة حيث يشتمل على ملاحظات أساسية بشأن الطيف السياسي الإسلامي وما يمكن أن يؤخذ عليه، واتجهت نحو قضية الإصلاح بحثاً عن منهج القرآن في الإصلاح.

فلعلني - الآن - وقد بلغت السابعة والسبعين من العمر، قد بلغت مشارف ذلك المنهاج القويم، أرجوه - سبحانه - أن يمنَّ بذلك.

الملاحق

الملحق الرقم (١)

قرار اعدام طه جابر من قبل محكمة الثورة في وثيقة

تصديق الأحكام بحق المتآمرين

صادق السيد رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة المهيب احمد حسن البكر أمس على الاحكام التي أصدرتها المحكمة الخاصة بحق المشتركين في المؤامرة التي دبرتها عناصر حاكمة بالتعاون مع عملاء الاستعمار .

وكانت المحكمة قد أصدرت حكماً بالاعدام على وجبتين من المتآمرين يبلغ عددهم ١٢ مجرماً بين عسكري ومدني . فقد صدر مرسوم جمهوري بتنفيذ حكم الاعدام رمياً بالرصاص بالوجبة الاولى من المجرمين العسكريين وهم : العقيد المتقاعد محمد رشيد مجسن الجنابي والعقيد الركن المتقاعد صالح مهدي السامرائي واللازم الاول دافح درج واللازم ثلثات محمود عسكر ونائب الضابط العربي المتسرح صفوك ريكان . كما صدر مرسوم جمهوري بتنفيذ حكم الاعدام رمياً بالرصاص بالمسكرين من الوجبة الثانية وهم العقيد الركن فاضل مصطفى احمد والعقيد المتقاعد جابر حسن جداد والعقيد الركن المتقاعد سلمان داود عبدالسلام الدرگزى ومقدم الشرطة المتقاعد عباس جواد السلامي واللازم عدنان حسين ورئيس عرفاسرية علي صالح خضير الشرشاح . وصدر مرسوم جمهوري اخر بتنفيذ حكم الاعدام شنقاً حتى الموت بالمجرم الدكتور نظام الدين عارف .

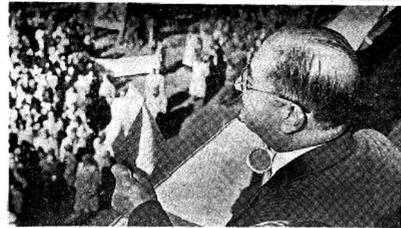
التعبير القاصي في الظاهرة الجماهيرية الضخمة التي انطلقت لتشييع جندتيه استمتمداً أنواراً عباداً للجمهورية الديمقراطية

الناضل البكر: "تمضي ثورتنا في نهج التقدمي عم الدلائل والممارات"

تبعام الخونة ولبعام أسيادهم إلت استنورة
ساعة في ظريرتها وهي أشد عزماً ومثورة

جماله لب توكدهم الطلق لجليلين قيادة الثورة وهرب البعث

تنفيذ حكم الأعدام بـ ١٩ خاناً متأمراً وهاجوراً



الجمهورية

الجمهورية
الجمهورية

حكم العمالة والخيانة في ايرلن يقدم المتآمرين اجاعة هدية من حكومة الصهاينة لعملاء والامير بالبحر الجباد



الفتنة والظلم والظلم للفنار في ايرلن



الحكم بعام ١٢ من المتآمرين

اصفرت الحامسة القاصية اسم البيان التلي حول
الوجهة السامسة في محاكمات المتآمرين في الثورة
تفتت حكمة عاتمة مفسسة اجيش ايلتانا اعلم بظفر وبعام
١٢ من المتآمرين في ١٩٥٠ بعامه ابعده فذ
١٢ من المتآمرين في ١٩٥٠ بعامه ابعده فذ
١٢ من المتآمرين في ١٩٥٠ بعامه ابعده فذ

الذين الكعبه اذ المسماة والورق بدم من كل من وقت في نظيرها

أقل كعبه الرئيس اجود من البكر في تقاسمها الجاهلية التي اوردت
ال كعبه الجمهوري وهاكس منه الرافق صدام حسين اميرتس مجلس اعادة التسيير
ال كعبه الجمهوري وهاكس منه الرافق صدام حسين اميرتس مجلس اعادة التسيير

غادر بغداد في بيروت في الساعة العاشرة من صباح أمس العربي
الطار الركبن حردان عمدا لغفر عضو مجلس قيادة الثورة ووزير
الدفاع علي راس وفد عربي في زيارة رسمية للفعل السياسي لتستغرق
الاربع ايام وقد وصلها واستقبل بحفاوة
ووضع الوفد السبعين التام في مجلس قيادة الثورة ووزراء الشباب والسيد هسيب
الحسين الجليل القاص العاصم القاصرة العربية في ولادة
الليلة في ١٢

وذا والمال في وضع ايمان الثورة

قام امس الوفد العراقي الى اللجنة المالية لادارة العمور
المتمثلة حاليا في القاهرة وتشرح ابعاد الثورة الرجعية الايرانية
في العراق - وقد قدم الوفد مذكرة الى اللجنة حلا لها
التي ايدت ايمان الثورة العراقية في ايمانها

موتت اراحت متفلة واسحة مصونة في اسرائيل لعمرك في الثورة



موتت اراحت متفلة واسحة مصونة في اسرائيل لعمرك في الثورة
موتت اراحت متفلة واسحة مصونة في اسرائيل لعمرك في الثورة
موتت اراحت متفلة واسحة مصونة في اسرائيل لعمرك في الثورة

موتت اراحت متفلة واسحة مصونة في اسرائيل لعمرك في الثورة
موتت اراحت متفلة واسحة مصونة في اسرائيل لعمرك في الثورة
موتت اراحت متفلة واسحة مصونة في اسرائيل لعمرك في الثورة

القضية الخامسة فسي المحاكمة الخاصة

اصدرت المحكمة الخاصة ابيان التالي
حول التوجية الخاصة في معاكمسة
التامين .

تشكلت المحكمة الخاصة من الرئيس
طه الجزراوى وعضوية من ناظم كزار
وعلى رضا بديريخ ٢١-١-٩٧٠ واصدرت
باسم الشعب قرار الحكم الاتي :

الحكم على كل من المجرمين :
١ - العقيد علاء الدين ادين الحشمة
ب - الرائد الركن المتقاعد ستار
عبد الجبار العبودى
ج - العريف فاخر حسن حسين
د - النقيب الماجد طوركى
هـ - الملازم الاول انور محمد حسين

الجنابى
بالاعدام رميا بالرصاص حتى الموت
استنادا الى احكام المواد ١٩٠ و١٥٩ من
قانون العقوبات .

٢ - طردعم من الجيش استنادا
لاحكام الفقرة ١-١ من المادة ٣٠ من
قانون العقوبات العسكرية .

٣ - الحكم على المجرم حسن حسين
اخفف بالاعدام شنقا حتى الموت
استنادا لاحكام المواد ١٥٩ و١٩٠ بدلالة
المواد ٢١٦ و٤٨ من قانون العقوبات

٤ - اعتبار جريمتهم من الجنائيات
العادية المخلة باشرف حسب احكام
قانون رد الاعتبار رقم ٣ لسنة ٩٦٧
وتعديلاتة .

٥ - توصى المحكمة بمصادرة اموالهم
المنقولة وغير المنقولة استنادا الى احكام
الدستور الموقت .

٦ - براءة كل من المتهمين الملازم
الاول وطيبان احمد تركى والمقدم الركن
المتقاعد حامد منير .

صدر القرار بالاتفاق وافهم علنا في
٢١-١-٩٧٠

طه الجزراوى
رئيس المحكمة الخاصة
على رضا عضو
ناظم كزار عضو

كما اصدرت المحكمة الخاصة ابيان
التالى :

تم فى الساعة الواحدة الا ربعا من
يوم ٢٢-١-٩٧٠ تنفيذ حكم الاعدام
بالمجرمين كل من :

١ - العقيد علاء الدين ادين الحشمة
ب - الرائد الركن المتقاعد ستار عبد
الجبار العبودى
ج - العريف فاخر حسن حسين
د - النقيب ماجد طوركى
هـ - الملازم الاول انور محمد حسين

الجنابى
و - المجرم حسن حسين اخفف .
الذين خانوا تربة الوطن وتكفروا له
وجعلوا من الباطل حقا ومن الحق باطلا
وارادوا ان يقتلوا هذا الشعب العظيم
ليتهبوا ثرواته ويقتلونها لقة سائفة
الاجنبى فكان ابر الله ان كشفه
وفضحهم ليحملوا الخزي والعار وليطبق
قول الله تعالى حين قال فى كتابه
العزيرى ولكم فى القصص حياة يا اولى
الالباب صدق الله العظيم .

طه الجزراوى
رئيس المحكمة الخاصة

الملحق الرقم (٤)

<p style="text-align: center;">RÈGLES À OBSERVER PAR LES TITULAIRES DE PASSEPORT.</p> <p>1) Le passeport délivré pour le voyage de l'Iran à l'Étranger et vice versa est valable pour une année à dater du jour de la délivrance. Cette validité peut être prorogée de 4 autres années et le détenteur peut voyager plus d'une fois au cours de ce laps de temps.</p> <p>2) La taxe des passeports est d'un Dabani; récomposée à l'émission, lors de la première année; la validité en peut être prorogée encore pour quatre années, à l'expiration, moyennant le paiement d'un 1/2 Dabani par an et à l'Étranger, généralement.</p> <p>3) Il peut être dressé un visa pour plusieurs voyages aux passeports des pilotes, de leurs aides, des chauffeurs, de leurs aides, des caravaniers, ainsi qu'aux passeports ordinaires individuels et collectifs des habitants contre perception des taxes suivantes:</p> <ul style="list-style-type: none"> a) Pour 3 mois 20 rials. b) Pour 6 mois 30 rials. c) Pour un an 45 rials. <p>4) Tout ressortissant iranien qui renouvèle ou l'un ou en sollicite sans être muni d'un passeport sera tenu de payer contre le montant de la taxe du passeport qu'il aura dû obtenir, l'équivalent de la dite taxe à titre d'avance. En cas de récidive, il sera condamné en outre temps qu'il l'aura été à un emprisonnement correctionnel de 15 à 45 jours.</p> <p>5) Tout ressortissant iranien résidant à l'Étranger qui négligera de proroger la validité de son passeport en conformité des dispositions de la loi, ou de le renouveler, devra le payer à titre d'avance en cas de non-pro-ratation, la somme de 10 rials pour chaque année et en cas de non renouvellement à la fin de la dernière année à dater du jour de la délivrance, contre la taxe en espèces, des sommes équivalentes.</p> <p>6) Quiconque aura falsifié ou falsifié un passeport, ou aura sciemment fait usage de cette fautive pièce, ou sera pris un passeport avec un visa supposé ou sera autorisé frauduleusement pour obtenir un passeport pour une fautive personne avec un visa supposé, sera puni d'un emprisonnement correctionnel de 3 mois à un an.</p>	<div style="text-align: center;"> <p>دولت شاهنشاهی ایران</p>  <p>Empire de l'Iran</p> <p>گذرنامه</p> <p>PASSEPORT</p> </div> <p>No. <u>90</u> ش. ۹</p> <p>نام خانوادگی <u>صمدی</u></p> <p>نام آقای <u>طاهر (زینعلی)</u></p> <p>NUM. <u>HEYDARI</u></p> <p>PRÉNOM. <u>M. TAHER (fils de Mohamed)</u></p> <p>CE PASSEPORT CONTIENT ۰۴ PAGES این گذرنامه دارای ۴ صفحه است</p> <p style="text-align: center;">* 968993 ۹۶۸۹۹۲ *</p>
--	--

الملحق الرقم (٥)

الملحق الرقم (٦)

بسم الله الرحمن الرحيم
خاص
سري للغاية

ما عهدنا لملكنا الأمير نايف بن عبدالعزيز
وزيرا للداخلية عن نقله الأشغال ورعاها
السيد عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد
بما عهدنا لملكنا : فلهذا بموجبه من الملاحظات العامة
أوردنا أفضحنا في انظاركم - أمرنا ان تغطي به وقتكم بما
بالطبع عليها وتأملوا
وأوردنا صراحة لكم : أنني قد ترددت بادي الأمر والسبب
في دفع خطاب هذا الكيم - خاصة وأنه أول خطاب مني اليكم
وكلمة أطلع انتم في سريكم عن الأسباب التالية شيئا من العزيم
- الواسع المراهب نحو سريكم الكيم ، ونحو هذا الخبر العزيز
الغالب من وطننا العزيز الصديق
- الرغبة الصادقة ، لا اله مع الله
الأمير في تجنب هذه المملكة الغالية مثل ما حل في بلدنا
أخرى : كما العارم الذي آلت قيادته للعقيد فاعلم
ونائب عريف - هما حجر البدر وصدام ، توجههم معاً صابغة
من الضار الأجنبي - المحدثيه بار تباطؤهم المبرهنة
- نصحته من الأرفع الصديق الشيخ عبد العزيز السالم الذي
اعتدت ان أرفع اليه كلما داهمني من الشكر ما يدعوني
العلمة والحرف ، والشاكرم - لأفني له بما الذي نأصح منه
في الغالب - الى ما يشجع الصدر ، ويظهره العلب من الايضاحات

ولكنه هذه المرة نصحني بأنه أضع أمامكم سؤالاً

بإصاحب السمت :

يروي المؤرخون القدامى : أنه رجلاً سأل بعض حكماء الروميين

عنه أسباب زوال دولتهم ، وذهاب حكمهم ؟ فقال له :

ه يا هذا ، قد قلت فاسمع ، وإذا سمعت فاصم !

ابتعدت خلفنا عن تفتق ما كانه تفتق ويلزمنا

ووثقنا بوزرائنا فأشروا أمرنا فقم على صانعنا

وظلمت رعيتنا ففقدت ثباتنا

وبئس وائمه انصافنا فمحنوا الرأفة منا

الها أنه قال :

وكانه أول زوال ملكنا استنار الأضمار عتار

بمالتاريخ القريب :

ولقد ما ولنا صفة - دراسة أهم الأسباب والعوامل التي أدت لتلك

اضمار النظام الملكي في العروبة - وخاصة الأسباب الذاتية - لوجوبنا

أشد منه للحكم - مما هي من أهميته استنبهت بها :

١ - فقدان الحكم للقدرة الشعبية العريضة - التي تطلعت في

جميع القطاعات ، وللتي هي ارتباطاً عضوياً بالنظام ، بحيث تقوم بشم

الحكم واستخاره فجميع المجالات ، وتقاوم خصومه ومعارضيه بنفسه

السياسي ، لا بواسطة السلطة والهيمنة المباشرة

٢ - فقدان العناصر الناصحة المخلصين - التي تساعد السلطة على

الرؤية الصحيحة الواضحة للأمر ، ونضع أمام الحاكم كل شأنهم الشؤم

٤
 وكانت براهينه مع الرأي الناضج، والنجاسة الواضحة،
 والمصيرة الصادقة. ويقطع النظر عن كونه ذلك من مجال الأثر بجاء
 وإحاطة الحائكة أنفسهم بالأشياء، وبغضها تنظر إلى الحائكة على أنه
 وسيلة لتحقيق الشهوات، والحصول على المناسبات.

والمنقول بالبرهان الذي هو الملاك - ما نزل الله تعالى - وكان كبره
 في المرحلة التي تعيشها المملكة حالياً - هي بدأ أدنى ريب من علة من أخط
 مراحل حياتها؛ فتدفع الزروة على البهردا وجه أعضاء أجريدة،
 وهو إلى مرضع مطامعها تلك تجعلها معرضة لأذى تكونه تسخلك
 بزررة منه. الخطر بؤر الصراع بينه مختلف التيارات والأفكار والمذاهب
 بالزعات.

والله أنه تغيير النظام إنما قد أصبح هدفاً لقوى كثيرة داخل المنظمة
 بخارجها.

وتغيير شكل ومحتوى العلاقات القائمة بينه وبين البهردا والسلطة
 وطبيعة النظام الذي يحكمها - هو الآخر هدف من الأهداف التي يخطط
 طالبوها لتحقيقه، وهو هوادة.

وهذا الوضع يفرضه على النظام أنه يتنبأ طموحه إلى طموح، ويعتقد
 بمنتهى الثقة - القوى ذات الصلابة من التغيير والقوى الأخرى
 التي تعتمد التغيير نفسها حضارياً تسرع إلى تحقيقه ولو لم تكن هذا
 مهلاً في الظاهر غير.

كما يفرضه للرجل على النظام: أنه يجد دعوته بوضوح وكذلك إيمانه

وغاياته - التي قد تدل عليه طبيعة بيانته للهدف وتعمل بها استمراره
 وبقائه غاية مستجيبة لدى أتباعه ومؤيديه
 - وعليه - بعد ذلك وعلى ضوءه - انه يتخرف إلى عناصره وانضاره
 واصرفاته بحيث تكون على صفات متميزة ومعروفة لدى النظام ، ليكون
 ضاراً على أية حال - الولد والشخص ، وأالسبب المتعلقه المعروفه -
 - فإذ اتتم ذلك ووضع النظام هو صفات انضاره ومؤيديه على ضوء
 صريته وأهدافه وغاياته ، فغلبه بعد ذلك - انه يضع مواصفات
 خصومه وأعدائه على ضوء هويته وأهدافه وغاياته ، على
 ما يخطر بباله على هويته وأهدافه
 - وهذا يتم على النظام انه يعامل كل فرد به بالمعاملة المناسبة
 له ، ويضع كل شخص في الموضع اللائق به ، والذئ مقدر النظام إلى عملية
 الخاطيه العديده والصير مما يكون له أسوأ الأوصاف - ان على موقف
 الناس من النظام
 والمفروض - في ظل هذه التغييرات الحادثة - استكوره هذه الرحمة
 دائمة وصرفة ، وفي الوقت نفسه - تنفذ إلى القوم والنايات
 التي أحسنها إليها - وهي الهويات والأهداف والغايات -
 - وبناء على ذلك - ارجو ان تتوجهوا إلى ياسر الأميم بأنه أضع
 فيه أيديكم تصوريه العام لأنصاركم وأعدائكم من الداخل - وقد لا يفي
 ما أقول إلى معلومياتكم شيئاً - ولكنني وددت من وضع هذا التصور كماكم
 للقيام بالواجب ، وإبراز الذقمة ، ولطمسها قلوب
 ناعمة الحكيم

اعتقد انتم الحكم في المملكة يستند الى دعائيتهم واستبتهما :
 علماء الدين ورجال الدعوة الاسلامية ، وطلاب العلوم الشرعية
 ولما اشرى به بهم من الناس .
 العشرات على اختلاف بين في درجات الولاء
 اما الدولة فمهم ينظر منه الى الحكم نظرة الخليفة الى الخليفة
 القوية ، فهم لا ينو ومنه هذه الدولة قد قامت في احوالها الثلاثة
 على مخالف آل سعود وانشاء الدعوة الحقيقية .
 ومجوب هذا التعامل يرويه انتم ليحتمل الاستغناء عن النظام
 ولما عهد الدعوة السعودية الى الملكة فيه ، كما لو يمكنه للظواهر التي تغني
 عنهم ، الذي لو فضل من انتم يستغف عن دعائهم وقولهم وموتهم
 ووجوده الحديث والمعنوي .
 وكما العشرات ، فالمنظر صوره منكم باله من يتال عنهم بافعال
 عن طلبه العلوم الدينية والمنا تريم بهم .
 واما غير المنزيبه منكم - فهم كرامة الغنى يرتادوا لانفسهم
 وانفسهم المرتع الحصب ، فهم مع الحكم ما دام قوتيا ، ومضى يوسع للآخرين
 عن البلاد له عند ما نظر عليه علامات الضعف والاعياء ، او يجربونه
 مرتما اخصب .
 ولقد عرفنا قيادة هذه الملكة - منذ عهد جلالة المغفور له الملك
 عبد العزيز رحمه الله - طريقة للتعامل مع هذيه الفريضة جعلتها
 على الدوام الى جانب الحكم .
 وجهه اراد - وجه الله - تطوير نظام حكمه ، ووضعها على طريق العزم

٢
 وورد في الخبرين عدل الاسلام وجد بعض المناوشة من بعض
 العلماء وطلب العارم الشرعية ، ولكنه سرعان ما احتوى تلك
 المعارضة ، وهو ليل الى صفة ، وساعده على ذلك استواء الحالة
 الجسم بكل ما يحكمه احسانهم انه يطعمه من الترابه بيده ،
 وحركم اعرفه في الرأفة الكثرة على ذلك .
 واما ما يتعدى ذلك للملح فيصل بطيب اللهراء - فاستطاع
 في عهد ابن ابي العلي الكبي عمال بمطج جوارفتة الكثير من علماء الدين
 وطلب العلم الشرعية ، ولكنه استطاع بكل حكمت وحكمته ان يتغلب
 جميع اشراخ الصدام معهم وبق محتفظا بهم لا جانب الحكم مجردة
 بالرحم والتأييد ، وحركم اعرفه بأصناف ذلك ايضا .
 وبتحاول قوي كثيرة استطاع الدولة اليوم - بيمينه ابراهيم
 ان هناك ضغط عالمة ومحاكي هائل يريد تقييد كل شيء وبموضوعي
 بكل وسيلة ، بانه هذا التغيير ضرورية من الضرورة لا فرج
 لوازم التحقير والعصاة - ينفع الشاعرية - ذلك التقدير
 واساليه ووجود الفعل التي سيختلف
 واصحاب هذا الضغط يتكلمون تيارا جياهم - بكل ضيق ودهار يجمع
 الأسباب - كل ما تقوم عليه الدولة ، ويظهر بانتم لا يتناسب ونظام
 الدولة العصرية ، وقد وجد هذا التناقض الاذاه الصاغية لدى الكثيرين
 واسحو الى حركم انه لابد من التاكيد بان هذه الدعوة تستوي
 اهل ما استهدف قرة النظام - ليس غرض جملة هذه الدعوة ادخال البلاد
 والدولة العصرية طريقه الرشد بأسباب الحياة العصرية - كما قديتوم البعض

٧
وانما هدفهم تحويل النظام - نفع الى نظام منه النظم العمريّة ذات
الاشكال المعروفة: الجمهوريّة، والديمقراطيّة السعيّة ونحوها
ب. والنيار الناف - هو تيار قاعدة الحاكم به علماء الدين
ولمّا زب العلم الشرعيّ رسمه حوّلهم - وهو تيار فيه الكثير من
الجامعيّة الذميه لا يعترفون به ما هم منه فينبغي العادات والتقاليد
وسمه ما هو منه قبل الدين كما انه فيه كثير من اولئك الذين ينظرون
الى كل ما هو جديد نظره الخوف والخذر والاستفشار وهو دراسته وتبنيها
والدولة اياه أخذت برحمتها نظر الاوليه اصطدمت بقلوبها
الدينيّة وحزرت ولاذها، ودخلت معها في صراع لم يكن في صالح
أثمة الفرقية على أية حال.

وايه أخذت برحمتها نظر الفرق الناف فذلك يعني أنّها
تتوقف عن تطوير نفسها، وتتخلّى عن نظمها برأيها الرضا على دولها،
وحذر أمة اتصافاً بهم.

ج. ولكنه الحل - هو من انه تجعل الدولة على تفريغ محتوى دعوة الفرق
وتؤمّن وجودها بالجداد القوة الثالثة لتحوّلها الى قاعدة شعبيّة
عريضة لئلا

أولاً: إنّما تفريغ محتوى دعوة الفرق العالميّة المستغرب - قتم عبر طريق
الافضل بكل ما تحتاجه البلاد من أسباب ومساائل الحضارة للملازمة
ومساائل الحضارات كما هو حاصل - بدرجة كبيرة، ولكنه لا يزال هناك
الكثير مما ينبغي ان يفعل لتفريغ دعوة هؤلاء من محتواها وطولها

٥
 تناول ذلك - انه تمكنت - ثم وراثة مفيدة ان شاء الله
 ثانياً واما فزع نفوذ بعض العناصر الدينية - يمكنه ان يتم عمه
 طريق الالتزام بالقولع الاسلاميه السابقه وعدم الفزع
 عمه المخطوط العريضه للفكره الاسلاميه ؛ واما للسائل
 الاجتهاديه فالدولة غير ملزمه بالالتزام باجتهاد هذا او ذاك
 من العلماء ما دامت ملتزمه بالقولع السابقه ، غير خارجة
 عمه المخطوط العريضه ، وليس فيه نفرة يمكنه للتطبيقه النفاذ من
 ثالثاً واما القوة الثالثه - القابضه انه تبادر للدولة الى تحيثة
 جميع الظروف والاسباب لقيامه به غير انه يتولى مباشرة انشائها
 من قوة ينبغي ان تتألف من العناصر للعنصر الواقعيه
 ثم البدر فلا تضر على النشيت لكل ما هو قديم ، وتنهم الدولة بالرقه
 عندما تأخذ بأي سبب منها سبب الحضارة .
 كما لا تحاول علانية الدولة وتغريب البدر ، وافقارها
 تحيثة الاسلاميه .

ثالثه هي السمة الاساسية للقوة التي ينبغي ان تصالها
 الظروف لتتأقاعدة للدولة تتغلغل في جميع الطبقات لانقات
 القوات المسلحة :

٦
 فديقول مايل : يمكنه ان يستغنى عمه هذه القولع الشعبية ودعم
 السلطة بالجيش والقوات . وهذه فكرة قائله من البلاده الصغيره والكائيه
 وبلاد العالم الثالث بصوره عامه ، رؤيتها الجهات الصناعيه الكبرى
 في العالم التحويه جملته أعمارها منها ؛

١- إيجاد أسرارها واخترت لطاعات الإسلام.

٢- إيجاد مجالسها للنأي الفكرى على أخصر القطاعات في تلك البلاد
 عند طردهم للتدريب والدورات وتوكلها.

٣- إعداد هيئة منظمه منضبطة تستعان من التجريب بدل عمل الحكام
 كما وجدوا التغيير ضرورة خاصة في البلاد التي يصعب إيجاد احزاب
 سياسية قوية تؤدي هذا الدور.

٤- إيجاد طبقة هي أقوى الطبقات في البلاد التي تكسبها متأثرة
 بكل التأثير بروج الحضارة الأجنبية، ومستعدة لفرض ذلك على
 شعوبها ولو بطريق القوة.

٥- التهيئة لهذه الأهداف لا تقف وقولها بل تطرح تقييداً في تربية
 مفيدة.

٦- ولذا لا غلبه من الحكمه القول بأنه هذه القطاعات هي التي توجب
 الاعتقاد بسببها بالقطاع الذي يحكمه الركوب القائم اليه في مثل هذه
 الظروف السريعة التصيد.

السياسة الخارجية والمكانة الدولية

بعض المكاتب يرى أحياناً أنهم بحاجة في مجالات السياسة الخارجية
 كغيرها مما جعلت تعرفت سياسته الداخلية، وذلك فيكم.

فتنرى السعيد حينه فقد حلف بجدارة وسائر اتفاقيات الدفاع المشترك
 إنما عقدتها تحت تأثير هذا الوهم الذي لم ينتج إلا على اصوات جبابه
 الانتدابيين الذين سارعت الجهات الخليفة نظام لورن بالاعتراف بهم
 حتى تضمنه نص الاعتراف البريطاني. الفصه التاليه قد تعرفت حكومة

١١
معاينة المبراة بالحكومة العراقية الجديدة - التي يرأسها الزعيم الركن
عبد الكريم قاسم -

وذا حيث كل العمال الذكامة يعطى النظام على خلفائه الغربيين - الذين يتحكم
كل قفصه ، فإذ انهم هم الذين يدبرون أمر الوطاعة به - هذا ما يريدون
للإطاعة به سواء هم

وأنما الحصول على سلطة سياسية في الخارج - غاية له برتقا ، وهو كمثل
بإيران اسم الحاكم وكثيره صفاته ، ولكنه لا يمكنه أن يغطي انتصارات
السياسة الخارجية على كل الداخل ، هو أقرب إلى دولة عبد القاصر فتدفع
بكل شيء لسياسة الخارجية ، وحقوق الكثرة للماسب ، وتحويل
منه قبالة إلى شخصية عائلية ، والله ذلك كل ما أغنى عنه سنان
السياسة الأخرى

كيف يفرج بين هدف التطوير والهدف الأخرى؟

أما التطوير هدف مشروع لا ينبغي استنهاؤه فيه ، ولكنه لا يسهل السيطرة
عليه والتفويض فيه ، ويشبه ما يجب تغييره وما يجب الإبقاء عليه -
منه في البرود اليوم - أعدادا كبيرة منه أولئك الذين انفردتهم
جامعات ومعاهد الغرب ، ويحل هؤلاء تغلب عليهم نزعة
العنف كوسيلة للتفويض والسيطرة ، لا كوسيلة تطوير ، فهم يفترون
بناء المجتمع السعودي - على ما هو عليه غير صينية فيه ما هو إيجابي ومهولة
وهذا التيار يعتبر ثورة صالحة لاحتضانه وتنمية جميع الاتجاهات
والمولد السياسي والحزبية والعلمانية ، وثبات الغرب والقيم
وهو تيار يتخبره لكل ما في البيئات الغربية مستفيع - في الغالب

لكن ما هي البلاد -

ولذلك نامة تقييم معظم هؤلاء للنظام - عندما يكونون في صرحاء - : بأن نظام قبلي رجعي مختلف نظام الزمام ، تعود وتنازبه أسرة ...
 وحده يدخل للراء في نقاشه مع بعض هؤلاء - فيقول مثلا : انه هذا النظام قد وثق لكم التعليم بأعلى درجاته ، واعطاكم منه الفرص ما لم يحصل عليه نظركم من البلاد الأخرى ، وفتح ابواب البلاد للتطور - فانه لو لبيت ...
 انه يقول بل انه هذا جزء منه الواجب ، وينصرف الى تعدد الطرق والفرق والبيئات ...
 والبيئات بما فيها النظر عن كل ايجابيات السلطة ...
 وذلكة ناهج عن تأثرهم بطبيعة الديمقراطية الغربية من البلاد التي تعلموا

بها

وهذا التيار موجه لحل راية التغيير للظلم ، وهو يعمل على الاستفادة من النظام لإحداث كثير من التغييرات التي تسمح لطبقة النظام بأحداثها ، والتي تحاول باستمرار ان يبرهنه على انهم في صالح النظام ، وبالتالي فهو يستفيد من النظام من اضعاف العناصر الحافظة في البلاد والتهدد لغزلة البركة ...
 النظام نفسه لتقوم جملة من الحساب منظر :

- ١- اضعاف خصومه من التقليديين والحائزين والمعتدلين
- ٢- اضعاف النظام نفسه والتهدد لاستقاله بعد الانفراد بالثأير عليه
- ٣- تهيئة البيئة لتقبل ما سيجده فيما بعد
- ٤- اضعاف السلطة نفسها ويقولونها فكون يعطى نفسه
- فرصة الثور في جوسه الحرية النامة بعيدا عنه ملاحظة السلطة
- ٥- تسيه القوى الخارجيه الى انه النظام مهدد ، وانه مصالحا

١٤
في خطر من نكته ، وعليها انه يتوجب عدم التدخل ، من يسهل صنوفه .
بماذا تم له ذلك ، وبلغ الضعف بالنظام غاية ، وقد ركازته
و انصاره . انقص عليه بواسطة بعض العناصر العكسية المتخاضة سابقا
تدعوا بعض الفئات الخريجة او القابلية من يسهل الاضراب والظلم
والعمال .

باصحاب السمرة :

١- ان التيار الديمقراطي بكل فصائله سواء كانت
قطر نفا او معتدلا او وسطا . انما هو جزء اساسي في قاعدة حكمكم
و فيه من السليبات الكثير ، و ما لم تعملوا على تدعيمه و تقويته
و تنظيم تلامحه معكم فانتم الحكم سيكونه منكم فاعلموا و سجدوا
بهدا عتق ، او من صراخ معقول جده بدل انتم اعدائه .
٢- ان السليبات الموجودة في هذا التيار لا تعالج بالسياسة المطاردة
و المنع من المطالبة و نحوها بل بالاسباب التالية :

(١) - لانه هذا الاسلوب سيجعل يطرح سؤال كبير و هام
عنه هووية الدولة ، فيقال : كيف تكون الدولة اسلامية و نظام
اسلامي في الوقت ذاته ؟ و ذلك يقطع النظر عن هويتهم و عدم ذميتهم .
و سيجد اولئك الذين يتصورون الدولة بالمرآة و عدم الاضطرار بشيئا كلوا من
سجد هؤلاء اوسع مجال لتزديد هذا التزيم و نحوه ، لتضع هوية الدولة
موضوع تساؤل من الداخل و من الخارج .

(٢) - ان عمليات الاضطهاد قد تبدو سهلة ، ليست بذات
خطر للهوية الاولى ، ولكنها بمجرد انه تبدأ تضع السيطرة على وضع

صلح ، وذلك لأننا ندخل الفريقين : الحام والمعارضين في دوامة
من الفعل ورد الفعل لا يتغير ، خاصة إذا كانه صالحا ، غنا حركية ذات
مصلحة في إزكاء الصراخ وتصعيده

١٥- وهذا الموقف مستأنه انه يقضى على الفريق المعتدل
ويضع صورته في السلطة ومن المعارضة

نالمعتد لهم اذا وقفوا بجانب الدولة انصروا بالمروءة والخروج ، والمحرص
على المنافع الشخصية مما يفقد لهم تأثيرهم وفكاشتهم في الناس

وإذا أظهر العطف على المعارضة انصروا بالمعاوية مع المعارضة
وهكذا يقضى على الوسط المعتدل ، ويخسروا بالتطرف والمطرف فيه

١٦- ولعل من أروع الأمثلة على هذا عهد الناصر ، فهو
باعتباره معرضه كانه واحد من المعاطفين مع الاخوان المسلمين الذين يمكن

منهم فعلا ، وجمعة اراد حبه اراد اذغاله في دوامة الصراخ مع بعض
الفريقين داخل الطريق للبار - انقل حاديت بسبب من احد

اجتفالات الاخوان الكبرى عرفى وحادث سيطرة الجيب
ولما عالج هذا الحادث برد فعل عنيف ، ولم يحاول اجتنابه فكانه رد

معلم - ايضا - بنفسه للثورة من العنف وهكذا حقق وصلت
الحال بينهم وبينه الى ما هو معروف ، ولكنه انصفا وهم يراي الثورة

باصحاب السمر

١٧- منذ فترة غير قصيرة وأنا لاحظ - بكل استغراب - الحيرة تتشع
بين النظام وبين القطاعات الوسطية المختلفة ، والهمس يكسب

والسكوى المتبادلة تتعاقد

وكنت انقل - من بعض الأحيان - وفي الاسموا الأمير أحمد صفته
الله كلما اتحت لي فرصة . وقد كنت أود - قبل أنه يتخذ أي إجراء
ضد أي واحد من هذا القطاع ، ويقطع النظر عما قام به - أنه تطرح
السؤال التالي :

لماذا يبلغ هذا الحد ؟

وهل هو تعبير عنه لقدسية معينة ، أم هو رفض للنظام وسياسية
ما هي السياسات التي يصاحبها هؤلاء ، ولماذا ؟ وهل هذه السياسة
مما نتخوه أنه تشبث الدولة بها حتى لو أدت إلى فقدانها لسمعتها
ومصيرها وقاعدتها ؟

وأود أن أؤكد - من خلال ملاحظات - أنه عدم الرضا في الخلف
الاسلامية عنه منضج السلطة من بعض السياسات - منه دعاء
وليه خاصاً بهذا الطيب . أو ذلك ، وهذه المجموعة أو تلك - من تلك
العلوم الدينية والمناظر بهم بهم ، وأنه تفاوتت درجات عدم الرضا
والسلب التعيين عليه .

وإذا سمعتم لي سمعتم بتحديد السبب من ذلك - فإني أعتقد
يكفي من السياسة الاعلامية والتعليمية .

فمن شأنه السياسة الاعلامية والتعليمية الفاعلية - انه تحريك
مزيج من العناصر بهذه المجموعة أو تلك من فضائل هذا التيار ،
وأنها تنقل الصانع من مجموعة إلى أخرى ، ومنه مركز لا تحزب بعض
من وقت من الأوقات تستقر للطرف ، ثم تتأدى إلى الكثرة فتستقر الأثر
تطرفاً ، وتنتقل المعركة إليه وهكذا حتى تنقلها إلى المعتدل ، فإما أنه يخرج

عند المصالح او تؤدى به الى المصلحة والسليمة .
 هذه المبادئ الثلاثة ، وتبطل مقدمات السلام ، والتمرد
 قد وضع أهلها حيث وضعوا فما يقبل منه المباح الإذاعية او التفرقة
 او التعليمية نحو بغداد او الشام او القاهرة او غيرها قد لا يقبل
 معطى في تحيد بحكم كونها من الدعوة السلفية ، ولا في
 الحجاز بحكم كونها موطنه مقدمات السلام
 ومما لمة التلقين وارضاء جميع الأذواو - هي نفسها محارلة
 إجماع الصريح ، واذا كان الموجد منه ، وارجح الحكم امام قواعده .
 اية الحركة الذاتية لسياسة التعاليم والتعليم - هو حركة غير
 متضمنة للتفرقة ، ولا للتفرقة الدينية ، ولا للتفرقة المناهضة للتغريب
 كما ان قواعده على تسمية العنصر الثالث المعتدل وانما هي
 بالاضطراب - سيطرة ستفرض واقعا جديداً يزيد من شدة
 التفرقة ، وفي المظروفية ، ويستورد الى ظهور مزيد من التفرقة
 المظروفية ، وكل لونه تصادم وتضارب فيما بين كما هو بارز في
 الكويت والبرية بشكل يصلح انه يكون مثالا ، ولا يخفى على
 من علم الكيمياء من اوضاع البلورية من تطور اجتماعي سائر نحو التزايد
 المستمر ، ولولا ظروف كثيرة محلية ودولية لا يخفى على من علم - لا يخفى
 الصانع الاجتماعي منذ امس .

باصحاب السموات

١- اعتقد انه اول واجبات سياسة التعليم والادغام من أي بلد
 به البلديات - هو انه يجعل الشعب مناجاة مع النظام معتقداً به

١٦
 أما أنه تخلوه ظروف الصدام بينه الحاكم وقواعده - فذلك أمر يفرض
 القيام بمراجعة سريعة وشاملة لتلك السياسات
 كما هناك فرق كبير بين المعارضة والنقد والرفض
 أما المعارضة والنقد فيخرجانه الصدين عنه كونه صديقاً لا خصماً
 - إذ أنوفرت لها الشروط المطلوبة - بزيابته الحكم ، وحيث يراه تجاربه
 ويوثقانه رؤيته للأمر كثيرة ، ويعطيانه قريباً للتجديد نفسه
 باستمرار . وهما من الظواهر الصعبة .
 وهما - يشترطهما - بقومانه على موقف الصداقة والولاء والتأييد
 وعلى احترامه يرضيه بهما بحكمه . إنه يتم بإحدى الطرفين التالية :
 (أ) . تغريغهما بالاستجابة الحكيمة لطقسهما .
 (ب) . اقناع أصحابها بوسائل الرفاع والمناقشة بصحة الرأي الثالث
 (ج) . العمل بسبل مشابهة وتقريب بما يقتضيه النقد والمعارضة
 ب . وأما الرفض - فهو موقف قد اتخذته صاحبه لأسباب
 غير التي يحتاجها ، وما قد يتبع به من أخطاء - هي مجرد مجح واعداد
 بخارل بها تبرير رفضه ، وإلباسه لباس النقد والمعارضة
 وهذا أمر يعالج بإفقاد أصله كل مبررات وجودهم المادي والأدبي
 وتقوية النظام لنفسه . ولإرضاره وقواعده - بحيث يتبد
 اليأس التام على نفوس الراضين به . القدرة على النيل من النظام
 بأقل شكل من الأشكال .

والخط الإسلامي على اختلاف عناصره - لا يخرج عنه المعارضة والنقد
 ولا يتجاوزها إلى موقف الرفض ، إلا بما به عناصره . بأنه من اعتناقهم ببعث

لا يستطيع السلم نقضها. أو التحلل منها حتى يركب الكفر البواح. -
 وأما الخطوط الأخرى: سهلا تغريبه والعلمائيه والمخاليه - فهي
 خطوط رافضة النظام ككفر وموضوعاً، ومؤمنه بوجوب
 تبديله، وإذا كتمت هذا الرفض وتظاهرت بغيره - فإنا ذلك
 رياء ونفاق ودهاء وانظار وختمه الأهداف التي سبقت
 إشارتنا إليها.

وهذه الخطوط نحوها خطر على النظام صحت، وإذا فرضت الظروف
 على النظام نوعاً سهلا للمصادمة معها - في بعض الأحيان - فإنه ذلك لا
 يفضي له يتجاوز كونه سيارته مرحلية فقط للقيام بعملية التفاضل
 عليها، وانما أفعالها.

والاستجابة لتطلبات المعارضة والتقدم حكمة واصبح مع غيره
 أما الاستجابة لعناصر الرفض - فمن تنازل، منه سلة سبيله
 فتدبيره بالتنازل حتى لا يبقى عنده ما يمكنه منه تنازله عنده.

٥) ومناقشتك تلك عناصر الرفض بكرة ودهاء ومخالفة
 لتدبيره على النظام لينفأ من عناصرها لتخصص بالترتيب للحاكم
 وتزبيبه الانفرادية له، وامتناع سياسته بالوجه وبالباطن لتزويج
 الى درجة من الاعتداد بالنفس، والعدمية الضوابط الدينية
 والخلقية، واعطاء الانفرادية اسما وصفات محببة، واعطاء
 الضوابط الدينية والخلقية اسما منقرة.

وهذا النوع المزيج للوقوفات أخطر على الحاكم منه أعداء أعدائه، ولذلك
 رأينا انه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لرجل امتنع صاحبه

معرضه : « قطعت عنه أخيله » وهو تعبير في معنى الدقة
 ومن صفة آخر تعالى عليه الصلاة والسلام : « احسوا التراب في وجوه
 المداخيل » وما ذلله باصحاب السموات الا لانه كثرة التراكيب
 والنساء والتزلف والملاحة تؤدى بالحالم الى حالة ستمها القمارة الكرم
 « بالفتيان » وهو تجاوز الحد ، وما بعد لغيابه الانسان الاهلاله
 قال تعالى : « كملوا له الانسان لطيفي » انه رآه استغنى . وقال :
 « حتى اذا أخذت الأرض زخرفاً وازينت وظنه أهلها أنهم
 قادرون على أن نأمرهم بالهدى أو نأمرهم بالنعمة كمالهم
 نغمه بالارادة كذلك نفضل الآيات لقوم يتفكرون »
 قال هارون الرشيد مرة من حوله عما ينقص دولته بما جاز
 : يا نعم لا يرويه نقصاً ، وانه استنزه الدولة تامت كاملة
 لانقصه جنحاً ، فكيف ، فقالوا : ما يكيله بالامير المؤمنين
 ما ضلنا الا به ذلك سب عدله فقال : « ما بعد التمام
 الا النقصان »

باصحاب السموات

انه كلما استندت قوة الحالم ، وزادت قدراته وامكانياته
 كلما استمد معاً نفاوه وتزيينه وتزلف المنقعية بحسب تضيغ
 الرؤيت الصحيحة على الحالم ، ولذلك كانه كثير من حكام المسلمين
 قد بدأ يدعو به الناصبية اليهم ليقصد بهم بعيونهم ، فانه لم يحضروا
 فانه البعض منهم كانه يقصد بهم حيث هم في ما جدم او منازلتهم ليستمع
 الى نصيحهم :

يا صاحب السوء:

إذا غابت الرؤية الصحية للأشياء نظر الحاكم - اضطربت سياسته، فازدادت ثقافة الناس عليه -
وهي ترى مراكز القوة في الجيش والقوات المسلحة، وعناصر التغيير
ذالك - فإنتها تصح أسد القوى خطراً عليه، وطبعاً فيه
وتحضر ألامتفاضل عليه.

وآنذاك تتحول قدرات الحاكم إلى نوع من الجبروت المقتدر
التي لا تخضع صدمة.

ولذلك رأينا نظام العرافة الملكي، وقبلة النظام للصوت - انهار
الذوق على يد فوج من الجهلة، قوامه أقل من ثلاثمائة جندي
لم يكن معهم من الذخيرة أكثر من عشر طلقات لكل جندي، ولم
ذالك كله خلال ما لا يزيد عن ساعتين وعلى بضاطية كالماء
به أقرب الضابط إلى دعائم النظام - هما «عبد الكريم تاسم»
الذي كان به أقرب الضابط إلى نوري السيد، وكانه الضابط الوحيد
الذي يدخل مكتب نوري بعد مدة استخراجه من السجن.

«عبد السلام عارف» - وهو من أقرب الضباط إلى رئيس الأركان
- آنذاك - من طهره شقيقه
وأما الانتداب المصري - فقد بدأ بما لا يزيد عن ذلك كليل بقيادة
مجموعة من الضباط - كاتب حماية «حيدر باشا» رئيس
الأركان وقرب عبد الحكيم عامر

مقرحات عاجلية

٥١
كمدح آفة وسريع فندخونه ستم ملاحظة بالي:
أ. أذا فطالتم لتعديل السياسة الدستورية والتعليمية
بجهد تحول كل منهما الى أداء دورها في ايجاد القوة الثالثة
المعتدلة في البلاد لتكون سند الحكم ووسيلة للبقاء، ونبدأ كل بالودي
الى تهيئة ايجاد الضفتين والمظفرين.

ب. وقد يقضى الأمر القيام ببعض التعديلات في مناصب وزارية
ومناصب أخرى مماثلة لوظائف الرضوية في ذلك من ناحية، ولترويض الحكم
بماء جديدة من ناحية ثانية، ولتلبية طموح العناصر الجديدة
في المجتمع، وإعطائهم الشعور بأنهم إنما هم عرضة للتقسيم من قبلنا
في البلد بأسرع ما يمكن من عملية ايجاد وتهيئة الرضوية للضرورة
قيام التيار الثالث المعتدل فتبنيه، وتعديل كل ما يعوق ذلك.

د. اتباع سياسة ضبط النفس، وإبعثها جميعاً من قبل مجال السلطة
البارزهم وأعوامهم، وبخاصة أعضاء المؤسسة المالكة، وبالوسائل التي
ترمزها مناسبات الخيول، ودرية ظهور أي شخص يوظف على أي شخص يراه
للأول، والتمسك لبعض الأشخاص آثاراً لدية عنيفة على احترام
الناس للظلم، وتقديرهم له، وبإفشاء أو يذلل الخاطيء يوم كبره في السور
الموجود به هناك، وينقل كذا الى الراجح، وينعكس على مواقف الناس
من السلطة.

بإصاحبه السمت:
هناك الكثير مما حكمه قوله أو اقتراحه، ولكنني اشعر أنني قد فعلت أو فعلت
على ستمكم اللئيم، وكأني عندي أنني صديق، وقد صدقني به صدقك لو
به صدقك، ونفكم الله ملائحته ورضاه، وراعاتكم على طاعته ودين.

رضاء، وعظمتكم، والمملكه الغالبه. الله سبحانه مجيب
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد

المخلص

طه جابر نياض العلواني

كلية الشريعة - الرياض

29/7/15

نص مذكرة الحزب الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيادة رئيس الوزراء الزعيم الركن عبد الكريم قاسم المحترم

قال رسولنا وزعيمنا محمداً «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، ومن أبسط لوازم الاهتمام إبداء الرأي في مشاكل الأمة وإرشادها إلى الخير. ومراقبة الحكام ونصحهم ونقدهم، وبيان خطئهم. وعلى هذا النهج سار المسلمون الأولون حكاماً ومحكومين فسعدوا في دنياهم وآخرتهم وحققوا في الأرض حكماً صالحاً وأقاموا مجتمعاً فاضلاً وأسسوا دولة مثالية ليس فيها مكان لمستبد ظالم، ولا لحاكم جائر، ولا لمواطن ينافق ذا السلطان ويتملقه بالباطل. ويكفينا هنا أن نذكر أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب «أتق الله يا عمر»، فقال له أحد الحاضرين: «أتقول هذا لأمر المؤمنين»، فقال عمر بن الخطاب قولته التي صارت مثلاً «لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها».

هكذا يكون الحاكم الصالح، وهكذا تكون الأمة الواعية الصالحة. فعمر بن الخطاب لا يكتفي بسماع ما قاله ذلك المواطن وإنما يدفع الأمة إلى استعمال حقها بل القيام بواجبها نحو الحكام فيقرر، أن لا خير في الأمة إن لم يرقم أفرادها بمراقبة الحكام، ونصحهم ونقدهم وإرشادهم وبيان أخطائهم

وإسماعهم قول الحق، دون مجاملة أو رياء أو نفاق، كما يقرر ذلك الخليفة الصالح، أن لا خير في الحكام ومن بيده السلطان إن لم يسمعوا نقد الأمة ونصحها سماع رضى وقبول لا سماع سخط وإنكار.

إن حزبنا الإسلامي قد أخذ على نفسه عهداً أن يقتني أثر سلفنا الصالح مهتدياً بهدى الإسلام في كل ما يأخذ ويترك وفي كل ما يقول ويكتب وفي نقده ومدحه سواء رضى عنه الناس والحكام أم سخطوا، فرضى الله هو مطمع العارفين، ومنتهى غاية المسلمين الصادقين. ونرجو أن نكون من هؤلاء إن شاء الله تعالى.

وبعد: فإن الحزب يقدم آراءه في بعض قضايا الساعة قياماً بواجبه نحو الأمة كما فرضه الله تعالى.

أولاً: موقف الحكومة

منذ أن قام الحزب الإسلامي أخذت الحكومة تضايقه وتعمل على عرقلة أعماله سراً وعلناً، كأن الإسلام الذي دعوا إليه أمر يخالفها ويزعجها ويرعبها. وكأننا في بلد غير إسلامي، ومن أبرز هذه المضايقات حجز عضو الهيئة الإدارية للحزب الأستاذ الحاج طه جابر دون تحقيق معه حتى الآن، بالرغم من مضي أكثر من شهر على حجزه.

ومنع الحزب من إصدار جريدته (الجهاد) من قبل الحكومة. والحكومة أنت يا سيادة رئيس الوزراء وما الوزراء الذين معك إلا منفذين لأمر، إن كل ما تعللت به الحكومة من منع الحزب من إصدار جريدته هو عدم رضائها عن رئيس تحريرها المسؤول، مع أنه أحد مؤسسي الحزب، وكان مسؤولاً عن جريدة سابقة. ثم أبدل الحزب هذا المسؤول بغيره، ولم تجب الحكومة حتى الآن وربما لا تجيب إلى الأبد، أو تجيب بعد حين وتقول: إن هذا الشخص غير مرضي، وهكذا. إن موقف الحكومة قبل الحزب وسوء استعمال سلطتها لا يمكن أن تخفي حقيقته على أحد ولا يمكن تبريره أبداً.

إنَّ بغداد - دار السلام - تعج بالصحف وصار الناس في نظر الشيوعيين أحد اثنين: شيوعيّ وغير شيوعيّ. فالأول هو المخلص وحامي حمى الجمهورية والثاني هو الخائن أو المتآمر أو المرتد أو الرجعيّ.

ورتبوا على هذا المنطق المفلوج أن أباحوا لأنفسهم ملاحقة غير الشيوعيّ وإحقاق الأذى به، على مسمع من الحكومة وبعلمها وتأييدها.

ثم بلغ الإجرام الشيوعيّ ذروته في مآسي الموصل وكركوك، ولم تفعل الحكومة أكثر من نعت مجرمي كركوك فقط بالفوضوية. كأن نعت المجرمين الشيوعيين بهذا الوصف يعيد للأُم الشكلى ابنها الوحيد، ويرد للزوجة المفجوعة زوجها الشاب الشهيد.

إن ما وقع في الموصل وكركوك لا يمكن أن ينسى أبداً، ولا يمكن أن تبرأ الحكومة من مسؤوليته. إن المآسي التي وقعت ما كانت لتقع لولا تأييد الحكومة للشيوعيّة ورعايتها للشيوعيّين.

إنّ تأييد الشيوعيّة لا يقره الإسلام؛ لأنّ الشيوعيّة فكرة باطلة مخالفة له مخالفة صريحة. ومن ثم لا يجوز لأحد أن يعتنقها أو يساعد على نشرها. فرعاية الحكومة للشيوعيّة عمل مخالف للإسلام وباطل لا يجوز للحكومة أن تقدم عليه، ولا تملك حق رعاية الباطل المفسد لعقيدة المسلمين. ولم تخولها الأمة مثل هذا الأمر. والآن وقد تبين للحكومة خطؤها العظيم في رعاية الشيوعيّة والشيوعيّين أمّا أن لها أن تثوب إلى رشدتها وترجع عن خطئها؟ إنّ الإنسان إذا لم يكن يتمتّع بالعصمة عن الخطأ، فإنّه مطالب على وجه التأكيد أن لا يصر على الخطأ بعد أن تبين له. وهل بعد مآسي الموصل وكركوك من حاجة إلى مزيد من البيان؟

والرجوع عن الخطأ وتصحيح ما فسد يكون بما يأتي:

١. الإعلان الصريح للأمة بأنّ الشيوعيّة محرّمة شرعاً، وأنّ الحكومة تلتزم بهذا التحريم.

٢. سحب إجازة الحزب الشيوعي العلني الميّت، ومنع نشاط الحزب الشيوعي الحيّ.

٣. منع الصحف من الترويج للشيوعيّة حفظاً لعقيدة الأمة ودون الالتفات إلى ضجيج المبطلين وقولهم إن هذا مصادم لحرية الرأي. فإنّ الحرّيّة تقف أو توقف حيث تكون أداة لإفساد عقيدة الأمة والإضرار بها والإخلال بوحدتها. إنّ الضال إذا كان من حقه أن يبقى ضالاً، فليس من حقه أن يقوم بإضلال الآخرين. وأنّ الحكومة إذا أحبّت ضلال الشيوعيّة، فليس من حقها أن تحبب هذا الضلال إلى أبناء المسلمين.

٤. أن تكف الحكومة عن رعاية الشيوعيّين ومؤتمراتهم الداخليّة والعالميّة، فإنّ من واجبها هداية الضال لا تشجيع الضال. وإنّ من واجبها إنفاق أموال الأمة على مصالح الأمة لا على وفود المؤتمرات الشيوعيّة كمؤتمر الطلاب العالميّ.

٥. أن تنزل العقاب بمرتكبي جرائم الموصل وكركوك المباشرين منهم والمحرضين. فإنّ ذوي القتلى لا تهدأ نفوسهم إلا إذا رأوا القصاص العادل ينزل بالمجرمين ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾ ولا يحق للحكومة أن تعفو عن المجرمين القتلة، ولا أن توقف الأحكام في حقهم؛ لأنّها لا تملك مثل هذا الحق. وصحّة التصرف مرهونة بتصرف الإنسان بما يملك.

وإذا كانت الحكومة تحس بعطف على ذوي القتلى الأبرياء وتريد القصاص الذي أمر به رب العباد.

٦. فإن كل تباطؤ في الاقتصاص من مجرمي الموصل وكركوك يجعل الناس يصدقون يقيناً ما كان قد قيل: إنّ جرائم الموصل وكركوك كانت بعلم من الحكومة وتأييد للفاعلين.

٧. الكف عن رعاية الحكومة للشيوخيين لا سيما رؤوسهم وتنفيذ الأحكام الصادرة بحقهم؛ لأنّ هذا من مقتضى سيادة القانون، التي يجب أن تطبّق على الجميع. أمّا صدور الأحكام ثم إلغاؤها كما حصل للمدعو عبد القادر إسماعيل أحد رؤس الشيوخية قبل أن تمر ليلة واحدة على صدور الحكم. فإنّ هذا يعطينا دليلاً ملموساً على مدى عطف المسؤولين ورعايتهم للشيوخيين ورؤوسهم، وعدم توزيع العدالة، وتطبيق سيادة القانون على جميع الرعية بالسوية. فليس من العدل والإنصاف أن يلغى حكم المجلس العرفي العسكري على صاحب جريدة اتحاد الشعب في الوقت الذي يبعد صاحب جريدة الحياد إلى نقرة السلطان. فهل وصلنا إلى درجة عدم مساواة رجل مسلم يدعو إلى الإسلام بشيوعي يدعو للكفر والإلحاد في بلد الإسلام.

ومما يؤيد استمرار الحكومة في رعاية الشيوخيين ومحاربة غيرهم ما جرى لجريدة الحرية من حيث أسلوب غلقها. ذلك الأسلوب الذي لم نعهده من حكومة ما. فقد كان البيان الرسمي يتضمن سباً وطعناً في شخص صاحب الجريدة وهو الأعزل عن إمكانية الرد. كما أنّه لم يتغير نهج جريدته عما كان عليه سابقاً يوم صرح رئيس الوزراء في المستشفى من أن صاحب جريدة الحرية مندمج في خط الثورة ولا يؤاخذ بجريرة ابنه. أمّا البيان العسكري فقد أقحم قضية ابنه وتحميل أبيه المسؤولية الابن. ونحن بغض النظر عن إدانته أو عدمها، لنا رأينا الخاص في «المحكمة العسكرية العليا الخاصة» وأحكامها ونؤمن بقوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، وهذا مبدأ إسلامي مسلم به.

ثانياً: الاعتقالات والحجز

سلكت الحكومة سبيل الاعتقالات وحجز الناس في المواقف أو حجزهم في بيوتهم وتعطيلهم عن أعمالهم ونزعهم من أهليهم. وقد أخذت

الحكومة بهذا المسلك منذ سنة، وحتى الآن لم يسلم من هذا الأسلوب حتى علماء الإسلام، ولا يزال بعضهم بين محجوز في بيته وبين موقف في الموقف دون أن توجه لهم تهمة أو يجرى معهم تحقيق. إنّ الحكومة لا ينبغي لها أن تترك هذا المركب الصعب، وأخذ البريء بجريرة المذنب، فالأصل في الإنسان براءة الذمة. فإذا ارتابت الحكومة بأنّ إنساناً ارتكب جريمة ما، فعليها أن تحقق معه سريعاً وترسله إلى القضاء إن ترجحت إدانته وظهرت علائقها، وإلا فتطلق سراحه حالاً. أما أن تلقي الأبرياء في غيابة المواقف والسجون أو تحجزهم في البيوت دون تهمة معينة وتبقيهم هكذا الشهور الطوال، فهذا أمر لا يقره شرع ولا قانون ولا إنصاف.

وعليه فنحن نرى لزوم تشكيل الهيئات التحقيقيةّ النزيهة العادلة لتقوم بمهمة التحقيق مع كل معتقل أو محجوز أو مبعّد، وتبت في أمره، فإما بريء فتأمر بإطلاق سراحه، وإما أن ترجح إدانته فيقدم إلى المحاكم المختصة للبت في قضيتّه على وجه السرعة دون إبطاء.

ثالثاً: تصدع وحدة الأمة

لم يشهد العراق انقساماً بين صفوف الأمة كالانقسام المشاهد الآن ولا شك أن الحكومة مسؤولة عن وحدة الأمة والمحافظة عليها ومنع ما يصدعها، وإنّ أعظم ما فرق الأمة في نظرنا إفساح المجال للأفكار والمبادئ الباطلة كالشيوعية التي ساهمت الحكومة مساهمة فعالة في نشرها وتأييدها. كما أنّ العنصرية قد ظهرت في عراقنا المسلم. ولا تنجو الحكومة من المسؤولية ذلك. إنّ الطريق الوحيد لوحدة الأمة هو الإسلام. فالإسلام هو الذي يوحد وغيره هو الذي يفرق. وسبيل الوحدة بالإسلام، تبنى الحكومة له، فتحمله عقيدة ونظاماً، فتطبق أحكامه جميعاً بالداخل وتحمله في الخارج، وتلغي كل تشريع باطل مخالف للإسلام سواء شرع في العهد المباد، أم في هذا العهد كقانون المواريث الذي سنته الحكومة الحاضرة،

وهو مصادم لنصوص القرآن ومخالف لها. وبدون هذا الذي نقول لا يمكن أن تكون هناك وحدة حقيقية بين صفوف الأمة.

أما ما يقال: إنَّ هذا الأمر لا يمكن تحقيقه في البلاد، لأنَّ فيها طوائف غير إسلامية، فالجواب إنَّ تأسيس الدولة على أساس الإسلام وتطبيق أحكامه أسهل من تأسيسها على نظام الشيوعية أو على أساس أيِّ مبدأ باطل. فأهل البلاد بأكثريةهم الساحقة مسلمون وغير المسلمين يرحبون بتطبيق أحكام الإسلام؛ لأنَّها إذا لم تطبق أحكامه طبقت أحكام غيره من الشرائع، لا أحكام ديانتهم. فأَيُّ ضرر يلحقهم في ذلك؟ فضلاً عن أنَّ الإسلام يقر أهل الأديان الأخرى على ديانتهم ولا يكرههم على تبديلها «لا إكراه في الدين».

رابعاً: الحالة الإقتصادية

لا نأتي بجديد ولا نبوح بسر إذا قلنا: إنَّ الحياة الإقتصادية في تدهور، وأنَّ البطالة في تزايد. وإزاء هذه الحالة يجب على الحكومة أن تدرس أسبابها وتقف على عواملها وتضع العلاج السريع لها فتقوم مثلاً بتنفيذ المشاريع الإقتصادية المدروسة لتشغيل الأيدي العاملة فيها وتقوم بالمشاريع الإنتاجية، وعدم تبذير أموال الدولة في ما لا ينفع مثل إقامة النصب والتمثيل وفتح الساحات واستملاك البنايات لهذا الغرض بملايين الدنانير. فأَيُّ فائدة من ذلك والضيق الإقتصاديّ يأخذ بخناق الناس.

كما أنَّ على الحكومة أن تودع شئون الإصلاح الزراعيّ في أيدي أمينة بعيدة عن الحزبية الشيوعية، وتبادر إلى إنجاز مشاريع الريّ وتسليف الفلاحين ما يكفيهم ومراقبتهم في وجوه إنفاق ما سينفقون ونحو ذلك.

خامساً: حقوق العمال

للعامل حقوق يجب أن تصان ولا تهدر، مثل: حصولهم على الأجور

العادلة والتأمين ضد البطالة والمرض والشيخوخة وسماع شكواهم ومطالبهم، فإن كانت حقاً نفذت وإن كانت باطلة ردت، وجعل نقاباتهم بعيدة عن تيار الحزبية الشيوعية حتى تكون مهنية، تعني بشئون العمال وخدمة مصالحهم لا خدمة الشيوعية.

سادساً: سياسة التعليم

سبق وأن قدمنا مذكرة للمسؤولين تبين رأينا فيما يجب أن تكون عليه سياسة التعليم والأساس الذي تقوم عليه. وخلاصة ذلك ما قلناه هو جعل العقيدة الإسلامية هي الأساس الذي تبنى عليه فلسفة التعليم وأهدافه وأغراضه، حتى ينشأ في الأمة جيل يؤمن بالله واليوم الآخر ويراقب الله في عمله سراً وعلناً، وحتى تحفظ الأمة شخصيتها الإسلامية. وعلى هذا الأساس طالبنا أن تكون مناهج الدراسة حتى تكون ملائمة لهذا الذي ندعو إليه ونحن نكرر طلبنا السابق ونعتقد أن عدم الأخذ به تفريط بحق الأمة.

سابعاً: التضامن مع الدول العربية

إننا نطالب الحكومة بإزالة الفرقة مع الدول العربية والإسلامية، وندعو إلى توثيق عرى التضامن معها؛ لأنها جزء من الأمة الإسلامية. على أن يكون هذا التضامن على أساس الإسلام الذي يجمع بين الدول العربية وغيرها من الدول الإسلامية.

إننا ندعو إلى وحدة الدول العربية على أساس الإسلام رابطة بينها وهي أقرب تحقيقاً من غيرها لاعتبارات. إلا أننا نصر على أن يكون أساس هذه الوحدة ونظامها وأهدافها وروحها هو الإسلام عقيدة وأحكاماً ونظاماً.

فعلى الحكومة أن تعمل على إزالة الفرقة وزيادة التضامن في مختلف المجالات تمهيداً إلى الوحدة على أساس الإسلام، وهي آتية لا ريب فيها إن شاء الله تعالى.

ثامناً: شركات النفط

إنَّ النفط ثروة جسيمة للأمة، فيجب إحسان الانتفاع منها، وهذا لا يكون في نظرنا إلا بأن تقوم الحكومة نفسها باستخراج النفط وبيعه وعدم إيكال ذلك إلى شركات النفط. وعليه فنرى أنَّ الطريق إلى نفع الأمة هو تأمين هذه الشركات وتعويضها عن منشآتها، وقيام الحكومة بمهام استخراجها بأيد من أهل البلاد، وإن أعوز ذلك فلا بأس من استئجار الخبراء من الدول المحايدة.

إنَّما يدعونا إلى التأمين فضلاً عن فوائده الماديَّة للبلاد، هو أنَّ الشركات تعمل دائماً بوحى من حكوماتها الاستعمارية وكثيراً ما تتجاوز حدود عملها وتعمل على بث الدسائس والعمل على الإضرار بمصلحة البلاد، وإذا تعذر التأمين في الوقت الحاضر، فعلى الحكومة أن تهيئ الأسباب اللازمة والكفاءات الفنيَّة لتحقيق هذا المطلب في المستقبل.

تاسعاً: الخاتمة

وبعد فهذه آراؤنا في القضايا التي ذكرناها، مستمدة من هدي الإسلام وعلى الحكومة أن تسترشد بها وتأخذ بها؛ لأنَّ الحكومة المسلمة هي التي تخضع لحكم الإسلام وترجع إليه في جميع تصرفاتها، فإن فعلت ذلك رشدت، وإن أبت ضلَّت وسببت لشعبها النكد والضيق ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾.

وليعلم المسؤولون أنَّ حكم العهد المباد قد سقط وانهار لانحراف حكامه عن حكم الإسلام، وأنَّ سنة الله واحدة في الأولين والآخرين، كما أنَّ عليهم أن يعلموا أنَّ الثورة قد نجحت في قضائها على فساد وظلم العهد المباد، ولكن لم تنجح حتى الآن في إيجاد الإصلاح الإيجابي في جميع شؤون البلاد.

إنَّ الأمة لا يقنعها بصلاح الأحوال تكرار القول بأنَّ الثورة قد قضت

على العهد الفاسد المباد، ما لم تر الإصلاح الحقيقي الإسلامي في جميع
شئون الدولة. لأنّ القضاء على العهد الفاسد وسيلة لا غاية، وسيلة لقيام
عهد صالح، فإن لم يتم هذا العهد فلا يغني الكلام ولا تعتبر الثورة ناجحة،
والله يقول الحق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الحزب الإسلامي في العراقيّ

الملحق الرقم (٩)

ملف الوثائق البريطانية الغير منشورة حول المحاولة الانقلابية ١٩٧٠

ملف رقم FCO/ 17/1240

«محاولة انقلابية في العراق، ١٩٧٠/١/٢٠»

تقرير من السفارة البريطانية، بغداد، موجه إلى الوزارة الخارجية

رقم: ب ٥٠

تاريخ: ١٥/٣/١٩٧٠

الموضوع: آخر تطورات محكمة الثورة في بغداد.

نقلت وكالة الأنباء العراقية اليوم عن طه الجزراوي، رئيس المحكمة الخاصة المكلفة بمحاكمة المتآمرين في المحاولة الانقلابية، بأن المحكمة أكملت ملفاتها. علما أن المحكمة قد أصدرت قراراً لها في آخر جلساتها في ٢٨/٢/١٩٧٠ وهذا نص القرار: أثبتت بأن المجرم عبدالرزاق تورط في المحاولة الانقلابية للإطاحة بثورة ١٧ تموز، وقام بإتصالات واسعة النطاق مع العناصر المتورطة، في المحاولة الانقلابية ومع أسيادهم العملاء في إيران لتنفيذ مخططات الإمبريالية الأمريكية والصهاينة الذين كانوا وراء، حيث

قامت الحكومة العميلة بتقديم الدعم المالي واللوجستي للمتآمرين، وكانت تلك محاولة يائسة من الدوائر الإمبريالية والرجعية للقضاء على ثورة ١٧ تموز. وحكمت محكمة الثورة غيابياً بحكم الإعدام رمياً بالرصاص على العقيد الركن المتقاعد عبدالرزاق سعيد الراوي، والملازم الأول طه جابر طبقاً للمواد ١٥٩، ١٩٠، ١٦٠ من قانون العقوبات.

من السفارة البريطانية في العراق إلى وزارة الخارجية

برقية ٦٢

تاريخ ١٩٧٠/١/٢٢

سري للغاية

يرسل نسخة من هذه البرقية إلى سفاراتنا في كل من عمان والبحرين، وبيروت، القاهرة، جدة، الكويت، تل أبيب، طهران، الجزائر، الخرطوم، طرابلس، تونس، واشنطن، ونيويورك.

الموضع: المحاولة الانقلابية الفاشلة.

إستناداً إلى التقارير التي وصلتنا، والتصريحات الرسمية للحكومة، كانت هناك محاولة الانقلابية، في ليلة ٢٠ على ٢١ من هذا الشهر لتغيير الحكم في العراق، وتم اليوم إعدام ستة آخرين من الذين سبق وأن أدينوا وحكم عليهم بالإعدام، كما قامت الحكومة بطرد السفير الإيراني وأربعة من موظفي السفارة، وغلق القنصليات الإيرانية في البصرة، وبغداد.

(٢) ليس هناك أدنى شك بأن السلطات الإيرانية قامت بتحفيز، وتشجيع هذه المحاولة الانقلابية. تدعي الحكومة العراقية بأنها تملك مجموعة من الأشرطة المسجلة بصوت المتآمرين منذ بداية التخطيط للمحاولة الانقلابية.

أعتقد أن هناك الكثير من المصادقية لإدعاء الحكومة العراقية هذه، ويبدو أنهم نجحوا في التغلغل داخل حلقة المتآمرين وكانوا يسيطرون على مسارها، وحددوا وقت القضاء عليهم. وما يؤكد إدعائي هذا أن الحكومة لم تقم باتخاذ خطوات أمنية واسعة النطاق لأنها على ثقة بنفسها، ويلاحظ بأن صفوف المتآمرين قد خلت من ظباط كبار في مواقع حساسة.

موضع المحاولة الانقلابية في العراق

تاريخ: ١٩٧٠/١/٣١

إلى دائرة الشرق الأوسط/ وزارة الخارجية

من سفارة المملكة المتحدة - بغداد

(٢) حمام الدم

كما تعلمون بأن دائرتكم استلمت مجموعة من التقارير حول المحاولة الانقلابية الفاشلة التي حدثت هنا وسيرسل لكم السيد جون سيمنس لاحقاً تفاصيل أخرى من خلال البريد الدبلوماسي، ولكن نحب أن نعطيكم تفاصيل أخرى في هذه الرسالة.

صحيح أن هناك كثير من الدماء سالت وعمل المتآمرون معاملة في منتهى القسوة والفضاحة، ولكن لو نجحت المحاولة كانت حمامات الدم تكون أكبر، وأبشع، وهذا مما لايشك فيه أحد هنا، والحكومة العراقية تؤكد ذلك. في تصوري إن الناس هنا في بغداد لم تورعهم الإعدامات، بقدر ما أروعتهم مناظر رمي الجثث في المناطق العامة، أو في الأماكن والحفر، القريبة من بيوت ذوي الضحايا، وكتب على الجثث خذوا كلابكم، رغم أن الوحشية والدموية أصبحت جزء من الثقافة العراقية السياسية، إلا أن مدى الفضاحة تجاوزت الحد المقبول محلياً.

(٣) تغطية الصحافة البريطانية وبي بي سي للمحاولة الانقلابية

في الحقيقة إن الأسلوب ومدى الإهتمام اللتان أعطيتا للحدث في الصحافة البريطانية، أعطت حجج وذرائع بيد الحكومة العراقية لكسب الرأي العام العراقي بكونها ضحية مؤامرة عسكرية مدعومة من الإستعمار،

وبالأخص الحكومة البريطانية، وهذا ما يمكن ملاحظته في تغطية راديو بغداد في ٢٣/١/١٩٧٠.

ورغم أن المسؤولين العراقيين في وزارة الخارجية أفصحوا لي في المقابلات الشخصية بأنهم لم يقدموا، ولن يقدموا أي إتهام ضد الحكومة البريطانية إلا أنهم في العلق يتصرفون بطريقة مختلفة، فكما ذكرت لكم في تقريرى رقم ٩٦، صرح كل من الرئيس أحمد الحسن البكر في لقاء له مع علماء الدين العراقيين وصلاح عمر العلى في مقابلة مؤخراً له مع بعض مؤسسى في وزارة الزراعة، تصريحات مفادها بأن الحكومة البريطانية وراء المحاولة الانقلابية. ومنع استياء المسؤولين العراقيين من أمثال السيد داود ووزير الخارجية هو وصف جريدة التايمس للنظام العراقي بكونه «دموي» والذي نقله راديو بي.بى.سى. ولكن الحقيقة ما يزعج الحكومة العراقية أكثر هو وصف جريدة التايمس للحكومة بكونها «غير كفوءة» والذي يعد إهانة كبيرة لهم. رغم أنه من الصعب اعطاء وصف آخر لطبيعة النظام العراقي، إلا أن وصف جريدة كبيرة مثل التايمس النظام بهذا الاسلوب، رغم عدم قيام هذه الجريدة بأرسال ممثل عنها إلى موقع الحدث في ست الأشهر الماضية، هو موضع تساؤل مشروع.

٤) حوار مع وزير الخارجية:

رغم أنني لم التقى بالسيد عبد الكريم الشىخلى وزير الخارجية العراقي بعد المحاولة الانقلابية، إلا أنه أصبحنا وجهاً لوجه في حفلة الاستقبال التي أقامتها السفارة الهندية في بغداد في ٢٦ كانون الثاني بمناسبة العيد الوطنى الهنذى. ولكن اغتنمت الفرصة لاطهار نفسى بكونى حريص على التطورات في بغداد والحديث معه حول المسألة. وهذا ما فعله قبلى دونالد هاىلى لحين قبل نصف ساعة من مغادرته الحفلة. وجه وزير الخارجية العراقي نفس التهم التي وجهته السيد داود على الإعلام البريطانى حول تغطيتها للمحاولة الانقلابية والتي وصفته بكونها إعلامية بحتة. وبينت له أن الشعب البريطانى

لا يستسيغ رؤية حكم الإعدام الجماعي. ولكن حين أكد مرة أخرى على تأثير تغطية بي.بي.سي للحدث في العلاقات الثنائية بين بريطانيا والعراق، قلت له أنهم أحرار في تصورهم ولكن عادة لا تبني العلاقات بين الدول على أساس المواقف التي يبديها الإعلام الحر. وقلت أننا بدورنا لا نقيم علاقتنا مع العراق على أساس ما ينشره الإعلام العراقي الموجه. رد الشيخلي وقال وبكل حماس رغم أن الحكومة العراقية تعطي النقاط الرئيسية المتعلقة بالحدث للإعلام إلا أن الصحافة العراقية حرة في إعطاء التفاصيل.

٥) التورط الإيراني

يمكن ملاحظة المصادقية الكاملة في اعترافات المتورطين في المحاولة الانقلابية والتي قام تلفزيون بغداد بعرضها في خمسة أو ستة حلقات حتى الآن. وتشير كل تفاصيل المحاولة الانقلابية الى التورط الإيراني الواضح. ورغم أن الملحق الإيراني اعترف للسيد فيليب مكينري بتورط بعض أعضاء السفارة في العملية إلا أنه أصر على عدم معرفة السفير الإيراني بالحدث. وفي الحقيقة أن هناك عدة مؤشرات، والتي تجعلني شخصياً، أن لا استبعد بأن السيد العاملي لم يخبر بما كان يجري رغم كون المسألة غريبة. وأثناء لقائي بالسيد السفير الإيراني في حفلة السفارة الأمريكية في موقع البليس في ٢١ كانون الثاني لمست من تصرفه البراءة الكاملة في اخفاء براءته وعدم علمه بما جرى ولا يمكن التصور غير ذلك ورغم كل ذلك نقول أن تصرفات الحكومة الإيرانية وطبيعة تورطها في المحاولة الانقلابية تدل على عدم الكفاءة وعدم المسؤولية في التصرف بحياة الناس

٦) مظاهرة أمام السفارة:

في برقيتي رقم ٧٠ أعلمتكم بأن الحرس من الشرطة أعلمنا بانهم أخذوا مواقع لهم أمام السفارة لحمايتها من مظاهرة كان من المزمع عقدها في منتصف صباح يوم ٢٤ كانون. ولكن في حوالي الساعة الواحدة والنصف

أعلمنا الحرس وهم في نوع من الغبطة بأن المظاهرة ألغيت ورغم ذلك فإن الموظفين المحليين في السفارة قد غادروا كعادتهم العمل وشاءت الصدفة وأثناء تركهم العمل أن وقع عطل في عجلة لاندروفر الخاصة بهم.

(٧) التأثير على الكرد

وستصلكم مع هذه الحزمة البريدية تقيما حول آخر تطورات المفاوضات الجارية مع البارزاني في الأسابيع الست الماضية وتأثير المحاولة الانقلابية عليها. وفي الحقيقة اعتقد أن المحاولة الانقلابية خلقت أزمة للبارزاني حيث يرى من جانب، أن الحكومة خرجت من المحاولة قوية و متمسكة بالسلطة، والتي يصعب تجاهلها، ومن جانب آخر، أن فشل المحاولة ستدفع الحكومة الإيرانية إلى تقديم المزيد من المغريات له بترك المفاوضات وهذا ما يصعب من التكهن الموقف الذي سيتخذه البارزاني.

السيد إن جي بلفور بول

من السفارة البريطانية في بغداد ٢٤ / ١ / ١٩٧٠

إلى سيد أي أسلاند،

قسم دائرة الشرق الأوسط في الخارجية البريطانية

سري للغاية

موضوع: محاولة إنقلابية

حتى الآن لم يصلنا إلا القليل حول مجرى الأحداث بصدد المحاولة الإنقلابية الفاشلة، وحسب المعلومات من المصادر الرسمية العراقية، فإن المحاولة كانت من ترتيب وتنظيم وإشراف الحكومة الإيرانية، وتمت التخطيط لها منذ فترة ليست قصيرة، وكان من المفروض أن تنفذ في ١٧ كانون الثاني، ولكن تم تأجيلها في اللحظات الأخيرة إلى ٢١ من الشهر نفسه، وتضمنت الخطة الإنقلابية محاولة السيطرة على القصر الجمهوري في ١٧ كانون الثاني، ولكن بعد إلقاء القبض على المتآمرين، تم كشف بعض التفاصيل، التي تؤكد بأن تأخير المحاولة الإنقلابية من ١٧ إلى ٢١ كان بتدبير من الضباط المواليين للحكومة الذين تسللوا إلى صفوف المتآمرين وبإيعاز من الحكومة العراقية، وإستناداً إلى المصادر الخاصة لم تكن الظروف الطبيعية في يوم ١٧ كانون الثاني، ولكن تبين فيما بعد بأن تلك الحركات لم تكن ذات حيوية. تقول المصادر الرسمية أن نية المتآمرين كانت السيطرة، أولاً، على كتبية الدبابات في معسكر الرشيد، ومن ثم التوجه إلى القصر الجمهوري. وحسب معلوماتنا فإن ضحايا المحاولة الإنقلابية كانت فقط جنديين حيث قتلوا أثناء محاولتهم القبض على المتآمرين.

٢) في الحقيقة إن معلوماتنا من المصادر غير الرسمية لحد الآن هي متناقضة وغامضة، ونتوقع أن نعلم بتأكيد ما حصل في تلك الأيام. تؤكد بعض التقارير الواردة إلينا بوجود نقاط للسيطرة العسكرية على مداخل مدينة الثورة في الصباح الباكر من يوم ٢١ كانون الثاني، وكانت هناك بعض المعلومات حول حدوث بعض المشاكل في معسكر التاجي، الواع - شمال بغداد على طريق الموصل - حيث كانت هناك حوادث إطلاق نار في معسكري التاجي والرشيدي، ولكننا لسنا متأكدين من صحة الأنباء المتعلقة بمعسكر الرشيدي.

ولوحظ وجود بعض القوات على الطرق المؤدية إلى القصر الجمهوري، ولكن الوضع كان هادئاً.

تم غلق الطرود المؤدية بين مدينة بغداد ومطارها في أثناء يوم ٢١ كانون الثاني، ولكن رفعت هذه النقاط العسكرية في اليوم التالي.

ولكن كان هناك تفتش لبعض السيارات ما عدا الحالات التي ذكرناها وكانت أحوال بغداد طبيعية، ولم تشهد المدينة إتخاذ إجراءات أمنية الوقائية قبل وبعد المحاولة الانقلابية.

٣) أقامت الحكومة في ٢٣ مراسم عزاء رسمية كبيرة للجنديين الحكوميين المقتولين، وقامت الحكومة بتوفير باصات لنقل عمال العاملين في المصانع الرسمية والطلاب، وذلك لترتيب مظاهرة شعبية موالية ومنددة بالمحاولة الانقلابية.

بدأت المسيرة بشعارات موالية للحكومة وهتافات ضد إيران وانطلقت تلك المسيرة من أمام السفارة الإيرانية.

ولكن لم تشهد أية أعمال عنف.

٤) كما أشرنا إليه في بريقتنا رقم ٦٥ الصادر ٢٢ في كانون الثاني، إتهمت الحكومة العراقية في البداية الإمبريالية الأمريكية وسي اي أي وإيران،

وإلى حد كبير الصهاينة، ولكن التهمة التي وجهت إلينا كانت ثانوية وغير مدعومة بالأدلة، ومعظمها إدعاءات خيالية، وردت في هذا المجال في وسائل الإعلام العراقية، إشارات إلى تورط الشركات «الإحتكارية النفطية والإمبرالية البريطانية».

أما التهمة الرئيسية التي وجهت لحد الآن وبطريقة مباشرة فهي ضد إيران، وتدل تفاصيل المحاولة الانقلابية، وبالكثير من الأدلة إلى التورط الإيراني.

لذلك أنهت المحاولة الانقلابية الهدنة التي كانت موجودة بين البلدين بصدد الحرب الإعلامية.

إن تقيمتنا للأحداث وللمحاولة الانقلابية تؤكد قدرة أجهزة المخابرات على اختراق صفوف المتآمرين، وبدرجة كبيرة، وإن التورط الإيراني وصل لحد الأعناق، وكما تشير إلى قدرة الحكومة على دحض المؤامرة من دون صعوبة تذكر في مراحلها الأولى.

(٥) إن توقيت موعد الانقلاب مسألة جديرة بالإهتمام.

علما أن الحكومة البعثية أبدت مؤخراً رغبة جديدة للوصول إلى اتفاق مع الكورد بقيادة البارزاني، لذلك لا يستبعد أن يكون القيام بالمحاولة الانقلابية وتنفيذه في تلك الأيام بالتحديد محاولة من قبل شاه ايران للحيلولة دون الوصول إلى الاتفاق بين الحكومة والكرد. ولكن هذا لا يعني، أن المحاولة كانت من أجل هذا الهدف فقط. حسب ادعاء السلطات العراقية، والتي لا نشك في مصداقيتها، بدأت المحاولة أثناء الأزمة في العلاقات مع إيران حول السيادة على شط العرب. ومما يلفت النظر فإن الحكومة العراقية لم تحاول أن تتهم الكرد مع المتورطين في المحاولة الانقلابية، وهذا مما يوحي لي بأن الحكومة مصرة على استمرار المفاوضات مع الكورد.

(٦) أدخلت الحكومة العراقية مؤخراً عاملاً آخر في الأزمة حيث

أصدرت قراراً بتنفيذ حكم الإعدام بمجموعة يقودها رشيد مصلح ومدحت حاجي السري علماً أن هؤلاء قد سبق وأن أدينوا وحكم عليهم في شهر تشرين الثاني ١٩٦٩ في محاولة انقلابية بدعم من سي أي إي. يبدو أن الحكومة العراقية كانت في السابق مترددة، رغم اعترافات هذه المجموعة والتي أذيعت في التلفاز، في تنفيذ حكم الإعدام فيهم، ولكنها استغلت أجواء المحاولة الانقلابية لتنفيذ الحكم فيهم.

هناك إشاعات تنتشر في أوساط العراقيين بأن الحكومة قد تقوم بتوجيه التهم، ومن المتوقع أن تقوم الحكومة بتوجيه تهمة وإعدام بعض الخصوم من أمثال عبدالعزيز عقيلي، وفيصل الإنصاري وطاهر يحيى، وعبدالرحمن البزاز، ومن الملفت للنظر بأن الكرد يحاولون التدخل لدى الحكومة العراقية لإطلاق صراح البزاز، وينقل عنهم بأن ربطوا بين استمرار المفاوضات وإطلاق صراح الأخير.

(٧) ما هي النتائج المتوقعة للمحاولة الانقلابية الفاشلة؟

أشار السيد السفير في برقيته المرقمة ٦٦٧ أن السهولة التي تم بها قمع المحاولة الانقلابية ستؤدي حتماً إلى زيادة ثقة النظام بنفسه. ولكن هذا يعني بأن العلاقات مع الجارة إيران أخذت مجرى نحو الانحدار. لو قامت الحكومة العراقية بالقضاء على المؤامرة وهي في طور الاعداد لكانت تبعاتها أقل على العلاقات بين البلدين. لذلك يجب أن نتوقع أن تشهد العلاقات الثنائية المزيد من التدهور، وستطفو مسألة شط العرب كمسألة نزاعية من جديد في العلاقات بينهما وفي الحقيقة بدأت بوادر من ذلك في الصحافة المحلية. يجب أن نتوقع الحكومة البعثية بأن إيران ستقدم قريباً على تكثيف دعمها للحركة الكردية. ويبدو أن الحكومة مدركة لذلك، فإنها لم توجه الاتهام إلى الكرد بالتورط في المؤامرة. وهناك الآن دوافع أقوى للحكومة من الوصول إلى الاتفاق مع البارزاني. إن ثقة النظام بنفسه لا تعني بالضرورة بأن الجيش في موقع أفضل للتصدي للكرد. لذلك نتوقع أن تكون الحكومة على

استعداد أكثر لتقديم المزيد من التنازلات للكرد وهذا ما أكده حردان عبدالغفار التكريتي لأحد اصدقاءنا.

٨) أن الطريقة الدموية التي ينتقم بها البعث من خصومه سيعزز للكثير في العراق وفي الخارج القناعة السائدة بأن حزب البعث من أكثر الاطراف العراقية دموية في العراق في مسألة الصراع على السلطة. قد يكون الامر أن تصرفات البعث تشير بهذا الاتجاه، ولكن لو نجحت المحاولة الانقلابية كان من الممكن أن يكون الأمر غير ذلك. ولكن مجريات الأحداث في العراق تؤكد بأن النظام هو نظاماً دموياً فظيماً وهذا ما يعرقل نمو علاقات معقولة بين العراق والدول الاجنبية - وفي تصوري حتى - مع الدول العربية. وفي الحقيقة أنا قلق من أن تكون للأحداث تبعات سلبية على العلاقات بين العراق وبريطانيا، خاصة مع استمرار التغطية السلبية للصحافة البريطانية للأحداث في العراق ونأمل أن تجد الصحافة البريطانية مسألة حارة ومثيرة أخرى لتنسيها الأمور في العراق. في الحقيقة أن الصحافة البريطانية هي المسؤولة الى حد ما عن المظاهرات المعادية لنا هنا والتي أخبرنا بأنها على وشك أن تصل السفارة هنا.

المخلص ب مكيرني

نسخة منها الى السفارات في طهران وبيروت

نلحق لكم قائمة باسماء الذين ادينوا حتى يوم ٢٣ من هذا الشهر بتورطهم في المحاولة الانقلابية أمام محكمة الثورة الخاصة:

المعدومين:

اللواء المتقاعد محمد رشيد الجنابي

العقيد الركن المتقاعد صالح مهدي السامرائي،

ملازم رافع دراجي

ملازم الثاني نشأة عسكر

ضابط صف صفوك راكان

العقيد الركن المتقاعد فاضل مصطفى أحمد

العقيد المتقاعد جابر حسان حديد

العقيد المتقاعد الإداري عبدالسلام دركزلي

عقيد الشرطة المتقاعد عباس جواد السلامي

ملازم الثاني عدنان حسين

الرئيس علي صالح خضر شنشل

دكتور نجم الدين عارف

راضي ريجان

عقيد الشرطة المتقاعد شكري محمود صالح، ضابط شرطة المتقاعد
غزال صبري، سلمان مهدي التميمي، العقيد علاء الدين عشمه، الرائد
المتقاعد الركن ستار عبدالجبار العبودي، العريف فاخر حسن، النقيب
مجدي تركي، ملازم أنور محمد حسين الجميلي، حسن حسين الخفاف،
العقيد الركن محمد عباس مظلوم، العقيد المتقاعد اسماعيل نجم، العريف
فاخر حسن حسين، النقيب الركن وهاب داود الهيتي، النقيب الركن رياض
محمد شكري المفتي، الرائد أحمد عبدالله، ملازم وسام مهدي، العقيد
كمال أحمد الراوي، العريف صدام عبدالله، المحامي حسين عبدالوهاب
الدلال، راضي عبدالواد سكر، طه راضي .

المحكومين غيابياً بالاعدام:

اللواء عبدالغني الراوي، شامل محمد حسن، محمد جعفر، محمد

التميري.

من دائرة قسم الشرق الأوسط إلى السفارة البريطانية
بغداد رقم الكتاب ٦/١

الإنقلاب الفاشل في العراق

قبل كل شئ نشكركم ونثمن جهودكم في تزويدنا بتفاصيل شاملة ودقيقة حول الأحداث الغير العادية في ٢١ كانون الثاني. وكانت رسالتكم المرقمة ٦/١ ليوم ٢٣ كانون الثاني بالتحديد مفيدة جداً.

(٢) لاشك بأن الطريقة التي قامت بها الحكومة العراقية في تعاملها مع جثث المعدومين - كما وردت في الفقرة الأولى من تقريركم هي التي آثرت إستياء الصحف البريطانية.

ولكن نحب أن نلفت نظركم بأن صحافة البريطانية فقدت اهتمامها بالموضوع، ولا تهتم بالتطورات الحاصلة مؤخراً في العلاقات العراقية الإيرانية، لذلك على العراقيين أن يطمأنوا من ذلك ولم تبقى لهم الحجج للشكاوي حول ما سميت بالتغطية الغير المحايدة في الصحافة البريطانية، وتستمر هذا لحين وصول إعدام وجبات أخرى في العراق.

(٣) استطاعت الحكومة العراقية أن توظف وبكل جدارة تورط الإيرانيين المدعومة بالأدلة، والوثائق عندهم في المحاولة الانقلابية في حملتها ضد الحكومة الإيرانية.

وكالمعتاد كانت رد فعل الحكومة العراقية فيها كثير من المبالغة، ولا أعتقد بأن أصدقاء العراق من العرب وغيرهم يصدقون المزاعم العراقية بكون إيران تهديد عسكري لهم.

تقوم الحكومة الإيرانية بالمقابل، وفي محاولة منها من التملص من دورها في المحاولة الانقلابية بالتركيز على سوء المعاملة التي تلقتها البعثة الدبلوماسية الإيرانية في بغداد، وهذا ما أشرنا إليه في تقرير رقم ٥٧ المصادف ليوم ٣٠/١/ حول الشكاوى المقدمة من الإيرانيين في هذا المجال إلى عواصم الدول الغربية.

زار السفير الإيراني هنا في لندن وزارة الخارجية، ولاستغرابنا لم يشر إلى المحاولة الانقلابية، واكتفى السفير بالإشارة إلى التهديد السوفيتي إلى الخليج بعبارات اتصفت بالعمومية.

٤) استناداً إلى عدم حدوث تطورات كبيرة في المفاوضات بين الحكومة العراقية وبارزاني، وعدم قدرتهم إلى الآن في الوصول إلى إتفاق ما، نستطيع أن نقول بأن البارزاني يخضع الآن لضغط واستفزاز كبير من شاه إيران، وهذا مما يعقد من المسألة علماً إن البارزاني غير مرتاح من فكرة التعايش مع النظام البعثي في ظل إتفاق غير مضمون العواقب.

توقيع جي ب ترب

مدير قسم دائرة شرق الأوسط

من السفارة البريطانية، بغداد الى هينج كلف، قسم دائرة الشرق الأدنى
موضع: المحاولة الانقلابية في العراق

تاريخ: ١٩٧٠/١/٣١

كتب فيليب مكريني تقريره المرقم ٦/١ في ١/٢٤ إلى أسلاند عن المحاولة الانقلابية ومنذ ذلك الحين سمعنا معلومة واحدة عن المدانين وبعض التفاصيل عن سير الأحداث.

(٢) سمعنا مؤخراً أنه تم حكم الإعدام بالنقيب الركن ابراهيم داود الهيتي، وحسب معلوماتنا هو شقيق ابراهيم الداود، الذي كان وزيراً للدفاع في الحكومة التي شكلت لفترة وجيزة بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ وهو حالياً سفير في إسبانيا. أرسل معظم السفراء برقيات التأييد للنظام العراقي بعد الانقلاب ولكن كما كان متوقفاً لم يكن ابراهيم بينهم.

(٣) وسمعنا أن بين المعدومين الملازم الثاني نشأت عسكر وحسب علمنا هو ابن نائب وزير شؤون الشمال وكان أمر موقع عسكري في البصرة. وكما سمعنا أن بين المعدومين هو أمر لواء ١٥ في البصرة. وهذا يؤكد معلوماتنا السابقة التي وصلتنا من الأجانب الذين جاءوا من البصرة في ليلة ٢٠ على ٢١ وتكلموا عن تحركات لبعض القطعات العسكرية من البصرة باتجاه الشمال. وهذا يبين لنا بأن بالمحاولة الانقلابية كانت أوسع مما صورها الإعلام الرسمي. كان السفير يخطط لزيارة البصرة في ٢٤/٢٥ المصادف لعطلة الأسبوع، ولكن تم تأجيل السفارة، وذلك للظروف الغير المستقرة ولوصول تحذير من السيد ويلر ممثل شركة البترول الإنجليزية، الذي أكد بدوره عدم مناسبة الأوضاع لزيارة سعادة السفير. ولكن سافر دونالد هاييلي، في ٢٨ من هذا الشهر إلى البصرة وعلم هناك بقيام قائد القوة

البحرية العراقية بالانتحار يوم ٢٧. وحسب المعلومات، قام المدعو بالانتحار لأنه كان آمراً لموقع لواء ١٥ المعدوم، وكتب قبل انتحاره بأنه كان صديق الأمر المذكور، ولكن لم يكن يعلم بأمر المحاولة الانقلابية.

(٤) إن نشر الأشرطة الصوتية المتعلقة بالاتصالات التي كانت تجري بين القائمين بالمحاولة الانقلابية يبين هوية اثنين من الضباط الكبار المواليين الذين تسللوا إلى صفوف المتآمرين. وأن الضابطين هما محمد سعيد أمر الحركات العسكرية في الجيش العراقي ومساعدته. وهذا يبين لنا لماذا كان المتآمرون والإيرانيون عندهم الكثير من الثقة بالنفس بأن المؤامرة ستنجح. وهذا يشرح لنا لغز ثقة المتآمرين بانفسهم رغم عدم وجود ضباط بينهم في المواقع العسكرية الهامة ما عدا أمر موقع لواء ١٥ الذي أعدم في الموقع فوراً.

(٥) إن توقيت موعد الانقلاب مسألة جديرة بالإهتمام.

علماً أن الحكومة البعثية أبدت مؤخراً الرغبة الجدية للوصول الى اتفاق مع الكورد بقيادة البارزاني، لذلك لا يستبعد أن يكون القيام بالمحاولة الانقلابية وتنفيذها، أن تكون محاولة من قبل شاه إيران للحيلولة دون الوصول إلى الاتفاق بين الحكومة والكورد، ولكن هذا لا يعني، لأن بدأت

جز ايج. سيمين

الوثائق البريطانية للمحاولة الانقلابية في

عام ١٩٧٠ المرقم FCO /17 1240

النسخة الانجليزية لوثائق الملف المترجم

اعلاه. (وثائق غير منشورة)

NNNNX
BBC B

URGENT

RECEIVED IN
REGISTRY No. 10
-3 MAR 1970

(29) Reg. de.
M. Hinkelcliff
Imy
Inter
el.
R/M
Z.H.

B5 IRAQ: ALLEGED PLOTTER EXECUTED

BAGHDAD RADIO SAYS A SPECIAL COURT HAS SENTENCED TO DEATH MUHSIN JARALLAH, AN ALLEGED PLOTTER, AND THAT THE DEATH SENTENCE HAS ALREADY BEEN CARRIED OUT.

MF BBC MON 0750 2/3 G.T. (TVND)

Neq 1/6

A
T

B5 PLOTTER 2: NAYYIF SENTENCED TO DEATH IN ABSENTIA

THE RADIO ALSO SAYS THAT THE COURT HAS CONVICTED ABD AL-RAZZAQ AL-NAYYIF AND HIS CLIQUE ON THE CHARGE OF PLOTTING AGAINST THE PROGRESSIVE REGIME IN IRAQ, AND HAS SENTENCED (HIM) IN ABSENTIA TO DEATH BY FIRING SQUAD.

MF BBC MON 0755 2/3 G.T.

P

T

B5 PLOTTER 3:

THE RADIO ALSO SAYS THAT RETIRED STAFF COL. ABD AL-RAZZAQ SAID AL-RAWI AND LT. TAHR JABIR WERE SENTENCED IN ABSENTIA TO DEATH BY FIRING SQUAD AND THAT SABBAN ABD AL-JABBAR AL-RAWI WAS SENTENCED IN ABSENTIA TO DEATH BY HANGING.

END BBC MON 0758 2/3 G.T. (KY)

u
be
hc
19
A:
ec
ut
n:
th
th
br
ev
B
k
e
b
Barzani. He er
problem through
National F
expanding the r
this end on the
Iraq was also n

RECEIVED IN

RECEIVED IN
REGISTRY No. 10
10 FEB 1970
NES 1/6

26

5

by ch
Asses
Co
P

B50 IRAQ: NO MORE CASES BEFORE SPECIAL COURT

(IRAQI NEWS AGENCY) BAGHDAD: THERE ARE NO MORE CASES TO BE CONSIDERED BY THE IRAQI SPECIAL COURT, THE COURT'S PRESIDENT, SD. TAHA JAZRAWI, SAID TODAY IN A PRESS INTERVIEW. THE COURT HAD ENDED ALL TRIALS OF PLOTTERS WHO WERE CONVICTED OF TAKING PART IN THE ABORTIVE PLOT OF 22ND JANUARY.

END BBC MON 18/3 1930 CDF (UPI)

RECEIVED IN
REGISTRY No. 10
10 FEB 1970
NES 1/6

B6 SENTENCES (FULL) 2:

THE COURT HAS ESTABLISHED THAT CRIMINAL AL-NAYIF PARTICIPATED WITH THE CLIQUE INVOLVED IN THE FOILED REACTIONARY PLOT TO OVERTHROW THE 17TH JULY REVOLUTION. HE ACTUALLY TOOK PART IN PLANNING THE MEAN PLOT. HE CONDUCTED WIDESCALE CONTACTS WITH THE ELEMENTS ENTRUSTED WITH THE EXECUTION OF THE PLOT AND THEIR MASTERS IN THE AGENT IRANIAN GOVERNMENT, IN ACCORDANCE WITH THE PLANS OF AMERICAN CENTRAL INTELLIGENCE AND ZIONISM WHICH PREPARED THE PLOT AND PREPARED FOR THE SMUGGLING OF ARMS TO IRAQ AND FOR SUPPLYING THE PLOTTERS WITH MONEY TO OVERTHROW THE REVOLUTIONARY REGIME IN IRAQ AND STAB THE IRAQI ARMY ON THE FRONTLINE, IN THE BACK.

CRIMINAL AL-NAYIF'S NAME WAS FREQUENTLY MENTIONED IN THE SECRET RECORDINGS OF THE PLOTTERS' MEETINGS, WHICH WERE BROADCAST TO THE CITIZENS AT THE TIME. THIS PROVED THE CLOSE CONTACTS BETWEEN AL-NAYIF AND THE PLOTTERS AND THE FOREIGN IMPERIALIST AND REACTIONARY CIRCLES WHICH STAND BEHIND THEM.

MF BBC MON 2/3 JL (TVN) 0809

B6 SENTENCES (FULL) 3:

THE SPECIAL COURT MET ON 28TH FEBRUARY 1970, UNDER THE CHAIRMANSHIP OF TAHA AL-JAZRAWI AND PASSED THE FOLLOWING SENTENCE:

1--RETIRED STAFF COL ABD. AL-RAZZAQ SAID AL-RAWI AND LT. TAHA JABIR ARE SENTENCED IN ABSENTIA TO DEATH BY FIRING SQUAD IN ACCORDANCE WITH ARTICLES 159, 190, AND 160 OF THE PENAL CODE.

MF BBC MON 2/3 JL (TVN)

conducting negotiations for
expa... steps have already been taken towards
this... the level of trade unions, syndicates and students federations. He went on to say that
Iraq was also making efforts to bring about closer cooperation with other Arab countries (which
he did not specify) "in order to serve the Arab cause, mainly, the Palestine case."

12 February, 1970

25

(NEQ.1/6)

Abortive Coup in Iraq

We are grateful for the very full coverage that you and other members of your staff have provided on the extraordinary events of 21 January. Your letter 1/6 of 31 January was particularly useful.

2. The Iraqis' treatment of the corpses of those executed for their part in the plot, as described in your first paragraph, certainly seems to justify the epithets used by the press here. The newspapers now have lost interest in Iraq and are not taking much notice of the latest deterioration in Iraq/Iran relations, so the Iraqis should have nothing further to complain about (as far as the biased "British publicity media" are concerned) until the next series of executions!

3. The Iraqis, having caught the Iranians with their pants well below their knees on this occasion, appear to be intent on exploiting their advantage to the full. As usual they have over-reacted and I do not think that any of their Arab or other friends really believe that the Iranians pose a direct military threat to Iraq. Present Iranian tactics appear to us to be aimed at confusing the issue by concentrating on publicising the Iraqis' treatment of their diplomats in Baghdad and such representations as reported in our telegram no. 57 of 30 January (to Tehran) have been made in most Western capitals. The Iranian Ambassador called on the Secretary of State today and surprisingly enough did not have much to say about Iraq apart from a generalised dissertation on the threat to the Gulf presented by Russian influence there.

4. Judging from the fact, that so far, no dramatic announcement has been made in Baghdad about peace with the Kurds, Iranian blandishments to Baqzani may now be proving more effective, at least as far as he personally is concerned, than the prospect of living in an uneasy peace with the Ba'athists.

(J. P. Tripp)

H.E. Mr. H. G. Balfour Paul,
BAGHDAD

CONFIDENTIAL

resident Abdel Rahman Aref, and by Major General Ibrahim Al Daoud, the former Defense Minister.

It will be recalled that Al Nayef was appointed Premier after the July 17th, 1968, coup while Al Daoud was named Defense Minister. On July 30th --13 days later-- Nayef was ousted and

RECEIVED IN

26

NEC 1/6

MR/3317/1

28

27

IV(A) - THE NEAR AND MIDDLE EAST

11.00 GMT 24.2.70 - 11.00 GMT 27.2.70

New Baghdad Plot Trial Baghdad radio's 05.45 GMT press review of 27th February reported the following headlines: "The special court will try a new group of plotters tomorrow - The special court will meet on Saturday morning to try a new group of plotters, who were recently arrested - Those to be tried include Mahain Jarallah, who was previously sentenced to death in absentia and who has now been tried - The other defendants are Jabbar Khidir, Kazim Sayyid Jawad, Sgt-Maj, Mahmed Karim, Jabbar Saibin and Saib Jawad - They were all assigned roles in the abortive imperialist reactionary plot - Mahain Jarallah revealed his role in the confessions he made when arrested."

US Aircraft for Israel Muhammad Sharaf said in Cairo radio's 12.30 GMT home service commentary that President Nixon's decision to supply Israel with more Phantoms and Skyhawks did not surprise or frighten the Arabs, who were prepared to pay the full price for victory.

The "Voice of Fatah" also referring to President Nixon's decision "to supply the Zionist presence with 25 more Phantom aircraft", said that the Arab masses knew they would be exposed to more raids by US aircraft deep into their territory, and it was even likely that the time would come when the pilots, too, would come from the USA.

The Swissair Incident In a commentary on 26th February, Beirut radio said that Israel had exploited "the two aircraft incidents in Switzerland" to fan hatred against the Arabs despite the fact that the Resistance organisations were not responsible.

Damascus radio, commenting on 26th February on "Zionist attempts to exploit the mysterious Swiss aircraft incident", said that many quarters thought it not unlikely that it had been "arranged by the Zionist movement". The radio said that the London Airport workers had withdrawn their support of Arab aircraft on realising that British interests might suffer as a result; it added that Swiss interests might also suffer.

PFLP Postcard to Israel Israel radio broadcast the following report at 21.00 GMT on 26th February: "The Defence Ministry recently received a postcard from the Popular Front for the Liberation of Palestine showing the part this terrorist organisation plays in attacks on aircraft. The postcard shows an attack on an El Al aircraft. It was sent from Sagossa in Spain and contains threats against Zionism and Israel."

President Tito in Libya The Libyan radio said in a commentary on 26th February that it was no coincidence that President Tito's tour of various Arab countries had come at a critical juncture when the Arabs were "facing an adverse situation"; it had come as "a new reaffirmation of Yugoslavia's friendship for the Arabs and its staunch support for strugglers in the occupied territories and for those dispersed in refugee camps".

At 07.00 GMT on 27th February the Libyan radio said that the previous day President Tito had received Abu Tariq, representative of Fatah in Libya, in the presence of Colonel Mu'ammarr al-Qadhafi, Chairman of the Revolution Command Council and Premier, and certain other members of the Revolution Command Council. Abu Tariq was stated to have said afterwards that President Tito had expressed Yugoslavia's readiness to reinforce the Palestine revolution and to support Fatah's activities against "the Zionist gangsters". At 07.50 GMT the radio began a relay from Tripoli airport reporting the departure of President Tito, who was stated to have arrived at the airport at 08.20 GMT. The relay suffered a series of interruptions announced as being due to technical faults. The regular bulletin at 09.00 GMT announced that President Tito had in fact left at 10.30 (i.e. 08.30 GMT).

* For details see Appendices

Barzani. He emphasized that neither of the two sides could achieve a permanent solution to this problem through military victories.

National Front. While stressing that the ruling Baath was still conducting negotiations for expanding the national front, Tahriri said that practical steps have already been taken towards this end on the level of trade unions, syndicates and students federations. He went on to say that Iraq was also making efforts to bring about closer cooperation with other Arab countries (which

ind
So-
auth-
sed
in
a the
ference
lapped,
each
ying
to the
l at-
They
foreign
exec-
the
treat
jury
tically
office
e ruling
by
less
ialogo-
afa

RECEIVED IN

RECEIVED IN
REGISTRY No. 10
10 FEB 1970

NEQ 3/6

050 IRAQ: NO MORE CASES BEFORE SPECIAL COURT

(IRAQI NEWS AGENCY) BAGHDAD: THERE ARE NO MORE CASES TO BE CONSIDERED BY THE IRAQI SPECIAL COURT, THE COURT'S PRESIDENT, SD. TAHA JAZRAWI, SAID TODAY IN A PRESS INTERVIEW. THE COURT HAD ENDED ALL TRIALS OF PLOTTERS WHO WERE CONVICTED OF TAKING PART IN THE ABORTIVE PLOT OF 22ND JANUARY.

END BBC MON 18/3 1930 CDF (UPI)

RECEIVED IN
REGISTRY No. 10
10 FEB 1970

NEQ 3/6

86 SENTENCES (FULL) 2:

THE COURT HAS ESTABLISHED THAT CRIMINAL AL-NAYIF PARTICIPATED WITH THE CLIQUE INVOLVED IN THE FOILED REACTIONARY PLOT TO OVERTHROW THE 17TH JULY REVOLUTION. HE ACTUALLY TOOK PART IN PLANNING THE MEAN PLOT. HE CONDUCTED WIDERSCALE CONTACTS WITH THE ELEMENTS ENTRUSTED WITH THE EXECUTION OF THE PLOT AND THEIR MASTERS IN THE AGENT IRANIAN GOVERNMENT, IN ACCORDANCE WITH THE PLANS OF AMERICAN CENTRAL INTELLIGENCE AND ZIONISM WHICH PREPARED THE PLOT AND PREPARED FOR THE SHUDDING OF ARMS TO IRAQ AND FOR SUPPLYING THE PLOTTERS WITH MONEY TO OVERTHROW THE REVOLUTIONARY REGIME IN IRAQ AND STAB THE IRAQI ARMY ON THE FRONTLINE, IN THE BACK.

CRIMINAL AL-NAYIF'S NAME WAS FREQUENTLY MENTIONED IN THE SECRET RECORDINGS OF THE PLOTTERS' MEETINGS, WHICH WERE BROADCAST TO THE CITIZENS AT THE TIME. THIS PROVED THE CLOSE CONTACTS BETWEEN AL-NAYIF AND THE PLOTTERS AND THE FOREIGN IMPERIALIST AND REACTIONARY CIRCLES WHICH STAND BEHIND THEM.

MF BBC MON 2/3 JL (TVN) 0809

86 SENTENCES (FULL) 3:

THE SPECIAL COURT MET ON 26TH FEBRUARY 1970, UNDER THE CHAIRMANSHIP OF TAHA AL-JAZRAWI AND PASSED THE FOLLOWING SENTENCE:

1--RETIRED STAFF COL ABD. AL-RAZZAQ SAID AL-RAVI AND LT. TAHA JABIR ARE SENTENCED IN ABSENTIA TO DEATH BY FIRING SQUAD IN ACCORDANCE WITH ARTICLES 159, 190, AND 166 OF THE PENAL CODE.

MF BBC MON 2/3 JL (TVN)

conducting negotiations for

...the level of trade unions, syndicates and students federations. He went on to say that Iraq was also making efforts to bring about closer cooperation with other Arab countries (which did not specify) "in order to serve the Arab cause, mainly, the Palestine case."

31 January 1970

CONFIDENTIAL
REGISTRY No. 10
NEQ/16

Mr. Brown
Mr. Bush
Mr. Limer
RE 9/2

Jan 9/2
I.A. Dept. Dir. Peter
BPC 10/2
(IPD)

Abortive Coup in Iraq

Your Department has received a number of reports from as on the recent fiasco here, and John Symons is sending some further details by today's bag (not to Amman and Cairo). The object of this letter is simply to offer you a few afterthoughts.

Bloodbath.

2. However horrific the treatment meted out to the conspirators, I think it should not be forgotten that this was as nothing to the bloodbath that would certainly have taken place had the coup succeeded. No-one here would question this, least of all of course the Government. Moreover, I have the impression that local anti-Ba'athist opinion was much less appalled by the executions themselves than by the fact that the corpses were, at least in some cases, kicked off a lorry and dumped in the mud outside the houses of their next of kin with the words "Take your dog!" The bloody punishment of plotters is, I suppose, part of the Iraqi way of life and locally accepted as such; but this final stomach-turning detail was certainly a bit much.

The British Press and the BBC.

3. In a sense, of course, The Times and the BBC played into the hands of the Government here and enabled it to counter-attack viciously, pointing out that the British "press campaign" against Iraq proved where British sympathies lay and, by a convenient non sequitur, to deduce that the British were behind the plot. You may have seen the lengths to which this line was taken by Baghdad Radio in the monitoring reports of, for instance, 20 January. Although, as I reported in my telegram No. 69, I was assured by the Ministry of Foreign Affairs that no suspicions were harboured against us of complicity, both President Bakr (when addressing an assembly of religious leaders) and Salah Omar al Ali of the R.O.C. (at some agricultural function) have since been reported as making charges

/oi

J.P. Tripp, Esq.,
Near Eastern Department,
Foreign & Commonwealth Office,
London, S.W.1.

CONFIDENTIAL

Rexley 25

Pa RUM
19/1

... was appointed Premier after the July 17th, 1968, coup wh-
he Al Daoud was named Defense Minister. On July 10th --13 days later-- Nayef was ousted and

CONFIDENTIAL

of a more or less direct nature against us. Incidentally, although it was the reference in The Times (quoted by the BBC) to the "bloodthirstiness" of the Regime for which Dr. Daud and subsequently the Minister of Foreign Affairs sought to chastise me, I suspect it was the use of the term "incompetent" in The Times leader that gave greater offence. In so far as it related to the Government's handling of the coup it was of course hardly apposite. Whether or not it was a legitimate epithet to be used of a government by a leading newspaper which has not sent a correspondent to look at it during the last six months is also perhaps open to question.

Conversation with the Foreign Minister

4. Although I did not meet Sheikly in the immediate aftermath of the coup I found myself confronted by him when I arrived at the Indian National Day reception on 26 January. I thought it as well to be seen engaging him in conversation (as did Donald Hawley immediately before my arrival) and kept it up until he left the party half an hour later. He took much the same line as had Dr. Daud three days earlier, hammering away at British publicity media (as he insisted on calling them). I held to the position that summary mass executions were something British public opinion could not stomach; and when he talked about the BBC's effect on Anglo/Iraqi relations, I said that if the Iraqi Government insisted on basing their foreign relations on independent press and radio comment, that was their affair, but it did not seem to me a productive way of running foreign policy. We for our part did not base our relations with Iraq on what the controlled Iraqi press and radio said about us. Sheikly then breathtakingly declared that the Iraqi press, though the Government did provide briefing, was at liberty to say exactly what it liked.

Iranian Complicity

5. The tape-recordings of the conspirators' conversations, of which five or six instalments have now been broadcast by Baghdad Radio, bear all the marks of authenticity. Moreover, they confirm in singular detail such evidence as was already to hand of Iranian involvement. It may be worth adding that "some Chergé has admitted to Philip McKearney and others that "some members of the Embassy staff" were indeed implicated, though he insists that the Ambassador himself was unaware of what was going on. In point of fact, I have myself been led by various pointers to wonder whether Ameli himself had not indeed been left in the dark, however, astonishing this must seem. (Certainly his performance at a dinner party which both of us attended - in, of all places, the American Embassy! - on the night of 21 January was

/quite

CONFIDENTIAL

... was appointed Premier after the July 17th, 1968, coup while Ali Daoud was named Defense Minister. On July 30th --13 days later-- Nayef was ousted and

CONFIDENTIAL

quite superb, if he was in fact in the know.) Nonetheless, the handling by the Iranians of the conspiracy displays a light-hearted incompetence amounting to sheer irresponsibility for other people's lives.

Demonstration Against the British Embassy

6. My telegram No. 70 reported that police had just (mid-morning on 24 January) taken up positions round the Embassy in anticipation of a demonstration of which we had been warned and for which I had asked for appropriate protection. It proved to be a non-event. At 1.30 p.m. the police on our gate informed us, with charming insouciance, that it had been "cancelled". The threat had, however, been sufficiently lively to persuade our local staff, who are understandably windy on such occasions, to decamp en masse. (Their landrover, ironically, had a puncture as it drove through the gate.)

Effect on the Kurds

7. Your Department will also be receiving by this bag a current assessment of the prospects of the negotiations with Barazani which have been proceeding for some weeks. My guess is that, in the light of the abortive coup, Barazani is in something of a dilemma. On the one hand, he may reckon that the Ba'athists have now secured such a grip on this country that he had better come to terms while the coming is good. On the other hand, one must assume that, having failed to unseat the régime by a coup-de-main, the Iranians will now be making him increasingly tempting offers of further assistance. Which way he will jump remains to be seen.

Yours ever

H.G.

(H.G. Balfour Paul)

Copies to: H.M.R.R. in Amman, Beirut, Cairo and Tehran.

CONFIDENTIAL

... that Nayef was appointed Premier after the July 17th, 1968, coup while Al Daoud was named Defense Minister. On July 30th --13 days later-- Nayef was ousted and



20

A good letter. I have sent
letter to PUSO & to CIA office
for their info & to IRD
MUSKAR

CONFIDENTIAL

British Embassy,

RECEIVED IN BAGHDAD.
REGISTRY No. 10
- 2 FEB 1970
24 January, 1970.
NEP 1/6.

Per
MUM
W

(1/6)
Dear Anthony,

RMH
24/1

Attempted coup

We have learned very little about the course of events leading up to the failure of the attempted coup. Iraqi accounts speak of a long term plot organised and financed by the Iranians, scheduled to occur on 17 January and postponed at the last minute to 20/21 January. They have described an attempt to seize the Presidential Palace - presumably on 17 January - resulting in the arrest of some of the conspirators and say that the postponement was arranged by those officers loyal to the régime who had infiltrated the plot. We know from our own observation that the situation around the Palace was not quite normal on 17 January; it was as though some minor incident had occurred or was expected. The official account of the events on the night of 20/21 January is that the conspirators' first step was to try to seize control of the tank regiment at Muskar Rashid, but that at that stage all the conspirators were arrested. Two loyal soldiers died in resisting the attempt.

2. Unofficial reports are contradictory and confusing, and it is unlikely that we shall learn exactly what happened. The township of al-Thawra on the eastern outskirts of Baghdad had some troops disposed around it at certain points early on 21 January and the story was current there that there was some trouble at Teji camp (on the main road north to Mosul). Firing was heard both there and apparently (though this is less firm) in the barracks of Muskar Rashid. The Palace area had a few extra men on duty at the road blocks, but was quiet throughout the night. The airport and roads out of Baghdad were closed for most of 21 January; and on 22 January, although the roads were reopened, some vehicles were being searched. Apart from this, life in the town was quiet and normal with little sign of extra security precautions either before or after the abortive coup.

3. The funeral of the two "martyrs" on 22 January was held with great ceremony. Factories, schools and other organisations were provided with transport for their workers and pupils to produce an impressive Rentacrowd display. One part of the procession started its march with slogans and shouts outside the Iranian Embassy, but there was no violence.

4. The blame, as we said in our telegram No. 68 of 22 January, was placed initially on American imperialism, the C.I.A., Iran and the Zionists and for good measure (but only in a minor key and unsupported

.../by

A. A. Acland, Esq.,
Near Eastern Department,
F.C.O.

6

CONFIDENTIAL



- 2 -

by any specific fictions) on the oil monopolies and British imperialism. Subsequently direct responsibility has been placed on the Iranians, and the accounts of the conspiracy have contained substantial evidence of Iranian backing. The propaganda truce with Iran is ended. Our assessment is that an attempted coup definitely took place, that from an early stage the plotters' organisation was heavily infiltrated by the Iraqi security authorities, that the Iranians were in it up to their necks and that the Iraqis had no difficulty in suppressing it at a time of their choosing.

5. The timing of the coup is however of interest. This Ba'athi government has shown over recent months a disposition to come to terms (if they can) with the Barzani Kurds and there have been signs that agreement between the two sides was more likely than at any stage since the departure of Bazzaz. It is commonplace to talk of the Iranians' dislike for any possible rapprochement between the Kurds and an Iraqi government, and it seems probable that the Iranians' immediate aim in mounting the coup at this time was to forestall any such agreement. This does not mean that they originally entered the conspiracy for this purpose, as by Iraqi accounts (which we believe in broad terms) the conspiracy dates from well before the talks with the Kurds and indeed had its origins at the time of the trouble with Iran over the Shatt al Arab. It is notable that the Iraqis have not sought to establish the existence of any link between the conspirators and the Kurds. This suggests to me a desire to maintain progress in their negotiations with the Kurds.

6. A complicating factor has been the decision to execute at the same time the group headed by Rashid Muslih and Madhat al Haj Sirri, originally sentenced to death in November 1969 on charges of spying for the C.I.A. In spite of the two men's confessions on television, the Ba'athists have seemed reluctant to risk executing them, and there were indeed strong rumours that their sentences had been commuted. It now seems possible that the authorities deliberately held them over until such time as this coup took place when their execution amid the general bloodbath would receive less attention. Alternatively they may have calculated that in the average Iraqi mind their simultaneous execution might give some substance to the flimsy allegations of C.I.A. complicity in the present coup. Local rumours suggest that the government may do the same with other potential enemies and organise a grand purge, but at the time of writing it seems likely that, with the exception of the Rashid Muslih group, those who have been summarily tried and sentenced (a list is enclosed) were indeed involved in the abortive coup. Other prominent opponents of the Ba'ath already in prison include Abdul Aziz al Uqaili, Faisal al Ansari, Tahir Yahya and Abdul Rahman Bazzaz. The official account has not attempted to implicate them. In the case of Bazzaz it is interesting to note that the Kurds are believed to have been campaigning for his release and any action against him could have a serious effect on the talks with the Kurds.

.../7.

CONFIDENTIAL



6

and/

7. What then is going to be the result of this coup which failed? The Ambassador in his telegram no. 657 that the ease with which it was suppressed is likely if anything to increase the self-confidence of the régime. Yet it means that relations with Iran have taken a sharp turn for the worse, which need not necessarily have happened if the plot had been nipped earlier. So we must assume that the government is prepared for a virtual breach of relations with Iran. The propaganda war will undoubtedly start again - and indeed has in the Baghdad papers. The Shatt al Arab will again become a focus of tension. The Ba'ath must be prepared for Iran to step up its aid and encouragement to the Kurds. And this is when it becomes interesting to note that they have not implicated the Kurds in the plot. There must now be a greater stimulus for them to pursue a settlement of some kind with the Kurds. Their confidence in dealing with a security problem in Iraq proper does not mean that the army is now in any better shape to achieve military superiority over the Kurds than it has been in the past. I would expect therefore that the talks with the Kurds, confirmed recently to one of our colleagues by Hardan Tikriti, will continue and that the government may well be even more ready to make concessions in order to achieve agreement.

8. The bloody revenge which the Ba'athists are now taking on their opponents will again confirm the view widely held in Iraq and abroad that the Ba'athists are the most ruthless group engaged in the periodic violent struggle for power in this country. This may be true. They themselves appear to be trying to convince us that it is true, but it is not necessarily so; the plotters, had they succeeded, might well have proved it not so. Nevertheless, for the moment it is the Ba'athists whose conduct is arousing horror and is likely to prejudice the growth of reasonable relations with foreign countries, including - I would guess - most Arab countries. So far as Britain is concerned, this affair will cause a setback to our relations, particularly if British press and radio comment does not quickly find some other juicy story on which to concentrate. It can take credit for the unfriendly demonstration which, so we have just been warned, is at this moment expected to descend on the Embassy.

But Do not descend as
fast as we know

Your ever,
Philip
(P. McKearney)

c.c. P. Joy, Esq., O.B.E.,
BEIRUT

J. S. Champion, Esq., O.B.E.,
TEHRAN.

CONFIDENTIAL

CYPHER CAT A
IMMEDIATE BAGHDAD TO FOREIGN AND COMMONWEALTH OFFICE
TELEGRAM NUMBER 62 22 JAN 1970

RECEIVED IN REGISTRY No. 10 23 JAN 1970
NEG 1/6 (5)

TOP COPY

Pa. M M
26

CONFIDENTIAL

ADDRESSED TO FCO TELNO 62 OF 22 JAN
RFI PRIORITY AMMAN BAHRAIN RESIDENCY BEIRUT CAIRO JEDDA KUWAIT
TEL AVIV TEHRAN ALGIERS KHARTOUM RABAT TRIPOLI TUNIS WASHINGTON
AND UKMIS NEW YORK.

ATTEMPTED COUP

YOU WILL BE AWARE FROM MONITORING REPORTS OF THE OFFICIAL
IRAQI STATEMENTS AND COMMENTS ABOUT THE ABORTIVE ATTEMPT, TIMED
FOR THE NIGHT OF 20/21 JAN, TO OVERTHROW THE GOVERNMENT, THE
SENTENCES PASSED ON THOSE TAKING PART, THE EXECUTION OF SIX OTHERS
WHO HAD BEEN IMPRISONED FOR SOME TIME AND WERE ALREADY
UNDER SENTENCE OF DEATH, THE EXPULSION OF THE IRANIAN AMBASSADOR
AND FOUR MEMBERS OF HIS STAFF AND THE CLOSURE OF THE IRAN-
IAN CONSULATES IN KERBALA AND BASRA.

2. WE SEE NO REASON TO DOUBT THE IRAQIS' ASSERTION
THAT THE IRANIAN AUTHORITIES INSTIGATED OR ENCOURAGED THE
ATTEMPTED COUP. THE IRAQIS CLAIM THAT THEY ARE IN POSSESSION
OF RECORDINGS OF MOST OF THE CONSPIRATORS MEETINGS AND THAT
THEY WERE WATCHING THE CONSPIRACY FROM ITS EARLIEST DAYS.

THIS SEEMS TO BE BORNE OUT BY THEIR APPARENT CONFIDENCE
IN THAT THEY WAITED TO CRUSH THE RISING UNTIL THE VERY LAST
MOMENT AND SO FAR AS WE CAN SEE TOOK ONLY SLIGHT ADDITIONAL
PRECAUTIONS FOR THE SECURITY OF KEY POINTS IN BAGHDAD ON
THE NIGHT OF 20/21 JANUARY OR SUBSEQUENTLY. IT IS
ALSO NOTABLE THAT AMONG THOSE CONSPIRATORS NAMED SO FAR THERE ARE
FEW, IF ANY, SENIOR OFFICERS IN RESPONSIBLE POSITIONS SUCH
AS WOULD BE NEEDED TO

CONFIDENTIAL

British Embassy

BAGHDAD

31 January, 1970-5 FEB 1970

RECEIVED IN
REGISTRY No. 10
1201/6



(1/6)

Dear Sir,

Attempted Coup

Philip McKearney reported on the attempted coup in his letter 1/6 of 24 January to Acland. Since then we have learned one or two more details about those convicted and have heard a little more about the events surrounding the coup.

2. Among those executed was a Staff Captain Wahhab Daud al Hiti who, we are told, was the brother of Ibrahim Abdul Rahman al Daud, Minister of Defence in the short-lived government from 17-30 July 1968 and at present Ambassador in Madrid. Many Iraqi Ambassadors abroad have sent messages of solidarity with the régime following the attempted coup against it, but understandably perhaps Daud's name has not been amongst them.

3. We have heard that another of those executed, Second Lieutenant Nash'at Askar, was the son of the Under Secretary of the Ministry of Northern Affairs and that he was in command of a post somewhere in the Basra region. Another of those executed was Commander of the 15th Brigade which is deployed near Basra. This ties in with information from some foreigners who travelled from Basra to Baghdad on the night of 20/21 January and who saw troops in vehicles moving northwards on the road, and leads us to believe that the military side of the coup may have developed further than at first seemed likely from the accounts given by the official Iraqi News Agency. The Ambassador had planned to travel to Basra over the weekend 24/25 January but, partly because of the general situation and also because of a message from the EPC representative in Basra, Wheeler, who implied that the situation made it inappropriate for the Ambassador to go there at that time, he postponed his visit. Donald Hawley however went to Basra on 28 January and while there learned that the Chief of Staff of the Iraqi Navy had committed suicide the previous day. Before shooting himself he is said to have admitted his friendship with 15th Brigade Commander but denied any complicity in the plot.

4. The publication of the recordings of conversation between the conspirators has thrown some light on the identity of the officers who infiltrated the plot. Two have been named - Col. Muhammad Saïd, the Director of Military Operations, and his assistant. This goes a long way to show why the conspirators and the Iranians expected the coup to succeed, a point which had been extremely puzzling given the bare list of nonentities (apart from the C.O. of the 15th Brigade) who were tried for their part in the plot.

P. R. M. Hinchcliffe, Esq.,
Near Eastern Department,
F.C.O.

(J. H. Symons)

c.c. P. Joy, Esq., BEIRUT
J. Champion, Esq., TEHRAN

CONFIDENTIAL



List of those tried in the Special Court formed to judge
those implicated in the 20/21 January plot (up to
23 January)

Executed

Brigadier (Retired) Muhammad Rashid Muhsin al-Janabi
Staff Colonel (Retired) Salih Mahdi al-Samarrai'e
Lieut. Refi' Daraj
2/Lieut. Nesh'at Askar
W.O. Sufuk Raigan
Staff Colonel Fadhil Mustafa Ahmad
Colonel (Retired) Jabir Hasan Haddad
Staff Colonel (Retired) Salman Daud Abdul Salam al-Darkazli
Police Lt.Col. (Retired) Abbas Jawad al-Salami
2/Lt. Adnan Husain
Sgt. Major Ali Salih Khidhir al-Shanshah
Dr. Nishamuddin Arif
Radhi Raigan
Police Colonel (Retired) Shukri Mahmud Salih
Police Lieut. (Retired) Khazal Sabri
Salman Mahdi al-Tamimi
Colonel Alauddin Amin al-Hishma
Staff Major (Retired) Satter Abdul Jabbar al-Aboudi
Sergeant Fakhir Hasan Husain
Captain Majid Turki
Lieut. Anwar Muhammad Husain al-Jumeili
Hasan Husain al-Khaffaf
Staff Colonel Muhammad Abbas Medhlum
Colonel (Retired) Ismail Najim
Staff Captain Wahhab Daud al-Hiti
Staff Captain Riyadh Muhammad Shukri al-Nufti
Major Ahmad Abdullah
Lieut. Usam Mahdi
Colonel Kamal Ahmad al-Rawi
Sergeant Saddam Abdullah
Advocate Husain Abdul Wahhab al-Dallel
Rahi Abdul Wahid Sukkar
Taha Radhi

Sentenced to death in absentia

Major General Abdul Ghani al-Rawi
Shamil Muhammad al-Hasan
Muhammad Jafer
Muhammad al-Numairi

.../2.

Sentenced to hard labour for life

Sergeant Major Faisal Kitan
Advocate Abdul Muhsin Abdul Karim al-Duri
Ahmad Karim Abdullah

Sentenced to imprisonment for life

Dr. Fatima al-Khursan
Sa'diyah Salih Jabr

Sentenced to 10 years imprisonment

Private Salih Jabr
Staff Lieut./Col. Daud A'di al Ma'adhidi

Acquitted

Staff Lt.Col. Kamal Jamil Abbud
W.O. Shayyal Zora
Sgt. Major Hammud Karim
Cpl. Abdul Zahra Jasim
Lieut. Waiban Ahmad Turki
Staff Lt./Col. (Retired) Hamid Munir
Lieut. Ali Abid Khalaf
Lieut. Zaidan Khalaf
2/Lt. Saki' Shinab Muhammad
Lieut. Mash'al Turki al Rashid
Capt. (Retired) Rafi' Nadhim al Hamami
Lt. Col. Abdullah Ahmad Salih
Lt. Col. (Retired) Muhammad Wafi
Col. (Retired) Khedhir Hammudi
Major Akram Amin

19 FEB 1970

February 6th, 1970

27

C OF IRAQ

NEP/6

Po. Ramm
14/1IRAQI LEADER GIVES MORE DETAILS ON RECENT PLOT

Plot

Mr. Sidam Hussein Al Takriti, Vice Chairman of Iraq's Revolution Command Council and Assistant Secretary General of the National (Iraqi) Leadership of the ruling Arab Baath Socialist Party, was one of the main targets of the recent anti-state plot foiled by the Iraqi authorities last month, according to Beirut's weekly and pro-Iraq, AL SAYYAD yesterday.

The weekly published what it described as a letter sent by Abdel Ghani Al Rawi, accused of leading the alleged plot (he is still at large), to Safouk Rikan, one of 37 Iraqis executed in connection with the plot. In the letter, Rawi asked Rikan to either kill or kidnap Takriti on the grounds that he was a major obstacle in the way of implementing the plot. Rawi showed preference to the kidnapping of Takriti "so that we can make use of him." He suggested that when kidnapped, Takriti should be brought to Iran, "not to Syria for the two Baath factions sympathize with each other despite their apparent differences."

Active for Long Time. AL SAYYAD, in an interview with Takriti, reported him as saying that "the reactionaries" and their "executive agents" had been active for a long time since the July 14th, 1958, revolution, which toppled the monarchy in Iraq. He said they made several attempts during the past decade and became more or less active under different conditions. They, however, failed to make any significant gains, he said.

"Their main aim," Takriti added, "was to get Iraq back to the period before the July 14th, 1958, revolution." In the recent plot, he said, "new faces were brought in, such as Abdel Ghani Al Rawi and other retired officers, and a more prominent and effective role was given to foreign countries, such as Iran." He claimed that "the Anglo-Saxon-reactionary alliance was the executive apparatus of the plot."

Executions. Asked to explain the mass-executions and the quick action taken against the "plotters", Takriti said: "That was something natural. How does imperialism expect us to treat those who threatened the revolution and the people? The only way to deal with them is to bury them before they were able to bury the people." He added that it was also natural to act quickly because "all the material evidence was available to incriminate them." If there were no sufficient evidence, he said, the trials could have lasted for months.

Kurdish Problem. Takriti said that one of the aims of the plotters was to obstruct the ruling Baath's efforts to reach a peaceful settlement for the Kurdish problem. He explained that by keeping the Kurdish problem pending, Iraq's combat capabilities and resources would be less effective in confronting imperialism and Zionism. He expressed approval of the current dialogue between the Baathist government in Baghdad and the Kurdish insurgents led by Mulla Mustafa Barzani. He emphasized that neither of the two sides could achieve a permanent solution to this problem through military victories.

National Front. While stressing that the ruling Baath was still conducting negotiations for expanding the national front, Takriti said that practical steps have already been taken towards this end on the level of trade unions, syndicates and students federations. He went on to say that Iraq was also making efforts to bring about closer cooperation with other Arab countries (which he did not specify) "in order to serve the Arab cause, mainly, the Palestine case."

+++++

NEQ 1/6

ME/3298/A/5

23

10
1970
16

Mrs. Meir said: We could not and are not prepared to maintain calm from our side while the Egyptians continue to attack us. We have agreed and adhered to the cease-fire agreement and we shall continue to respect that agreement provided Egypt does the same.

The Premier added: Egyptian President Abd an-Nasir, however, is preparing his people to wage war against us, and we shall not wait until he completes his preparations.

The Premier said that the measures she is taking are for the sake of peace and added that, since peace has not yet been achieved, we wish to abide by the cease-fire agreement provided the other side does the same.

Lebanese Agreement with Fida's Organisations

Beirut home service in Arabic 18,00 GMT 4.2.70

Text of broadcast:

The Minister of Interior, Kamal Jumblatt, held a meeting with the Director General of Public Security, a number of military officers and representatives of Palestine organisations. They agreed on measures - in accordance with the Cairo agreement - to control the movement of Palestinians in Lebanon. They also agreed to restore the gendarmerie's authority in the refugee camps. This, however, would be preceded by a short transitional period during which the gendarmerie would cooperate with the Palestine armed struggle officers in refugee camps, after which the gendarmerie would assume their duties and maintain security.

The Minister of Interior said that the agreement on these matters is final. He added that the representatives of Palestine organisations had been responsive and had expressed their complete readiness to carry out the agreement carefully, sincerely and firmly. He said that the question of arms in the camps had also been discussed, including means to control these arms and prevent arms from being carried openly. We shall resume discussion of this and other subjects next week, he said.

Further Arrests of Iraqi Coup "Plotters"

Baghdad home service in Arabic 05,45 GMT 5.2.70

Text of report from the press review:

Taha al-Jazrawi, member of the Socialist Arab Ba'ith Party Regional Command, Revolution Command Council member and President of the Special Court, has told 'Al-Jumhuriyah' that several fugitive defendants who participated in the agent reaction-ary plot have been arrested. The foremost of these is the criminal Muhsin Jarallah, who was indicted by the Special Court on charges of plotting and sentenced to death in absentia.

Jazrawi affirmed to 'Al-Jumhuriyah' that with the arrest of the aforementioned plotters, there were no more dangerous elements at large. He added that the Special Court would soon reconvene to hear the cases of arrested defendants.

Answering a question on the rumours circulated by Zionist, imperialist and reactionary trumpets abroad on the nature of the formation of the Special Court, Jazrawi said that the court was regarded as a civil court because he was the only military member of the court and the other two members were civilians.

'Al-Jumhuriyah' has learned that the criminal Muhsin Jarallah, who was indicted by the Special Court on charges of plotting and treason and sentenced to death in absentia, was a thief. He was appointed by Nuri as-Sayid as a police commissioner. He exploited his job to collect a lot of money through bribery and owned a large number of

ned
a
Hiti
Daud,
July
adors
oving
ud's

utenant
istry
ewhere
r of
n with
o Baghdad
s moving
itary
emed
gency. The
24/25
so because
who
bassador
lawley
i that the
previous
is friend-
in the

seen the
officers
mmad Seid,
his goes
pected
ling given
5th Brigade)

P.a. M.M.M.

116

Near Eastern Department,
F.C.O.

c.c. F. Joy, Esq., BEIRUT
J. Champion, Esq., TEHRAN

CONFIDENTIAL

